

أَبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَدَعَوْتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أَبُو بَرَاءٍ اللَّيْثِيُّ

دار المنارة  
حَدَّة

الطبعة الأولى  
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

حقوق الطبع محفوظة

دار المنيرة

للشيرة والتوزيع جدة - هاتف: ٦٦٠٣٢٣٨ - ٦٦٠٣٦٥٢ - تليكس: ٤٠٣٠٦٧

ص. ب. : ٢١٤٣١/١٢٥٠

إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَدَعْوَتُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

هذا الكتاب رسالة ماجستير قُدمت إلى المعهد العالي  
للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

## مقدّمة

### ١ - أهمية الموضوع وسبب اختياره:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن الحديث عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مهم ومفيد من جوانب كثيرة: مُهم ومفيد لأن الإيمان بهم هو أحد دعامات الإيمان التي بيّنها القرآن المجيد، والنبي الكريم، فقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...﴾ (١).

وقال ﷺ مبيّناً أركان الإيمان: «... أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر...» (٢).

ومهم مفيد لأنهم شمس الإنسانية ومصابيح دجاها، نورهم هو النور،

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري - كتاب الإيمان باب ٣٧، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان حديث رقم ١٥٠، وكتاب الزهد: حديث رقم ١٦، وسنن أبي داود: كتاب السنة باب ١٦، وسنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ٤، وسنن النسائي: كتاب الإيمان، باب ٥، وسنن ابن ماجه: المقدمة، باب ٩، ومسند أحمد: ج ٤ ص ١١٤.

وهدهام هو الهدى، والتأسي بهم هو سبيل المؤمنين إلى طاعة الرحمن والفوز بالرضوان.

وإبراهيم عليه السلام هو خليل الله، وأبو الأنبياء، وخير ولد آدم - بعد محمد ﷺ - وذكره على لسان المؤمن لا ينقطع في كل صلاة: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»<sup>(١)</sup>.

لذلك كانت دراسة سيرته ودعوته أمراً مهماً مفيداً لكل مسلم عموماً، ولكل من يريد الدعوة إلى الله تعالى على وجه الخصوص، فسيرته العطرة التي بينها القرآن الكريم والسنة المطهرة، وطريقته في دعوة الأقربين والأبعدين، وحجته مع الظالمين والكافرين، وقوته في طاعة رب العالمين... كل ذلك معالم في طريق الدعوة إلى الله، يهتدي بها الدعوة على مرّ العصور وكرّ السنين.

من أجل هذا اخترت: «إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم» موضوعاً أتقدم به لشهادة الماجستير في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سائلاً المولى السداد والرشاد، والإخلاص في القول والعمل، إنه أكرم مسؤول.

٢ - مكان هذه الدراسة من الدراسات السابقة في الموضوع:

ليس سهلاً على من يريد الكتابة عن إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم أن يأتي بجديد، بل ذلك أمر عسير! فالقرآن الكريم حِطْيَ بعناية لم يحظّ بها كتاب قبله، وعسير أن يحظى بها كتاب بعده، فما من آية

---

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ١٠، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة، أبواب: ٦٥، ٦٦، ٦٩، وسنن النسائي: كتاب السهو، باب ٤٩، ٥٠. وسنن ابن ماجه: كتاب الإقامة، باب ٢٥.

فيه، بل ما من كلمة، إلا وقف عندها علماء أعلام: ينظرون ويتأملون، ويدرسون ويفسّرون، ويغوصون في معانيها ويستنبطون. ولذا جاءت كتب التفسير خُصِّمًا زاخرًا، بل بحرًا تمده أبحر، من العلوم والمعارف والفنون...

والحديث عن خليل الرحمن ورد في القرآن الكريم، في آيات بينات عديدة، لم يكن حظُّها أقل من حظ سواها من الدرس والشرح والتفصيل، وورد في السنّة المطهّرة التي حظيت أيضاً بعناية لم تُفَقِّها إلا العناية بالذكر الحكيم... لذا، فأنتي لمثلي أن يأتي بجديد عند الحديث عن أبي الأنبياء؟!!

غير أنه لما كان لكل كاتب يتناول موضوعاً ما طريقةً مُعيّنة في مُعالجته، تظهر فيها شخصيته العلمية، وتتجلّى في مقدار ما جمع من الحقائق المتعلقة بموضوعه، وفي درجة استيعابه لما قرأ، ثم في حسن تأليفه وعرضه لما جمع، وتتجلّى بعد ذلك في قالب اللغوي الذي يُفرغ فيه أفكاره، أي في أسلوب كتابته، فإنه يمكننا القول بأن لكل باحث (معادلةً علميةً) يسير عليها في بحثه وتأليفه - هذه المعادلة تختلف من باحث لآخر: في عدد عناصرها، وفي النسبة التي يمزج بها بين العناصر. وربما شابهُتْ حالُ الباحثين - من وجه - حال الأدباء الذين تختلف انفعالاتهم أمام الحادِث الواحد، وتختلف طرق تعبيرهم عن هذه الانفعالات اختلافاً كبيراً، فإذا نظرت إلى ما كتبوا عجبْت حتى خِلْتهم لا يصفون شيئاً واحداً، إنّما أشياء متعددة متباينة.

بمقتضى هذه النظرة أستطيع أن أقول: إن في بحثي جديداً، لأنني سرت وُفِّق (معادلتِي العلمية).

وبعد، فهل يُعني هذا الكلام الطويل من أن أبين مكان هذه الدراسة المتواضعة من الدراسات السابقة لها في الموضوع؟ لا...! إنّها باختصار: محاولة طالب علم أن يجمع بين دفتي كتاب - بأسلوب سهل لا ينبو عن ذوق المثقف المعاصر - ما يتعلق بأبي الأنبياء عليه السلام: بشخصيته باعتباره نبياً

إنساناً، وبدعوته كما وردت في القرآن، وأن يلقي الضوء على الجوانب التي يحتاج إليها الدعاة اليوم في دعوتهم إلى الله، وهم يجابهون جاهلية يتضاءل أمامها كل ما سبقها من جاهليات، ليستفيدوا منها في دعوتهم: يقتدون بها، ويقبسون من سناها. وعلى الرغم من أن التحديات التي يواجهها دعاة اليوم، قد اختلفت صورها كثيراً عن التحديات التي واجهها أبو الأنبياء عليه السلام قبل آلاف السنين، فإن حقيقتها واحدة، والسلاح الذي يجب أن تواجه به واحد، وإن اختلفت أشكاله وأسمائه. حقيقتها: وقفة الضلال في وجه الهدى، و حرب الكفر للإيمان، والسلاح الذي ينبغي أن تواجه به هو الاعتماد المطلق على الله، ثم الأخذ الكامل بالأسباب لمواجهة الداء بما يناسبه من دواء.

### ٣ - منهاج البحث:

عندما اخترت موضوع بحثي هذا جعلت عنوانه: إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم. وقد قيّدته بالقرآن الكريم لأنني أحببت أن أعيش في ظلال التنزيل العزيز، أتفياً نعمتها، وأغسل روعي بأنسها وبركتها، ولأنني كرهت أن أدخل في متاهات ما بين أيدي أهل الكتاب اليوم من كتب يتلونها، يَلوون ألسنتهم بها، حَرَفُوا كَلِمَهَا، وكتبوها بأيديهم<sup>(١)</sup> حسبما أمَلَّتْه عليهم أهواؤهم وضلالاتهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ، وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَقُولُونَ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وما إن شرعتُ في القراءة وجمعتُ مادة البحث حتى قامت أمامي مسألتان: الأولى أني وجدت شطراً طيباً من موضوعي منشوراً في كتب الحديث، فهل

(١) انظر: دائرة المعارف البريطانية (بالإنجليزية)، مادة: الإنجيل: ج ٢ ص ٨٧٩ - ٩٧٧ وأيضاً: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - موريس بوكاي: ص ٥٥ وما بعدها وص ١١٧ وما بعدها.

(٢) آل عمران: ٧٨.



الجأ إليها آخذ منها ما أحتاج إليه، أم أنني - ما دمت قد قيدت نفسي بجعل البحث «في القرآن الكريم» - مُلْزَمٌ بعدم الخروج عنه ولو إلى كتب الحديث؟، وأما الثانية: فقد وجدتُ كثيراً من كتب التفسير التي اعتمدت عليها تنقل عن أهل الكتاب في تفسيرها وشرحها وتفصيلها لقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فهل أفتدي بأئمة التفسير والتأويل وأنهج نهجهم، وأظل - مع هذا - دائراً في الفلك الذي اخترته، أم أن هذا سيُخرجني عن الإطار الذي وضعته لبحثي، ويوقعني في خطأٍ منهجيٍّ يعرّضني للنقد والملامة؟

أما المسألة الأولى فلم يطل وقوفي عندها؛ ذلك لأنني لن أخوض غمار كتب الحديث باحثاً في المتن والسند، مُستقصياً لأحوال الرواة، مفاضلاً بين الروايات، ناظراً في علل الأسانيد... إلى غير ذلك مما يعلمه أرباب هذا العلم، بل سأعتمد عليها كمفصلة ومبينة للقرآن الكريم، باعتبار السنة الصحيحة وحيّاً غير متلو، وباعتبار التكامل بينها وبين الكتاب العزيز، كما يوضح ذلك قول الله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾<sup>(١)</sup>.

وأما المسألة الثانية فقد طال وقوفي عندها شيئاً ما، ونظراً لأهميتها البالغة في منهاج البحث فقد رأيت أن أعرض لها بشيء من (الإيجاز المفصل) يبين الرأي الذي أرتضيته.

الأخذ عن أهل الكتاب (أو رواية الإسرائيليات)<sup>(٢)</sup>:

تنقسم الإسرائيليات إلى أقسامٍ متعددة باعتبارات مختلفة:  
فتنقسم باعتبار السند والمتن إلى:

أ - صحيح من ناحية السند والمتن.

(١) النحل: ٤٤.

(٢) اعتمدت بصورة رئيسة في هذا الموضوع على رسالة دكتوراه بعنوان: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير - رمزي نعاة: ص ٧٦ - ١٠٥.

ب - وضعيف من ناحية السند والمتن .

ج - وموضوع .

وتنقسم باعتبار موضوعها إلى :

أ - ما يتعلق منها بالعقائد .

ب - وما يتعلق بالأحكام .

ج - وما يتعلق بالمواعظ وتفصيل بعض الجزئيات مما ليس له صلة

بالقسمين السابقين .

وتنقسم باعتبار الموافقة لما في شريعتنا والمخالفة لها إلى :

أ - موافق لما في الشريعة .

ب - ومخالف له .

ج - ومسكوت عنه ليس في شريعتنا ما يؤيده ولا ينقضه .

وواضح أن هذه التقسيمات الثلاثة متداخلة يمكن إرجاع بعضها إلى

بعض، ويمكن أن ندخلها كلها تحت الأقسام الثلاثة التالية :

أ - مقبول .

ب - مردود .

ج - متوقف فيه .

وهذا التقسيم متطابق كل التطابق تقريباً مع التقسيم الثالث :

فالخبر الإسرائيلي إذا كان موافقاً لما في شريعتنا قبلناه، وهو عندئذ لا

يستمد قوته من نفسه - لأنه مشكوك فيه أصلاً - بل يستمدّها من دليل خارج

عنه مؤيد له، وإذا كان مخالفاً رددناه، لأنه يكون إما منسوخاً أو موضوعاً، أما

إذا كان مسكوتاً عنه فهذا هو محل النزاع والخلاف بين العلماء، فمنهم من

يمنع روايته ومنهم من يُجيزها، وفيما يلي موجز لأدلة كلا الفريقين ثم محاولة

للجمع والتوفيق بينهما .

## أولاً: أدلة المنع:

١ - أخرج الإمام أحمد والبرّار عن جابر رضي الله عنه قال: نسخ عمر كتاباً من التوراة بالعربية، فجاء به إلى النبي ﷺ، فجعل يقرأ ووجه الرسول ﷺ يتغيّر، فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب، ألا ترى وجه رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلّوا، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدّقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني»<sup>(١)</sup>.

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تُصدّقوا أهل الكتاب ولا تُكذّبوهم، وقولوا: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا. .﴾ الآية<sup>(٢)</sup>.

٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيّه أحدث الأخبار بالله<sup>(٣)</sup>، تقرؤونه لم يُشبّ، وقد حدّثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: ﴿هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً﴾<sup>(٤)</sup>، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُساءلتهم؟! ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ٢٢٨.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب ٢٩ وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ٢٥ وكتاب التوحيد، باب ٥١ - سنن أبي داود: كتاب الجنائز، باب ٣ - مسند أحمد بن حنبل:

ج ٣ ص ٣٨٧، ج ٤ ص ١٣٦. والآية في سورة البقرة: ١٣٦.

(٣) أحدث الأخبار بالله: أي: أقربها نزولاً إليكم من عند الله عزّ وجل.

(٤) البقرة: ٧٩.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الشهادات حديث رقم ٢٦٨٥.

## ثانياً: أدلة الجواز:

١ - قوله تعالى: ﴿قُلْ: فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>. قال الألوسي: ومما يدل على حِلِّ الرجوع إليها في الجملة قوله تعالى: ﴿قُلْ: فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - ثبت أن النبي ﷺ دخل معبداً لليهود وسمع قراءة التوراة، حتى أتوا على صفته عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

٣ - روى مسلم من طريق فاطمة بنت قيس قالت: قال رسول الله ﷺ - بعد أن جمع الناس -: «إني - والله - ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداريّ كان رجلاً نصرانياً وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال...»<sup>(٤)</sup>.

٤ - روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٥)</sup>.

٥ - مداومة بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على مطالعة أسفار أهل الكتاب: قال الحافظ الذهبي في ترجمة عبدالله بن عمرو بن العاص ما نصه: (وكان أصاب جُملةً من كتب أهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى

(١) آل عمران: ٩٣.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - السيد محمود الألوسي: ج ٢٠ ص ٨٥.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٦ ص ٢٣ - ٢٤ (تحقيق أحمد شاكر: ط. دار المعارف بمصر ١٣٦٧).

(٤) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب قصة الجساسة: ج ٤ ص ٢٢٦١.

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ٥٠ وسنن أبي داود: كتاب العلم، باب ١١ وسنن الترمذي: كتاب العلم، باب ١٣ وسنن الدرامي: المقدمة، باب ٤٥، ومسند أحمد بن حنبل: ج ٢ ص ١٥٩ و ٢٠٢ و ٤٧٤ و ٥٠٢، ج ٣ ص ١٣، ٤٦، ج ٤ ص ٤٣٧، ٤٤٤.

فيها عجائب<sup>(١)</sup>. كما رُوِيَ عن يوسُفَ بن عبدِالله بن سلام عن أبيه أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني قرأت القرآن والتوراة، فقال: «اقرأ هذا ليلة وهذا ليلة». قال الحافظ الذهبي رحمه الله: فهذا إن صحَّ ففيه الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها<sup>(٢)</sup> أي لِيَعْلَمَ الْمُحَرِّفَ فيها من سياق القرآن الكريم، وَيَتَبَصَّرَ فيما تقومُ به الحُجَّة على حَمَلَة أسفارها، وليزدادَ معرفةً بمجادلتهم في معتقدهم... وكذلك ذكر الذهبي في ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه أنه لقي كعباً، فجعل يحدثه ويسأله، فقال كعب: ما رأيت أحداً أعلم بما فيها من أبي هريرة<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: التوفيق بين الأدلة:

لعل التعارض الظاهري بين أدلة المنع من التحديث عن أهل الكتاب وأدلة الإباحة يزول بنظرة متعمقة إلى قوله ﷺ: «وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» ما المراد به؟ هل المراد به: حدثوا عنهم بكل حق وباطل، صدقٍ وكذب؟ لا. المراد حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه، وبما لا تعلمون كذبه، بعدم تعارضه مع أصل عندنا أو فرع. وبهذا يزول جُزء كبير من الإشكال، ويزول الإشكال نهائياً إذا قلنا: بأن الجمع بين هذه الأدلة ممكن من وجه آخر وجيه وهو: أن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة وخوف التباس نصوص القرآن والسنة بنصوص أهل الكتاب، ثم لما زال المحذور جاء الإذن، لما في سماع تلك الأخبار من الاعتبار<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن تيمية<sup>(٥)</sup>: «ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما

(١) تذكرة الحفاظ: ج ١ ص ٤٢.

(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ٢٧.

(٣) المرجع السابق: ج ١ ص ٣٦.

(٤) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن - التهامي نقرة: ص ٢٧٥ وما بعدها.

(٥) مقدمة في أصول التفسير - ابن تيمية - تحقيق د. عدنان زرزور: ص ١٠٠. وانظر تفسير ابن

كثير ج ١ ص ٨ (طبعة دار الأندلس).

يشهد له بالصدق، فذاك صحيح. والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه. والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذّبه، وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود لأمر ديني!».

ويقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين»<sup>(١)</sup>:

«... وما قصّه كثير من المفسرين وغيرهم، فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئاً من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وقفاً. وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته... والذي نسلكه في هذا التفسير الإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية...»<sup>(٢)</sup>.

ويُفهم من كلام ابن كثير رحمه الله أن بعض السلف رخص في رواية ذلك الضرب المذكور وبعضهم منع، وأنه في تفسيره أعرض عن جُلّ الإسرائيليات لا عن كلّها، وسمح لنفسه برواية بعضها مما قد يكون له فائدة في زيادة فهم النص القرآني. (وهذا ما صنعه بُعيد إيراد هذا الكلام في روايته لقصة إحراق إبراهيم عليه السلام). ومنهج ابن كثير هذا هو المنهج الذي ارتضيته في هذا البحث، فاكثفت بالنزر القليل من هذه الروايات التي وردت عن الصحابة والتابعين، وأعرضت عن الاعتماد على ما بين أيدي أهل الكتاب، والله الموفق للصواب.

وقد اقتضت طبيعة البحث - من وجهة نظري - أن أمهد للرسالة ببعض

(١) الأنبياء: ٥١.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٥٦٨.

التعاريف اللازمة، فذكرت تعريف النبي والرسول والفرق بينهما، وتعريف الدعوة والمعنى الذي أردته منها، وتعريف أولي العزم من الرسل.

ثم قسّمت الرسالة إلى خمسة أبواب جاءت على الشكل التالي :

الباب الأول: حياة إبراهيم عليه السلام وعصره وهجرته، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: إبراهيم الإنسان، ويضم مبحثين:

المبحث الأول: اسمه ونسبه.

المبحث الثاني: مولده ووفاته.

الفصل الثاني: عصره.

الفصل الثالث: هجرته.

الباب الثاني: الدعوة والمدعوون، وفيه فصلان:

الفصل الأول: الدعوة.

الفصل الثاني: المدعوون، ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه.

المبحث الثاني: دعوته لقومه.

المبحث الثالث: دعوته للملك.

الباب الثالث: ابتلاؤه وصبره، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الابتلاء بالكلمات.

الفصل الثاني: الابتلاء بمحاولة الاعتداء على الزوجة.

الفصل الثالث: الابتلاء بالإلقاء في النار.

الفصل الرابع: الابتلاء بذبح الولد، ويضم مبحثين:

المبحث الأول: قصة الذبح.

المبحث الثاني: من الذبيح؟.

الباب الرابع : فضائله وشمائله، وفيه فصلان :

الفصل الأول : الفضائل الوهية .

الفصل الثاني : الفضائل الكسبية .

الباب الخامس : شبهات مردودة، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : شبهة الشك في وجود إبراهيم عليه السلام .

الفصل الثاني : شبهة الشك في اسم أبي إبراهيم عليه السلام .

الفصل الثالث : شبهة تطور شخصية إبراهيم عليه السلام .

الفصل الرابع : شبهة شك إبراهيم عليه السلام في إحياء الله الموتى .

الفصل الخامس : شبهة كذب إبراهيم عليه السلام .

وأنهت الرسالة بخاتمة ضممتها نتائج بحثي في حياة إبراهيم عليه السلام ودعوته .

وقد اخترت في كتابة الرسالة أسلوب الإيجاز الذي لا يُخل بالمراد، وابتعدت - قدر الطاقة - عن الإسهاب وفضول الكلام . فجاءت الرسالة متوسطة الحجم، موافقة للعرف الجامعي في نظيراتها .

أما طريقتي في الكتابة فلم أُقيدها بخُطة واحدة في كل الفصول والمباحث، بل كنت أسير حسبما تقتضيه طبيعة الفصل أو المبحث فيما أقدر: فتارة أستهل الكلام بما ورد عن الموضوع في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وأخرى أبدأ بالتفسير اللغوي المُستمد من معاجم اللغة، ومرة أفتح الكتابة باقتباس من أحد الكتب، وأخرى بفدلكة تمهد للموضوع الذي أريد بحثه . ثم أمضي في البحث واضعاً نُصَبَ عينيّ الوصول إلى الحقيقة، خاليّ الذهن من أي حكم مسبق في أي قضية من القضايا .



#### ٤ - المصادر والمراجع :

كان اعتمادي الأول في استقاء حقائق البحث على القرآن الكريم، والصحيح من السنة المطهرة، واقتضى هذا - بالطبع - اللجوء إلى كتب التفسير وشروح الحديث. وقد اعتمدت على كتب التفسير بالرواية، كتفسير الطبري وابن كثير وغيرهما للحصول على المعلومات منها، وأغلب هذه التفاسير قديمة. واعتمدت على التفاسير الحديثة: كروح المعاني للألوسي. وفي ظلال القرآن لسيد قطب... للاستنباط والاستنتاج من الآيات. ولم أقتصر على تفاسير أهل السنة، بل رجعت إلى بعض تفاسير الشيعة في أحيان قليلة لبيان اختلاف وجهات النظر بيننا وبينهم أو اتفاقها.

وتلت كتب التفسير والحديث كتب التاريخ، وأهمها: تاريخ الطبري، وابن كثير، وابن الأثير، وابن خلدون، وغيرهم من القدماء والمحدثين. وحرصت بعد ذلك على أن أطلع على كل كتاب يتصل بموضوعي من قريب أو بعيد لأفيد منه، وما ذكرته هو جزء مما قرأته، وما قرأته هو قليل من كثير.

وكنت ألجأ إلى معاجم اللغة المتنوعة، قديمها وحديثها، إذا دعت أدنى حاجة لذلك، كما لم يخل عملي من الرجوع - أحياناً - إلى كتب التوحيد، ومصطلح الحديث، والقراءات، وأصول الفقه، إذا دعت الحاجة إليه.

وبعد؛ فهذا هو جهد المقل، أحمده الله فيه على ما هدى إليه من الصواب، وأستغفره لغير ذلك، وهو في عيني أقل من القليل، فكيف يكون في نظر باحث محقق أو عالم جليل!؟

وإني أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور محمد صالح محيي الدين المدرّس بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية لإشرافه على الرسالة، على الرغم من ازدحام وقته بالأعباء والواجبات، وإلى جامعة الإمام محمد ابن

سعود الإسلامية والمسؤولين فيها على كل ما يبذلونه في سبيل الإسلام  
والمسلمين، وإلى القائمين على المعهد العالي للدعوة الإسلامية الذين لا  
يَدَّخرون وسعاً في خدمة الدعوة وَعَوْنُ الدعاة، جزاهم الله خير الجزاء.

الرياض في ١ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ.

أحمد البراء الأميري.

# تَمْهِيدٌ

## تَعْرِيفَاتٌ

أ- تعريف النبي والرسول:

ورد في لسان العرب<sup>(١)</sup>:

«النبيء: المُخْبِرُ عن الله عز وجل... لأنه أنبأ عنه. وهو فعيلٌ بمعنى فاعل. قال ابن بري: صوابه أن يقول: فعيل بمعنى: مُفْعِلٌ، مثل: نذير بمعنى: مُنْذِرٌ، وأليم بمعنى: مُؤْلِمٌ. وفي النهاية: فعيل بمعنى: فاعل، للمبالغة من النبأ: الخبر، لأنه أنبأ عن الله، أي: أخبر. قال: ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه. يقال: نبأ، ونبأً، وأنبأ... وقيل: النبيُّ: مشتق من النبوة، وهي: الشيء المرتفع».

وجاء في اللسان<sup>(٢)</sup> أيضاً:

«النبيُّ: العَلَمُ من أعلام الأرض التي يُهْتَدَى بها. قال بعضهم: ومنه اشتقاق النبي، لأنه أرفعُ خَلْقِ الله، وذلك لأنه يُهْتَدَى به»<sup>(٣)</sup>.

فالأنبياء هم عباد الله، يختارهم<sup>(٣)</sup> من خَلْقِهِ، ويصطفِيهِمْ لِوَحْيِهِ، وهم

(١) ابن منظور الإفرقي - تصنيف: يوسف خياط: ج ٣ ص ٥٦١ - ٥٦٢.

وانظر: المصباح المنير للفيومي: ج ٢ ص ٢٥٨، والمعجم الوسيط: ج ٢ ص ٩٠٣.

(٢) ج ٣ ص ٥٧٣.

(٣) ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ الأنعام: ١٢٤.

من البشر، إلا أنهم يسمون عليهم بنبل الخلال وطيب الفعال<sup>(١)</sup>، فيكونون للناس أسوة، وفي الحق والخير قدوة.

يقول الماوردي<sup>(٢)</sup>: «الأنبياء: هم رُسل الله تعالى إلى عباده بأوامره ونواهيه، زيادةً على ما اقتضته العقول من واجباتها، وإلزاماً لما جوّزته من مباحاتها، لما أَراده الله من كرامة العاقل وتشريف أفعاله، واستقامة أحواله، وانتظام مصالحه...».

«فالنُّبوة: سفارة بين الله عز وجل، وبين ذوي العقول لإزاحة عِلَلها»<sup>(٣)</sup> وهي «نعمةٌ يمنّ (اللّه) بها على من يشاء، ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه، ولا يستحقها باستعداد ولايته... وليست راجعةً إلى جسم النبي ولا إلى عَرَضٍ من أعراضه، بل ولا إلى علمه بكونه نبياً، بل المرجعُ إلى إعلام الله له، بأنِّي نَبأتك، أو جعلتك نبياً...»<sup>(٤)</sup>.

أما الرسول: فهو المرسل (للمذكر والمؤنث والواحد والجمع). وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، ويُجمع أيضاً على رُسل، وأرسل. وهو (من الناس) مَنْ يبعثه الله بشرعٍ يعمل به ويبلغه للناس<sup>(٦)</sup>.

والملاحظ على التعاريف السابقة أنها مزجت بين النبي والرسول، والنبوة والرسالة، وذلك للعموم والخصوص بينهما. إلا أن العلماء ذكروا «فروقاً بين النبي والرسول، أحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبيُّ رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس

(١) قال المتنبّي:

فإن تَفُقَ الأنَامَ وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال  
(شرح الديوان للبرقوقي: ج ٣ ص ١٥١).

(٢) أعلام النبوة - أبو الحسن علي بن محمد الماوردي - ص ٢٢.

(٣) المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٩٠٣.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري - شهاب الدين بن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٣٦١.

(٥) الشعراء: ١٦.

(٦) انظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٣٤٥.

برسول، فالرسول أعم من النبي، فكل رسولٍ نبيٍّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً<sup>(١)</sup>.

ومن النظر في هذه التعاريف يتبين لنا أن إبراهيم عليه السلام هو نبي رسول، فقد نبأه الله تبارك وتعالى بخبر السماء، وأنزل عليه الوحي، كما أمره أن يدعو الناس، ويبلغ رسالة ربه.

ب - تعريف الدعوة:

لكلمة (دعا) عدة معان يهمنها اثنا<sup>(٢)</sup>:

١ - دعاه، يدعوه، دُعاءً، بمعنى: ناداه وطلبه.

٢ - ودعاه إلى الشيء وللشيء: حثه عليه. ودعاه إلى الله: أي إلى

عبادته.

وقد وردت هذه الكلمة بالمعنيين المذكورين آنفاً في مواطن عدة من

القرآن الكريم منها:

١ - ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ: إِنِّي مِنَ

المسلمين﴾<sup>(٣)</sup> أي: حث على عبادته.

٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُحْيِيكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي: حثكم على ما يحييكم.

٣ - ﴿قَالَ: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾<sup>(٥)</sup> أي: دعوتهم إلى

عبادة الله وحثتهم عليها.

(١) شرح العقيدة الطحاوية - علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي: ص ١٠٣.

وانظر: النوات - ابن تيمية: ص ١٧٧.

وكبرى اليقينيّات الكونية - محمد سعيد رمضان البوطي: ص ١٩٦ وما بعدها.

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية: ج ١ ص ٤٠٧ - ٤١٥.

(٣) فصلت: ٣٣.

(٤) الأنفال: ٢٤.

(٥) نوح: ٥.

- ٤ - ﴿قُلْ: هذه سبيلي أدعو إلى الله﴾ (١) أي: أحثُّ على عبادته .
- ٥ - ﴿ويا قومِ مالي أدعوكم إلى النجاةِ وتدعونني إلى النار﴾ (٢) .
- ٦ - ﴿وإننا لفي شكٍّ مما تدعوننا إليه مُريبٌ﴾ (٣) .
- ٧ - ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾ (٤) .
- ٨ - ﴿والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ (٥) أي: يُناديكم ويطلبكم .
- ٩ - ﴿كل أمة تُدعى إلى كتابها﴾ (٦) أي: تُنادى وتُطلب .
- ١٠ - ﴿يومئذ يتبعون الداعي لا عِوَجَ له﴾ (٧) أي: المنادي .
- وورد في القاموس الإسلامي (٨) تعريف الدعوة كما يلي :

«يُطلق لفظ (دعوة) اصطلاحاً على الرسالة الإسلامية، كما يُطلق على الرسول ﷺ اسم (داعي الله)، أي صاحب الدعوة إلى توحيد الله، لهذا يُعتبر الإسلامُ دينَ الرسالة أو دينَ الدعوة - أي أنه من الأديان التي تدعو الإنسانية إلى اعتناق المبادئ التي تنادي بها، كما يُعتبر الرسولُ، ﷺ، أولَ الدعاة...» .

وهذا التعريف ليس جامعاً مانعاً، كما أنه غير مسلّم ببعض ما جاء فيه . فلفظ (الدعوة) لا ينصرف - اصطلاحاً - إلى الرسالة الإسلامية، بل هو لفظ عام يفيد معاني مختلفة عند مختلف الباحثين والدارسين، أو القراء والمطالعين، أو المدعوين والمُخاطَبين، من جملتها: الرسالة الإسلامية .

- |                    |                                 |
|--------------------|---------------------------------|
| (١) يوسف: ١٠٨ .    | (٥) آل عمران: ١٥٣ .             |
| (٢) غافر: ٤١ .     | (٦) الجاثية: ٢٨ .               |
| (٣) هود: ٦٢ .      | (٧) طه: ١٠٨ .                   |
| (٤) المؤمنون: ٧٣ . | (٨) أحمد عطية الله: ج ٢ ص ٣٧٣ . |

أما المعنى الذي أقصد إليه في رسالتي هذه، عند الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام فهو ذو شعبتين:

الأولى: ماهية هذه الدعوة وحقيقتها، أو بتعبير آخر: إلام دعا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه وعلام حثهم؟

والثانية: طريقة خليل الله التي سلكها في دعوته للناس، أي في طلبه لهم ومناداتهم، وفي حثهم لهم على الإيمان بما جاءهم به من عند الله.

ج - تعريف أولي العزم من الرسل:

قال الله تبارك وتعالى مخاطباً رسوله الكريم محمداً عليه الصلاة والسلام: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرِّسْلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، بَلَاغٌ، فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال القاسمي<sup>(٢)</sup>:

«أولو العزم من الرسل: أولو الثبات والجِدِّ منهم. والعزم في اللغة كالعزيمة، ما عقدت قلبك عليه من أمر. والعزم أيضاً: القوة على الشيء والصبر عليه. فالمراد هنا: المجتهدون، المجدون، أو الصابرون على أمر الله فيما عهده إليهم، وقدره وقضاه عليهم. ومطلق الجِدِّ والجهد والصبر موجود في جميع الرسل، بل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكثير من الأولياء. فلذا ذهب جمهور المفسرين في هذه الآية إلى أنهم جميع الرسل، وأن (من) بيانية لا تبعية، فكل رسول من أولي العزم. فإن أريد به معنى مخصوص ببعضهم، فلا بد من بيانه ليظهر وجه التخصيص. ومنشأ الاختلاف في عددهم إلى أقوال:

«أحدها: أنهم جميع الرسل. والثاني: أنهم أربعة: نوح وإبراهيم

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) محاسن التأويل: جـ ١٥ ص ٥٣٦٩ - ٥٣٧٠.

وموسى ومحمد. والثالث: أنهم خمسة بزيادة عيسى . . . والرابع: أنهم ستة، بزيادة هارون أو داود. والخامس: أنهم سبعة، بزيادة آدم. والسادس أنهم تسعة. . . وقد يزداد وينقص.

«وتوجيه التخصيص أن المراد بهم من له جَدٌّ<sup>(١)</sup> وَجَهْدٌ<sup>(٢)</sup> تام في دعوته إلى الحق، وَدَبَّه عن حريم التوحيد، وَحَمَى الشريعة، بحيث يصبر على ما لا يُطيقه سواه من عوارضه النفسية والبدنية، وأموره الخارجية، كمبارزة كل أهل عصره، كما كان لنوح، أو لملك جبارٍ في عصره وانتصاره عليه من غير عُدَّة دنيوية، كمنروذ إبراهيم، وجالوت داود، وفرعون موسى . . . وكالاتاء بأمر لا يصبر عليها البشر بدون قوة قدسية، ونفس ربانية، كما وقع لأيوب عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

وصفة القول: أنه لم يرد من الشارع - فيما أعلم - بيان لأولي العزم من الرسل، فلا نصّ على ذلك في كتاب ولا سنة، وإنما هو اجتهاد العلماء والمفسرين. وإن كان لبعض رسل الله أن يوصفوا بأنهم من أولي العزم، فإن إبراهيم عليه السلام يكون منهم، ودليل ذلك ظاهر في الكتاب العزيز والسنة المطهرة، مما سيأتي بيانه في موضعه من البحث بعون الله.

(١) جَدٌّ، يَجِدُّ، جَدًّا في الأمر: اجتهد. المعجم الوسيط: ج ١ ص ١٠٩.

(٢) الْجَهْدُ: المشقة؛ والوسع والطاقة. المعجم الوسيط: ج ١ ص ١٤٢.

(٣) وانظر: البحر المحيط - لأبي حيان: ج ٨ ص ٦٨.

والتفسير الكبير - للفخر الرازي: ج ٢٨ ص ٣٥.

والتسهيل لعلوم التنزيل - لابن جزي: ج ٤ ص ٤٦.

ومع الأنبياء في القرآن الكريم - لعفيف عبد الفتاح طَبَّارة: ص ١٨.



# البَابُ الْأَوَّلُ

حَيَاةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَعَصْرُهُ وَهَجْرَتُهُ



# الفصل الأول إبراهيم الإنسان

## المبحث الأول: اسمه ونسبه

### أ- أصل الاسم ومعناه:

إبراهيم» لفظ أصله سرياني وعبراني: فهو في السريانية يعني: «أب رحيم»، وهو في العبرانية مركب من كلمتين، هما: أب، أي: أب، وراهام، أي: جماعة، أو جمهور، أو عدد كثير، كراهام<sup>(١)</sup> بالعربية. وعلى هذا يكون معناه: أب جمهور أو عدد كثير. قال في القاموس: إبراهيم اسم أعجمي، وعلى هذا لا يكون مُعرباً. وقيل: مشتق من البرهمة، وهي شدة النظر<sup>(٢)</sup>.

«واسم إبراهيم من الأسماء التي تُنبىء عن نشأة دينية، لأنه - على

(١) انظر: ترتيب القاموس المحيط - طاهر أحمد الزاوي: ج ٢ ص ٤٠٣.

(٢) انظر: الموسوعة القرآنية الميسرة - إبراهيم الأبياري وعبد الصبور مرزوق: ج ٣ ص ٥.

ودائرة المعارف - بطرس البستاني: ج ١ ص ٢٠٨ والمُعرب - الجواليقي: ص ٦١.

وفتح المَنان ببيان الرسل التي في القرآن - أحمد السجاعي: ص ٤٨.

وكتاب اللغات في القرآن: رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس - تحقيق:

د. صلاح الدين المنجد: ص ١٨.

وترتيب القاموس المحيط - طاهر أحمد الزاوي: ج ١ ص ٢٦٣. وفيه يقول:

الْبَرْهَمَةُ: إدامة النظر، وسكون الطَّرْف. وإبراهيم، وإبراهام، وإبراهوم، وإبرام، مُثَلثة الهاء - وإبرهَم - بفتح الهاء بلا ألف - : اسم أعجمي. وتصغيره بُرَيْه، أو أُبَيْرَه، أو بُرَيْهيم ج: أبارَه، وأباريه، وأبارهة، وبراهيم، وبراهيم، وبراهمة، وبراه.

أرجح معانيه - يفيد معنى (حبيب الله). وقد كان قدماء السريان يُطلقون اسم رأس الأسرة مجازاً على الإله المعبود، فيسمّونه الأب تارة والعم تارة أخرى، وربما كان العم أغلب على هذا المعنى، لأن الرجل ينادي كل شيخ مبجل (بياعم ويا عماه..). ومن هنا اسم عمران وإبرام، رُكّب كلاهما من العم والأب، ومن كلمة رام التي تعني: المحبة. ولعل التغيير الذي طرأ على اسم إبرام، إنما استُحدث لكي يُفيد معنى: (حبيب الله) بدلاً من (حبيب الإله) الذي كان يعبده أبوه في معابد الوثنية<sup>(١)</sup>.

ب - كونه أبا الأنبياء:

«وقد جعل الله تعالى إبراهيم عليه السلام الأب الثالث للعالم فقال: ﴿مَلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن أبانا الأول آدم، والأب الثاني نوح، والأب الثالث خليل الرحمن وشيخ الأنبياء<sup>(٣)</sup>، كما سماه النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>».

وقد سُمّي إبراهيم عليه السلام بشيخ الأنبياء - وأبي الأنبياء «لأنه كان رائد الدعوة النبوية في العالم الإنساني بأسره»<sup>(٥)</sup>. ومنه تناسل الأنبياء وتتابعوا... فجميع أنبياء بني إسرائيل من نسله، لأنهم من أولاد يعقوب ابن إسحاق، وإسحاق هو ابن إبراهيم، فمن إبراهيم عليه السلام تتفرع شجرة النبوة، حتى خاتم الرسل صلوات الله عليه هو من نسله لأنه من ولد إسماعيل. قال تعالى:

(١) إبراهيم أبو الأنبياء - عباس محمود العقاد: ص ٢٩٤.  
(٢) الحج: ٧٨. (انظر صحيح البخاري: كتاب الأنبياء باب ١٠ وسنن أبي داود: كتاب السنة: باب ٢٠).

(٣) لما دخل النبي ﷺ الكعبة، وجد المشركين قد صوّروا فيها صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يستقسمان بالأزلام، فقال: «قاتلهم الله، لقد علموا أن شيخنا لم يكن يستقسم بالأزلام» (انظر: صحيح البخاري: كتاب الأنبياء: باب ٨).

(٤) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام - ابن قيم الجوزية: ص ١٧٨، وانظر: تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص: ٦٠ (ط. دار الكتاب اللبناني).

(٥) إبراهيم أبو الأنبياء - العقاد: ص ٣١٤.

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب...﴾ (١).

ج - نسبه عليه السلام:

هو إبراهيم بن آزر. ولم يذكر القرآن الكريم أعلى من هذا النسب، غير أن المؤرخين المسلمين وغيرهم اعتمدوا على التوراة لمعرفة نسب خليل الله عليه السلام. وقد وقع اختلاف في أسماء أجداده عليه السلام ربما كان مرده إلى الاختلاف في الترجمة عن اللغات القديمة وإلى التصحيف الذي كانت تحفل به الطبقات القديمة للتوراة وسواها من كتب التاريخ. فهو عليه السلام:

إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوبن فالغ بن عابر ابن شالغ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح (٢).

أما تارخ فقد رُوِيَ بالحاء المهملة، كما رويت: تسارخ بزيادة السين بعد التاء. وناحور رُوِيَ بالخاء المعجمة، وساروغ رويت: ساروخ وسروج. وأرغو رُوِيَ: راغو، ورويت بالعين المهملة: رعو. وفالغ، رويت: فالج. وعابر رويت: غابر بالغين المعجمة ورُوِيَ عنبر. وشالغ رويت بالحاء المهملة كما رويت: شليخ (٣).

---

(١) العنكبوت: ٢٧ وانظر: النبوة والأنبياء - محمد علي صابوني: ص ١٥٥. وتاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٢١، والبداية والنهاية - لابن كثير: ج ١ ص ١٦٧، ومع الأنبياء - عفيف عبد الفتاح طبارة، ص ١٠٥.

(٢) تاريخ الرسل والملوك - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: ج ١ ص ٢٣٣. وانظر: الكامل في التاريخ: عز الدين بن الأثير: ج ١ ص ٩٤. والبداية والنهاية - أبو الفداء إسماعيل بن كثير: ج ١ ص ١٣٩. وقصص الأنبياء (المسمى بالعرائس) - ابن إسحق الثعلبي: ص ٥٧. ودائرة المعارف الإسلامية: ج ١ ص ٢٥.

والخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة - عبدالله بن علي محمد أبو سيف: ص ص ٨ - ١٣.

(٣) انظر: المراجع السابقة: المواضع نفسها. قال ابن خلدون في تاريخه (ق ١ ج ٢ ص ص

وبما أن هذا الاختلاف لا يعنينا في بحثنا هذا فقد اختصرت فيه القول. وأجلت الكلام عن شبهة دائرة المعارف الإسلامية حول اسم والد إبراهيم عليه السلام: (هل هو آزر - كما ورد في القرآن - أم تارخ - كما ورد في التوراة -؟) إلى الباب الأخير من الرسالة، إن شاء الله تعالى، وهو الباب المخصص للرد على الشبهات التي أثيرت حول إبراهيم عليه السلام ودعوته.

د - عربته عليه السلام:

اختلف أهل الكتاب فيما بينهم، واختلفوا مع المسلمين حول دين إبراهيم عليه السلام: فقالت اليهود: كان إبراهيم يهودياً، وقالت النصارى: كان نصرانياً<sup>(١)</sup>، فنزل قول الله تعالى يرد عليهم:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ هَا أَنْتُمْ هُنُوَاءٌ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإبراهيم عليه السلام حنيف مسلم؛ هذا من حيث الدين، فماذا عن الدم والنسب؟ إن عروبة إبراهيم عليه السلام - كما يقول العقّاد<sup>(٣)</sup> - هي «أصح نسبة يُنسب إليها، ولكنها تبدو لمن يسمعها كأنها غريبة، يُقال لمن يزعمها: من أين جئت بهذه الأحدثة<sup>(٤)</sup> التي لم نسمعها قبل الآن!

= «وهذه الأسماء الأعجمية كلها منقولة من التوراة، ولغتها عبرانية، ومخارج حروفها - في الغالب - مغايرة لمخارج الحروف العربية، وقد يجيء الحرف منها بين حرفين من العربية فترده العرب إلى أحد ذينك الحرفين، وفي مخرجه فيتغير عن أصله، ولذلك تكون فيها إمالة متوسطة أو محضة، فيصير إلى حرف العلة الذي بعده من ياء أو واو، فلذلك تنقل الكلمة منها على اختلاف، وإلا فشأن الأعلام ألا تختلف».

(١) التسهيل لعلوم التنزيل - محمد بن أحمد بن جزّي الكلبي: ج ١ ص ١٩٥.

(٢) آل عمران: ٦٥ - ٦٧.

(٣) إبراهيم أبو الأنبياء: ص ص ٢٨٩ - ٢٩١.

(٤) الأحدثة: ما يُتحدّث به. والحديث المضحك أو الخرافة. المعجم الوسيط ج ١ ص ١٦٠،

وترتيب القاموس المحيط للزاوي: ج ١ ص ٦٠٠.

«فلا يُقال عن إبراهيم إنه إسرائيلي، لأن يعقوب هو أول من تَسَمَّى بإسرائيل، ويعقوبُ حفيدُ إبراهيم.

«ولا يُقال عن إبراهيم إنه يهودي، لأن اليهودي يُنسب إلى يهودا، رابع أبناء يعقوب، ولم يكن يُنسب إليه إلا بعد أن أصبح اسمه علماً على الإقليم الذي قُسم له عند تقسيم الأرض بين أبناء يعقوب.

«ولا يُقال عنه: إنه عبري إذا كان المقصودُ بالعبرية لغةً مميّزةً بين اللغات السامية تتفاهم بها طائفة من الساميين دون سائر الطوائف، فإن إبراهيم كان يتكلم بلغة يفهمها جميعُ السكان في بقاع النهرين وكنعان، ولم تكن العبرية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية في تلك الأيام.

«وقد يُقال عنه: إنه ساميٌّ ينتمي إلى سام بن نوح، ولكنها نسبةٌ إلى جدٍّ وليست نسبةً إلى قوم؛ وقد تكلم باللغة السامية أناسٌ كالأحباش، ليسوا من السريان، ولا من الآراميين، ولا الحميريين.

«فإذا فُتشنا عن نسبة لإبراهيم لم نجد أصدقَ من النسبة العربية، كما كانت العربية يومئذ بين جزيرة العرب وبقاع الهلال الخصيب.

«وأصحُّ التقديرات أنه نشأ في أسرةٍ جديدةٍ عهدٍ بالهجرة من شمال اليمن إلى جنوب العراق، وكانت هذه الأسرة مع الذين جاؤوا من (أرض البحر) - كما كان البابليون يسمون العربَ المقيمين على مقربةٍ من خليج فارس - وقد وردت - أسماء العرب التي لا شك فيها بين الأسر المالكة في جنوب بابل، خلال عهد طويلٍ يحيط بعصر إبراهيم على أقدم تقديراته...».

ويؤيد محمد بيومي مهران<sup>(١)</sup> القول بعروبة إبراهيم عليه السلام فيذكر

(١) انظر: دراسات تاريخية من القرآن الكريم: ص ١٢٢. وانظر للمؤلف نفسه: دراسات في تاريخ العرب القديم: ص ١٣٧ - وما بعدها، ص ١٥٧.

أن قوم إبراهيم قد خرجوا من قلب الجزيرة العربية التي نشأوا فيها جماعة من الجماعات السامية العديدة، وأنه عليه السلام كان عربياً خالصاً من سلالة العرب العاربة التي يرتفع نسبها إلى سام بن نوح عليه السلام، وأنه أبو العرب العدنانية الذين هم أبناء ولده إسماعيل، وهو بهذا جدّ العرب قبل أن يكون جدّ الإسرائيليين!

أما الشيخ رشيد رضا فيرى أنّ إبراهيم عليه السلام كان يتكلم العربية القديمة التي هي قريية من عربية جُرحم. يقول: «من المعروف في كتب الحديث والتاريخ العربي القديم أنّ إبراهيم أسكن ابنه إسماعيل مع أمّه هاجر المصرية - عليهم السلام - في الوادي الذي بُنيت فيه مكة بعد ذلك، وأن الله تعالى سخر لهما جماعة من جُرحم، سكنوا معهما هنالك، وأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يزورهما، وأنه هو وولده إسماعيل بنيًا بيت الله المحرم<sup>(١)</sup>، ونشرا دين الإسلام في البلاد العربية، فيظهر من ذلك أن العربية القديمة هي لغة إبراهيم وهاجر، ولغة حمورابي وقومه، ولغة قدماء المصريين، أو اللغة الغالبة في ذلك القطرين، وأنها - على ما كان فيها من الدخيل الكلداني والمصري - كانت قرييةً جداً من العربية الجُرحمية، ولذلك كان الذين ساكنوا هاجر من جُرحم يفهمون منها وتفهم منهم. وقد ثبت في صحيح البخاري<sup>(٢)</sup> أن إبراهيم زار إسماعيل مرةً فلم يجده، وتكلم مع امرأته الجُرحمية ولم تعجبه، ثم زاره مرةً أخرى فلم يجده، وكانت عنده امرأة أخرى، فتكلم معها فأعجبته»<sup>(٣)</sup>.

(١) البقرة: ١٢٧.

(٢) كتاب الأنبياء، باب رقم ٩. انظر: فتح الباري: ج ٦ ص ص ٣٩٦-٣٩٨.

(٣) تفسير المنار: ج ٧ ص ٥٣٥. وانظر:

هاجر المصرية أم العرب - عبد الحميد جودة السحار، وفيه يقول: «العرب أسسوا مملكة بابل» (ص ٢٦٩) «وكان إبراهيم يتكلم العربية» (ص ٢٧٥) «وكانت العربية هي الأصل في أيام إبراهيم، وكانت العربية لهجة من لهجاتها» (ص ٢٨٩).  
وانظر أيضاً:



ومع أن الأدلة التي أوردتها آنفاً لها وجاهتها العلمية، فهي - فيما أرى - لا تبلغ درجة اليقين والقطع، ولا تعدو أن تكون نظرياتٍ واستنتاجات عقليةً في أمورٍ تاريخية تتعلق بحقبة (ما قبل التاريخ). ووصف إبراهيم عليه السلام بالعروبة يعتمد على تعريفنا لها، ومفهومها في تلك الأيام يختلف عما نفهمه اليوم منها. وعلى أي حال، فإنَّ الخوض في أمثال هذه المسائل قليل الجدوى، وقد يؤدي إلى بعض المضاعفات القومية والعنصرية، ويشير شيئاً من الحزازات بين العرب وغير العرب من المسلمين، مما نحن في غنى عنه والمسلمون في وضعهم الراهن من الفرقة والشتات.

## المبحث الثاني: مولده ووفاته

أ- مكان ميلاده عليه السلام:

اختلف العلماء في الموضع الذي وُلد فيه إبراهيم عليه السلام. فقال بعضهم: ولد بالسوس من أرض الأهواز، وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يُقال لها كوئا<sup>(١)</sup>، وقال آخرون: كان مولده بالوركاء، ناحية في حدود كسكر، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نُمرود من ناحية كوئا، وقيل: ولد بحرّان ثم نقله أبوه إلى أرض بابل، وروى ابن سعد أنه ولد بـ (هرمز جرد)<sup>(٢)</sup>، وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه ولد بغوطة دمشق في قرية يُقال لها برّزة، في جبل يُقال له قاسيون. قال الحافظ ابن عساکر تعليقاً على الرواية الأخيرة: «والصحيح أنه ولد ببابل، وإنما نُسب إليه

= تفسير الطبري: ج ١٧ ص ص ٢٠٥-٢٠٩،

وتفسير القرطبي: ج ١٢ ص ص ٩٩-١٠١،

وروح المعاني - للألوسي: ج ١٧ ص ص ٢٠٩-٢١٣،

وتفسير القاسمي: ج ١٢ ص ٤٣٨٤،

والتفسير الحديث - محمد عزة دروزة: ج ٦ ص ١٤٨ وما بعدها، ج ٧ ص ١٢٤.

(١) ورُسِمَتْ: كوئي أيضاً.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٤٦.

هذا المقام لأنه صَلَّى فيه، إذ جاء مُعِيناً للوط عليه السلام»<sup>(١)</sup>. وتصحيح الحافظ ابن عساكر فيه نظر لأنه لم يبينه على نص شرعي، ولا على دليل تاريخي قطعي، لأن الأدلة - في مثل هذه القضية - يعارض بعضها بعضاً، وقد ينقض المتأخر منها المتقدم. وهذا ما يراه الباحث جلياً عند تتبُّعه لمعطيات علم الأحافير<sup>(٢)</sup>.

ب - زمان ميلاده:

ليس بين أيدينا نص شرعي يحدد زمان ميلاد الخليل عليه السلام، والأحافير على كثرتها «لا نجد بينها خبراً يعيّن لنا التاريخ في حادث من الحوادث تعيّن الجزم واليقين، ولم يهتد المنقبون إلى تاريخٍ منها إلا على وجه التقريب، وبعد الموازنة والترجيح»<sup>(٣)</sup>. ولذلك اضطربت الروايات، في تعيين زمن ميلاد إبراهيم عليه السلام، وفيما يلي مثال على اضطرابها:

«قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري: أخبرنا أبو جعفر محمد بن حبيب، قال: ذكر أبو حاتم البجلي عن هشام بن محمد عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان من آدم صلى الله عليه إلى نوح ألفاً سنة ومائتا سنة، ومن نوح إلى إبراهيم عليه السلام ألف ومائة وثلاث وأربعون سنة، ويقال: ألف ومائة واثنان وأربعون سنة، ومن

---

(١) قصص الأنبياء - الحافظ ابن كثير: ج ١ ص ١٦٨. وانظر: تاريخ الطبري ج ١ ص ٢٣٣ وما بعدها،

والكامل في التاريخ - لابن الأثير: ج ١ ص ٩٤ وما بعدها،  
وقصص الأنبياء المسمى بالعرائس - لأبي إسحاق الثعلبي: ص ٥٧ وما بعدها،  
وكتاب البدء والتاريخ - مظهر بن طاهر المقدسي: ج ٣ ص ٤٧.  
وفتح المنان - للسجاعي: ص ٤٨.

(٢) يرجح د. محمد بيومي مهراّن أن حاران التي من إقليم العراق الأعلى في منطقة الجزيرة بين دجلة والفرات هي موطن الخليل عليه السلام وليست أور البابلية المشهورة في جنوب العراق. انظر كتابيه: دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص: ١٢٢ - ١٢٣ وإسرائيل: ص: ١٦٥ - ١٧١.

(٣) إبراهيم أبو الأنبياء - عباس محمود العقاد: ص ١٩٦.

إبراهيم إلى موسى خمسمائة وخمسة وسبعون سنة، ويقال: خمس وستون سنة، ومن موسى إلى داود خمسمائة وستون سنة ويقال: تسع وسبعون سنة، ومن داود إلى عيسى ألف وثلاث وخمسون سنة، ومن عيسى إلى محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء ستمائة سنة...»<sup>(١)</sup>.

وعلى فرض صحة السند إلى ابن عباس رضي الله عنه فما قاله لا يُعتبر حديثاً، لأن ما ينقله من تواريخ لا يُعرف إلا بالخبر عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وقوله أكثر من مرة: «يقال كذا...» دليل على أنه لم يسمعه من رسول الله ﷺ، بل سمعه من أهل الكتاب.

والخلاصة، أننا لا نملك معرفة تاريخ ولادة الخليل عليه السلام على وجه التحديد، ولكن أكثر المؤرخين يُقدِّرون أنه عاش في الفترة الواقعة بين عامي ٢٠٠٠ و١٧٠٠ قبل الميلاد. والله تعالى أعلم<sup>(١)</sup>.

### ج - قصة مولده:

رُوي أن إبراهيم عليه السلام وُلد في زمن نمرود بن كنعان. وقيل: إن كهان نمرود ومنجميه أخبروه أن غلاماً سيولد في تلك السنة يُغيِّر دين الناس، ويكون هلاك نمرود وزوال ملكه على يديه. وروي أن نمرود رأى في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء، ففزع من ذلك، ودعا سحرته وكهنته ليؤولوا رؤياه، فأخبروه بمولد الغلام. عندئذ أمر الملك أن يُذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل على كل عشرة رجال رقيباً أميناً، يعزل الرجل عن زوجته في حالة طهرها، ويُخلِّي بينهما إذا هي حاضت<sup>(٣)</sup>.

(١) المُحَرَّر - أبو جعفر محمد بن حبيب: ص ١.

(٢) انظر: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - محمد بيومي مهران: ص ١٢٣ - ١٢٧.

(٣) انظر: قصص الأنبياء - الثعلبي: ص ٥٧ - ٥٩.

وقصص الأنبياء - محمد بن عبدالله الكسائي: ص ١٢٨ وما بعدها،

والكامل في التاريخ - ابن الأثير: ج ١ ص ٩٤ وما بعدها،

تقول الروايات: فرجع آزر أبو إبراهيم، فوجد امرأته قد طهرت من الحيض ولما يعلم الرقيب بطهرها، فوقع عليها، فحملت بإبراهيم عليه السلام.

وتمضي الروايات قائلة: ولما دنت ولادة أم إبراهيم، وجاءها المخاض، خرجت هاربة مخافة أن يعلم بولادتها، فيقتل المولود إن كان ذكراً. فلما وضعت، لفتته في خرقة، وتركته في نهرٍ قد جف ماءه، وعادت فأخبرت زوجها، فانطلق أبوه، فأخذه من ذلك المكان، وحفر له سرداباً عند نهر، فخبأه فيه، وسد عليه بابه بصخرة خوفاً عليه من السباع، وكانت أمه تختلف عليه فترضعه<sup>(١)</sup>.

وقيل: كانت أم إبراهيم كلما دخلت على ولدها وجدته يمص إبهامه فنظرت إلى أصابعه فوجدته يمص من إصبع ماء، ومن إصبع لبناً، ومن إصبع عسلاً، ومن إصبع سمناً!!! ولم يمكث إبراهيم عليه السلام في مخبئه إلا خمسة عشر يوماً نما فيها وترعرع حتى بلغ سن الشباب، وجاء بعدها إلى أبيه، فسُرَّ به سروراً عظيماً<sup>(٢)</sup>!!

إن الوضع والتلفيق ظاهران في هذه الروايات المتناقضة التي تدل على عقلية واضعيتها، وهذا أبين من أن يحتاج إلى تفنيد. نحن لا نكر أن تكون بعض الخوارق والمعجزات قد حفت بولادة إبراهيم عليه السلام، ولكن كيف التبت منها وهي لم تُرو بطريق علمي مقبول؟؟ بل على العكس، رويت بطريقة تفوح منها رائحة الاحتلاق والاختراع، التي لا تنتزه عنها الأخبار الإسرائيلية، ولا تتورع عنها عقول جهلة القصاصين الذين يُريدون استمالة نفوس السوقة من مستمعهم.

= وتاريخ الرسل والملوك - ابن جرير الطبري: ج ١ ص ٢٣٤ وما بعدها،

والبدء والتأريخ - مطهر بن طاهر المقدسي: ج ٣ ص ٤٨ وما بعدها.

(١) قصص الأنبياء - الثعلبي: ص ٥٨.

(٢) انظر المصدر السابق: ص ٥٩.

## د - نشأته :

لم يعرض القرآن الكريم ولا السنّة المطهرة لتفاصيل نشأة إبراهيم عليه السلام. وهذه هي طريقة القرآن، لا يزيد - في مثل هذه الأمور - على الإيجاز والإلماح، لأنه يُعنى بالاعتبار والاستبصار، لا بالتأريخ وسرد التفاصيل، مع أن قوله الفصل في كل ما يعرض له من أمور، دَقَّتْ أو جَلَّتْ.

غير أن بعض العلماء المسلمين يذكرون أن آزر، أبا إبراهيم عليه السلام، كان يصنع أصنامَ قومه التي يعبدون، ثم يُعطيها إبراهيم لبيعها، فيذهب عليه السلام وينادي عليها: من يشتري ما يضره ولا ينفعه؟! فلا يشتريها منه أحد، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوّب<sup>(١)</sup> فيه رؤوسها، وقال: اشربي! استهزاءً بقومه، وبما هم عليه من الضلالة، حتى فشا عيبه لتلك الأصنام، واستهزأوه بها في قومه وأهل قريته، ولما يبلغ ذلك نمرود الملك<sup>(٢)</sup>.

هـ - عمره :

ذكر ابن سعد<sup>(٣)</sup> حديثاً مروياً عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول فيه: اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن مائة وعشرين سنة، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة. وهذا القول - لو صحّ - لعدّد دليلاً على أن إبراهيم عليه السلام عاش مائتي سنة، ولكنّه غير صحيح - والله أعلم - لأنه مُعَارَضٌ بما رواه الإمام مسلم في صحيحه<sup>(٤)</sup> من أن إبراهيم عليه السلام اختتن وعمره ثمانون، ولم يُذكر كم عاش بعد ذلك.

(١) يقال: صوّب الشيء: خفضه وأماله. المعجم الوسيط. ج ١ ص ٥٢٩.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٣٥ وما بعدها،

وتفسير الطبري: ج ١١ ص ص ٤٨١ - ٤٨٣،

والكامل - لابن الأثير: ج ١ ص ٩٦،

وقصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار: ص ٧٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٤٧.

(٤) كتاب الفضائل، حديث ١٥١، والبخاري في كتاب الاستئذان باب ٥١،

وذكر المسعودي<sup>(١)</sup> أن إبراهيم عليه السلام تُوفِّيَ بالشام عن مائة وخمسة وسبعين سنة (وفي نسخة: مائة وخمسة وتسعين).

يقول عبد الوهاب النجار<sup>(٢)</sup>: «فيكون إسماعيل قد عاصر إبراهيم تسعاً وثمانين سنة، وإسحاق وُلد لإبراهيم وهو ابن مائة سنة، فيكون قد عاصر أباه خمساً وسبعين سنة».

ومع أن هذه الأرقام لا نملك أن نقطع بصحتها، فإنها تعطينا فكرة تقريبية عن عمر خليل الله عليه الصلاة والسلام.

و- وفاته:

ذكر أهل التاريخ والسِّير أن الله تعالى حين أراد أن يقبض روح إبراهيم عليه السلام، أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخٍ هرم، فرآه إبراهيم يمشي في الطريق، فبعث إليه بحمار يركبه، وأدخله داره، وقدم إليه الطعام، فجعل الشيخ يأخذ اللُّقمة فيضعها في عينه أو أذنه بدلاً من أن يضعها في فيه. فتعجب منه إبراهيم عليه السلام، وسأله عن سبب ذلك، فقال: من الكِبَر، فسأله عن عمره، فأجاب: كذا وكذا، فوجد إبراهيم عليه السلام أنه أصغر من الرجل بعامين، فسأله: وهل أصير مثلك إذا بلغت سنك؟ قال الرجل: نعم.

وكان إبراهيم سأل ربه ألا يتوفاه حتى يسأله ذلك، فعندئذ قال: اللهم

<sup>=</sup> ورواه الإمام أحمد في مسنده: ج ٢ ص ٣٢٢ و٤١٧، ٤٣٥.

وابن سعد في الطبقات: ج ١ ص ٤٧.

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج ١ ص ٤٦.

(٢) قصص الأنبياء: ص ٧٨. وانظر

المُحَبَّر - لأبي جعفر محمد بن حبيب: ص ٤،

وفتح المنان - للسَّجاعي: ص ٤٨.

اقبضني إليك، فقام الشيخ - الذي هو ملك الموت - وقبض نفس إبراهيم عليه السلام<sup>(١)</sup>.

قال ابن الأثير<sup>(٢)</sup> تعليقاً على هذا الخبر: «وهذا عندي فيه نظر، لأن إبراهيم لا يخلو أن يكون رأى مَنْ هو أكبر منه بستين أو أكثر من ذلك، فإن من عاش مائتي سنة، كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب؟ ولكن هكذا روي؟! ثم إنه قد بلغه عُمرُ نوح ولم يُصبه شيء مما رأى بذلك الرجل!». وهذا من ابن الأثير نظر حكيم وتفكير مستقيم، يدعو إلى عدم الاطمئنان إلى ما يرويه أهل التاريخ والسير، بدون سند يُعتدُّ به ويعوَّل عليه.  
ز - قبره:

دُفن إبراهيم، وولده إسحق ويعقوب، عليهم السلام ببلدة حَبْرُون، المعروفة اليوم بالخليل، وقبورهم موجودة هناك في المربعة<sup>(٣)</sup> التي يُروى أنَّ سليمان بن داود عليهما السلام بناها. وهذا الخبر - كما يقول ابن كثير<sup>(٤)</sup> -

(١) انظر: قصص الأنبياء - الثعلبي: ص ٧٧،

وتاريخ الطبري: ج ١ ص ٣١٢،

والأنبياء - للعالمي: ص ١٣١.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ١ ص ١٢٤.

(٣) المربعة: الأرض ذات البرابيع (والربوع: دُوَيْبَة نحو الفأرة لكنْ ذَنْبُه وأذناه أطول منها،

ورجله أطول من يديه). وقد بحثت في كل ما وقع تحت يدي من معاجم اللغة عن معنى

مناسب لهذه الكلمة فلم أجد! وما أظن المعنى الذي ذُكر آنفاً هو المراد، وربما كانت الكلمة

مؤنث المربع: وهو الموضع الذي يُقام فيه زمن الربيع. انظر: لسان العرب: ج ٩ ص

ص ٤٥٥ - ٤٦٩،

وتاج العروس: ج ٥ ص ٣٣٧ وما بعدها،

وصحاح الجوهري: ج ٣ ص ١٢١١ وما بعدها،

والتكملة للصغاني: ج ٤ ص ٢٥٥ وما بعدها،

ومعجم متن اللغة - لأحمد رضا: ج ٢ ص ٥٣٤ وما بعدها،

والمغرب - للمطرزي: ص ١٩٩،

والمعجم الوسيط: ج ١ ص ٣٢٥.

(٤) قصص الأنبياء: ج ١ ص ٢٥٢، وانظر:

مُتَلَقَى بالتواتر من زمن بني إسرائيل وحتى زمانه، وهو أن قبور هؤلاء الأنبياء الكرام هي بالمربعة على التحقيق. أما تعيينُ هذه القبور فليس فيه نقل صحيح ولا خبر صريح، لذا ينبغي احترام ذلك المكان كما يُحترم أمثاله، وألّا يُداس في أرجائه خشية أن يطمأ المتجول قبر نبيِّ كريم دون أن يشعر.

---

= تاريخ الطبري: ج ١ ص ٣١٢،  
والإشارات إلى معرفة الزيارات - أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي: ص ٣٠ وما بعدها.



## الفصل الثاني

### عصر إبراهيم عليه السلام

كان الشرك والوثنية منتشرين في عصر إبراهيم عليه السلام، وكان الناس مختلفين في أديانهم، إلا أن أشهر فرقهم - كما يقول الشهرستاني<sup>(١)</sup> - اثنتان: الصابئة<sup>(٢)</sup> والحنفاء<sup>(٣)</sup>.

#### الصابئة:

وقد اختلف العلماء اختلافاً كبيراً حول الصابئة، وتاريخهم، وطقوسهم، وعقيدتهم، واكتشفوا أنهم فرق متعددة، ومذاهب متشعبة، يُخالف بعضها بعضاً في الأصول والفروع، ولم تسلم من التغير والتبدل على مرّ الزمان<sup>(٤)</sup>.

(١) الملل والنحل: ج ٢ ص ٣٥.

(٢) يقال: صَبَأَ، يَصْبَأُ، صَبْأً وَصَبْؤًا، وَصَبُؤًا، يَصْبُؤُ، صَبْأً وَصَبْؤًا، كلاهما: خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم، أي: تخرج من مطالعها. وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ﷺ: قد صبأ، عَنَوَا: أنه خرج من دين إلى دين. لسان العرب - لابن منظور الإفريقي -

تصنيف: يوسف خياط: ج ٢ ص ٣٩٩.

(٣) يقال: حَنَفَ عن الشيء، يَحْنِفُ، حَنَفًا: مال.

وتحنف: اعتزل عبادة الأصنام، وأسلم، وتعبّد.

وسمى الموحد حنيفاً لأنه مائل إلى الدين المستقيم. المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٠١.

(٤) انظر: الأديان في القرآن - محمود بن الشريف: ص ص ١٤١ - ١٥٠.

والقرآن الكريم أشار إلى الصابئين في ثلاثة مواضع، فذكرهم مرة بعد اليهود والنصارى، فقال: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ هَادُوا، وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئِينَ، مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»<sup>(١)</sup>، وذكرهم وسطاً بين اليهود والنصارى فقال: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى، مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»<sup>(٢)</sup>، وذكرهم في موطن آخر فقال: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا - إِنَّ اللَّهَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»<sup>(٣)</sup>.

«وقد ربط أهل الأخبار بين هؤلاء الصابئة المذكورين في القرآن الكريم، وبين صابئة حرّان وصابئة العراق، وجعلوهم طائفتين: صابئة حنفاء: وهم في نظرهم أصحاب إبراهيم مِمَّنْ... كان على دعوته، وصابئة مشركين: وهم من فسدوا من الصابئة واعتقدوا بالكواكب...»<sup>(٤)</sup> وإلى إيمان الصابئة المذكورين في القرآن الكريم ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٥)</sup> من القدماء، ومحمد عزة دَرَوَزة<sup>(٦)</sup> من المُحدِّثين.

ودراسة العقيدة الصابئية مهمة بالنسبة إلى بحثنا من عدة نواح: «فهي مُهمّة من جهة المكان، لأنها قديمةُ العلاقة بكل مكان تعلّقتُ به سيرةُ الخليل عليه السلام، من جنوب الفرات إلى شماله، إلى بلاد السريان، إلى البلاد النبطية من شمال الحجاز.

(١) البقرة: ٦٢ (انظر في تفسيرها. محاسن التأويل للقاسمي: ج ٢ ص ص ١٤٠ - ١٤٨).

(٢) المائدة: ٦٩ (وانظر في تفسيرها: محاسن التأويل للقاسمي: ج ٦ ص ص ٢٠٨٨ - ٢٠٩١).

(٣) الحج: ١٧ (وانظر في تفسيرها: محاسن التأويل للقاسمي: ج ١٢ ص ص ٤٣٣٠).

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي: ج ٦ ص ٧٠١ وما بعدها.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ج ٢ ص ص ٦٢ - ٦٣.

(٦) عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة: ص ص ٦٩٦ - ٧١٩.

«وهي مهمة من جهة زمانها، لأن لغتها المقدّسة تشير إلى زمان متوسط بين اللغات القديمة المهجورة واللغة السريانية الحديثة، ولم تكن لغة إبراهيم عليه السلام سريانية حديثة كالتي بقيت إلى الزمن الأخير، ولم تكن إحدى اللغات المهجورة... فإن تلك اللغات المهجورة قد انقطعت صلتها بمن بعدها على خلاف لغة الخليل، فإذا أشارت لغة الصابئة إلى زمن متوسط بين اللغات المهجورة واللغات السامية المتأخرة، فهي إحدى القرائن التي يُستعان بها على تعيين زمن الخليل.

«وهي مهمّة من جهة موضوعها، لأنها تُرينا مُلتقى التوحيد القديم والوثنية القديمة، وفيها بقايا الاصطدام بين العقيدتين، وقد يكون مدار الاختلاف بين عقيدة الخليل ومخالفه حول هذا المصطدم - فإن بقايا التنازع بين المعتقدات ظاهرة في العقائد الصابئية، يكاد بعضها أن يكون ردّاً على البعض الآخر، فلا وثنية ولا إيمان بالكواكب من جهة، ولا خلاص في الوقت نفسه من الوثنية والإيمان بالكواكب على صورة من الصور؛ ولعل العقيدة الصابئية - كما بقيت - خليطٌ مجتمعٌ من الجانبين بعد هجرة إبراهيم وشيعته من وطنهم القديم.

«ومن هنا كانت نحلة الصابئة مهمّة في دراسة الأديان على العموم، ودراسة دين إبراهيم على الخصوص، وكان لها في ذلك شأنٌ لا يناسب عددها القليل<sup>(١)</sup>، وعزّلتها التي فرضتها على نفسها، وفرضتها عليها أحداث الأيام»<sup>(٢)</sup>.

وأهم مذاهب الصابئة ثلاثة:

(١) تدين بعقائد الصابئة جماعات يبلغ عدد أبنائها ستة آلاف - ولا يجاوز المبالغ في عددها عشرة آلاف.

انظر: إبراهيم أبو الأنبياء: عباس محمود العقاد: ص ١٣٩.

(٢) المرجع السابق: ص ١٤٧ - ١٤٨.

## ١ - مذهب أصحاب الرّوحانيات:

وخلاصة اعتقاد أصحابه أن للعالم صناعاً حكيماً منزهاً عن صفات الحدوث، وعلينا أن ندرك عجزنا عن الوصول إلى جلاله، وإنما يُتقرب إليه بالمتوسّطات المقرّبين لديه، وهم الرّوحانيون المطهّرون، المقدّسون: جوهرًا وفعلاً، وحالة<sup>(١)</sup>.

## ٢ - مذهب أصحاب الهياكل:

إن أصحاب الرّوحانيات لمّا عرفوا أن لا بُدّ للإنسان من متوسّط، ولا بدّ للمتوسّط من أن يُرى فيُتوجّه إليه، فزِعوا إلى الهياكل التي هي السيّارات السبع، فدرسوا وعرفوا بيوتها ومنازلها، ومطالعها ومغاريبها... وعملوا لها الخواتيم<sup>(٢)</sup>، وتعلّموا العزائم والدعوات، وعيّنوا لها الأيام، وصنعوا لها الأبخرة... وسَمّوها أرباباً آلهة. وكانوا يتقرّبون إلى الهياكل تقرباً للرّوحانيات، ويتقربون إلى الرّوحانيات تقرباً إلى الباري جلّ وعلا<sup>(٣)</sup>.

## ٣ - مذهب أصحاب الأشخاص:

قال هؤلاء: بما أن الهياكل، وهي الكواكب، تطلع وتأفل، وتظهر وتخفى، فلا بدّ من نصبِ أصنامٍ تمثلها، تكون ماثلة أمام الأعين دائماً، يُتقرب بهذه الأصنام إلى الهياكل، وبالهياكل إلى الرّوحانيات، وبالرّوحانيات إلى الله... ﴿ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى الله زُلْفى﴾<sup>(٤)</sup>. فأصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب، وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان، إذ سَمّوها آلهة

(١) انظر: الملل والنحل - الشهرستاني: ج ٢ ص ٦٤ وما بعدها، والصابثون: حرّانيين ومندائين - رشدي عليان: ص ٤٧ وما بعدها.

(٢) الخواتيم: مفردتها: خاتام، وهو حلقة ذات فصّ تلبس في الإصبع (الوسيط): ج ١ ص ٢١٧.

(٣) الملل والنحل - الشهرستاني: ج ٢ ص ١٠٧.

(٤) الزمر: ٣.

في مقابلة الآلهة السماوية، وقالوا: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾<sup>(١)</sup>. وقد دعا إبراهيم عليه السلام هؤلاء وهؤلاء، وناظرهم، وأقام الحجة عليهم، وكسّر أصنامهم حجارةً وعقولا<sup>(٢)</sup>، مما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

يقول ول ديورانت<sup>(٣)</sup> تعليقا على عقائد أهل بابل، وهم من الصابئة أصحاب الهياكل:

«لم يدرسُ البابليون النجوم ليرسموا الخرائط التي تُعين على مسير القوافل والسفن، بل درسوها - أكثر ما درسوها - لتُعينهم على التنبؤ بمستقبل الناس ومصائرهم، وبذلك كانوا منجمين أكثر منهم فلكيين... وأضحت الجهود التي تُبذل لاستخلاص العلم بالمستقبل من حركات النجوم شهوة من شهوات البابليين».

### الأخلاق:

هذه لمحة موجزة عن الفكر والعقيدة اللذين كانا سائدين في زمن إبراهيم عليه السلام، فماذا عن الأخلاق؟

لقد كان الدين منفصلاً عن الأخلاق، والقيم بعيدة عن الحياة والتطبيق، وكان إتيان الفواحش جهاراً نهاراً أمراً لا يُستحي منه، بل رَبط بعض أولئك الناس العهر بالدين، وجعلوه وسيلة يتقرب بها المرء من رب العالمين. وعن هذا يقول ول ديورانت<sup>(٤)</sup>:

«ينبغي لكل امرأة بابلية أن تجلس في هيكل الزهرة مرة في حياتها، وأن تضاجع رجلاً غريباً... وظلّت (الدعارة المقدسة) عادة مُتبعة في بلاد بابل حتى ألغاه قسطنطين حوالي عام ٣٢٥ ق.م. وكان إلى جانبها عهر

(١) يونس: ١٨.

(٢) انظر: الملل والنحل: الشهرستاني: ج ٢ ص ١٠٨-١٠٩.

(٣) قصة الحضارة: ج ٢ ص ٢١١.

(٤) قصة الحضارة: ج ٢ ص ٢٢٩-٢٣٤.

مدني منتشر في حانات الشراب التي يديرها النساء . وكان يُسمح للبابليين - في العادة - بقسط كبير من العلاقات الجنسية قبل الزواج، ولم يكن يُضنّ على الرجال والنساء أن يتصلوا اتصالاً غير مرخص به بزيجات تجريبية، تنتهي متى شاء أحد الطرفين أن ينهيها. . . .» .

هذه صورة موجزة عن الحال في زمن إبراهيم عليه السلام، نرى فيها البون الشاسع بين ما دعا إليه من رفعة الإيمان والتوحيد، وما كان الناس فيه من وهدة الجاهلية والخطايا.

## الفصل الثالث هجرته عليه السلام

أ - أسباب هجرته :

الهجرة: هي الخروج من أرض إلى أخرى، وكذلك المهاجرة. وهاجر: ترك وطنه. وهاجر من مكان كذا أو عنه: تركه وخرج منه إلى غيره<sup>(١)</sup>.

وقد كان لإبراهيم عليه السلام - وفق هذا المعنى - هجرات عديدة، ترك فيها موطنه ومقامه إلى بلد آخر، بعد أن حارب، وردت دعوته، وأوذي في نفسه وأهله وماله. كان عليه الصلاة والسلام يخرج ليلغ دعوة الله إلى أقوام يرجو إيمانهم ونصرتهم، فيصدّه الأكثرون ويؤمن به الأقلون، فيتوجه إلى مكان آخر علّه يجد قلباً أوعى ونفوساً أرضى. كانت هجراته لله وبأمر الله: تبليغاً للرسالة، وأداءً للأمانة، وكانت كذلك امتحاناً لكمال الطاعة، واختباراً لتمام العبودية، وابتلاءً عظيماً يؤهل صاحبه لمرتبة الخلة: هاجر لترك زوجه ورضيعها بوادٍ غير ذي زرع لا أنيس فيه ولا جليس، وهاجر لينفذ أمر الله بذبح ابنه الوحيد الذي جاءه على الكبر، بعد أن بلغ السعي وشبّ عن الطوق، وهاجر لبني الله بيتاً يجمع قلوب الموحّدين، ويكون مثابة للناس وأمنأ. وهاجر وهاجر... ودافعهُ ومحرّكُهُ في كل ذلك طاعةُ الله وامثالُ أمره.

(١) المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٩٨٢ - ٩٨٣.

لم تكن هجرات الخليل - عليه السلام - إذن لأسباب اقتصادية، فهو ينتقل من البلد الذي قلَّ رزقه وقسا عيشه إلى بلد أكثر خيرات وألينَ عيشاً، ولم تكن لأسبابٍ سياسية، فهو يتعد عن اضطرابات الحكم وتحركات النازحين إلى حيث الهدوء والاطمئنان<sup>(١)</sup>. لا شك في أهمية الاقتصاد والسياسة في الهجرات بصفة عامة، غير أن الأمر في حالة الخليل عليه السلام جدّ مختلف، فهو ليس ملكاً من الملوك، ولا زعيماً سياسياً، ولا قائداً عسكرياً، ولا مصلحاً اجتماعياً... إنه قبل كل شيء وبعد كل شيء نبي مرسل، وظيفته الأولى تبليغ أمر الله<sup>(٢)</sup>.

وهناك معنى آخر أطف وأعمق في هجرة إبراهيم عليه السلام أول مرة بعد أن انتهى أمره مع أبيه وقومه، وأرادوا به الهلاك في النار التي أسموها الجحيم، وأراد الله أن يكونوا هم الأسفلين، ونجاه من كيدهم أجمعين..

يقول سيد قطب<sup>(٣)</sup>: «عندئذ استدبر إبراهيم مرحلة من حياته ليستقبل مرحلة، وطوى صفحة لينشر صفحة، ﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربِّي سيِّهدين﴾<sup>(٤)</sup>.

«هكذا.. إني ذاهب إلى ربِّي.. إنها الهجرة. وهي هجرة نفسية قبل أن تكون هجرة مكانية. هجرة يترك وراءه فيها كل شيء من ماضي حياته: يترك أباه، وقومه، وأهله، وبيته، ووطنه، وكل ما يربطه بهذه الأرض، وبهؤلاء الناس. ويدع وراءه كذلك كل عائق وكل شاغل. ويهاجر إلى ربه متخففاً من كل شيء، طارحاً وراءه كل شيء، مُسلماً نفسه لربه لا يستبقي منها شيئاً. موقن أن ربه سيهديه، وسيرعى خطاه، وينقلها في الطريق المستقيم.

(١) انظر: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني - د. رشيد الناصوري: ص ١٧٣ - ١٧٤.  
(٢) انظر: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - د. محمد بيومي مهران: ص ١٢٧ - ١٢٩.  
(٣) في ظلال القرآن: ج ٥ ص ٢٩٩٤.  
(٤) الصفات: ٩٩.



«إنها الهجرة الكاملة من حال إلى حال، ومن وضعٍ إلى وضع، ومن أواصر شتى إلى آصرة واحدة لا يزحمها في النفس شيء. إنه التعبير عن التجرد والخلوص، والاستسلام، والطمأنينة، واليقين».

ب - وقائع هجرته عليه السلام:

تعددت هجرات الخليل عليه السلام أو رحلاته، وكانت على الشكل التالي:

١ - خرج من بابل في أرض الكلدانيين إلى مدينة حرّان، (وهي أيضاً واقعة في أرض الكلدانيين).

٢ - خرج من حرّان مهاجراً إلى الشام، أرض الكنعانيين، شرق بيت المقدس.

٣ - هاجر من الشام إلى مصر، فلبث فيها فترة عاد بعدها إلى الشام.

٤ - خرج من الشام قاصداً مكة، ومعه هاجر وإسماعيل، ليتركهما بوادٍ غير ذي زرع، طاعةً لأمر الله، ورجع بعد ذلك إلى حيث كان بالشام.

٥ - قصد مكة المكرمة بعد تلقّي أمر الله له بذبح ولده، ثم عاد إلى الشام.

٦ - خرج من الشام قاصداً مكة للمرة الثالثة ليزور ولده إسماعيل، فلم يلقه، وفي هذه المرة أمر ابنه بفراق زوجته الأولى، ثم رجع إلى الشام.

٧ - زار مكة مرة رابعة، فلم يلق ابنه أيضاً، فرجع إلى الشام، بعد أن أوصى ابنه بإمساك زوجته الثانية.

٨ - زار مكة مرة خامسة لبناء بيت الله مع إسماعيل<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة - عبدالله بن علي محمد أبو سيف: ص ٥٠ وما بعدها.

وهكذا يمكن إجمال رحلات إبراهيم عليه السلام في ثلاث هجرات رئيسية هي :

أولاً: خروجه من بابل إلى الشام ومروره بحرّان.  
ثانياً: رحلته من الشام إلى مصر ورجوعه إلى الشام.  
ثالثاً: زيارته لمكة المكرمة.

ولنتناول هذه الرحلات بشيء من التفصيل :

أولاً: خروجه من بابل إلى الشام ماراً بحرّان :

دعا إبراهيم عليه السلام قومه ببابل إلى عبادة الله وحده، وخلق ما يعبدون من دونه، فردّوا دعوته، وحاربوه، وحاولوا إحراقه. ولم يدعن ملكهم لقوة حجته ولم يستجب له، فخرج عليه السلام متوجّهاً إلى حرّان<sup>(١)</sup>، ومعه والده<sup>(٢)</sup> وزوجّه سارة، وابن أخيه لوط<sup>(٣)</sup>.

ولم يُقم الخليل عليه السلام طويلاً بين أظهر الحرّانيين، فقد دعاهم إلى الإيمان بالله والكفر بالكواكب التي يعبدون، فلم يستجيبوا له، فتركهم وواصل رحلته إلى الشام، وأقام شرقيّ بيت المقدس، ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط. أما أبوه فقد مات بحرّان<sup>(٤)</sup>.

(١) حرّان: (والنسبة إليها: حرّانيّ، على غير قياس. والقياس: حرّاني). هي قصبة ديار مضر، وهي على طريق الموصل والشام والروم. قيل: سُمّيت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من بناها، فعُزبت فقيل: حرّان، وكانت منازل الصائبة، وهم الحرّانيون. قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ إنه أراد حرّان. وقالوا في قوله تعالى: ﴿ونحنّينا له ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾، هي حرّان. (معجم البلدان - ياقوت الحموي: ج ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦).

(٢) أُرجم أن الخليل عليه السلام خرج دون صحبة والده الكافر، الذي رفض دعوته، وهدده بالرجم، وأمره أن يهجره ملياً. ولا نجد إشارة في القرآن أو في السنة إلى خروج أبيه، بل السياق يدل على العكس. والله أعلم.

(٣) انظر: قصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ١٩٢، وتاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٥ - (طبعة مؤسسة الأعلمي) والطبقات الكبرى - لابن سعد: ج ١ ص ٤٦ وما بعدها.

(٤) قصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ١٩٢، وتاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٥، والطبقات =

أقام إبراهيم عليه السلام شرقيّ بيت المقدس فترةً يدعو الناس إلى دين الله. ثم اجتاحت أرض الشام موجةً قحطٍ وشدةً، وأصابتها سنون لأواءٍ وغلاء، فخرج إبراهيم عليه السلام إلى مصر، لا طلباً للميرة في المقام الأول، ولكن دعوةً إلى الله، ثم سعيّاً في منابك الأرض للأكل من رزق الله<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الرحلة إلى مصر والعودة منها إلى الشام:

كانت مصر تنعم بالخيرات والرزق، ومع ذلك فلم ينعم الخليل إبراهيم عليه السلام بها وبخيراتها، ذلك أن ملك مصر كان جباراً ظالماً، وكان مولعاً بالنساء، فما أن سمع عن حسن سارة وجمالها، حتى أحضرها إليه، وأراد أن ينال منها، فصرفه الله عنها بفضله، إكراماً لخليله عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وبعد ابتلاء الخليل بمحاولة جبار مصر أن يعتدي على زوجته، غادر مصر إلى أرض التيمّن، وهي الأرض المقدسة التي كان فيها، ومعه أنعام وعبيد وأموال، وصحبتهم هاجر القبطية التي قدّمها الجبار هدية لسارة بعد أن رأى من كرامتها ما رأى<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: زيارات مكة المكرمة:

استقر خليل الله في أرض التيمّن، ومكث فيها عشرين سنة<sup>(٤)</sup> لم يرزق خلالها بولد. ولما رأت السيدة سارة حينه إلى الذرية، ويئست هي من

= الكبرى - ابن سعد: ج ١ ص ٤٦.

(١) المراجع السابقة: المواضع نفسها.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ - لابن الأثير: ج ١ ص ١٠٠ وما بعدها، وتاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٥.

(٣) انظر قصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ١٩٨، وسيأتي الحديث مفصلاً عما جرى بين سارة والملك في الفصل الثاني من الباب الثالث، ص ١١٣.

(٤) قصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ٢٠٠، وانظر الكامل في التاريخ - لابن الأثير: ج ١ ص

١٠٢ وما بعدها وسمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي - عبد الملك حسين عبد

الملك العصامي ج ١ ص ١٤٣.

الإنجاب لِعُقمها وهبته جاريتها هاجر لعلها تنجب له. وأنجبت هاجر إسماعيل، وسرَّ إبراهيم عليه السلام بولده سروراً بالغاً، وسرَّت به سارة كما سرت هاجر، ولكن سارة بدأت تغار من جاريتها<sup>(١)</sup>، وهذه طبيعة النساء، فبدأت ترجو زوجها أن يذهب بالولد وأمه إلى حيث لا تراهما عينها، وإلى حيث لا تُدَلُّ هاجر بولدها عليها. وشاءت حكمة الله أن يتحقق لها ذلك، فأوحى الله إلى خليله أن يذهب بهاجر وإسماعيل، ويسكنهما بوادٍ غير ذي زرع، مُمتحناً خليله بالتفريق بينه وبين ولده، أحبَّ المخلوقات إلى قلبه، وامتلئ إبراهيم عليه السلام أمر ربّه... .

روى الإمام البخاري في صحيحه<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال:

«أول ما اتخذ النساء المنطق<sup>(٣)</sup> من قبل أم إسماعيل، اتخذت منطقاً لتُعْفِي أثرها على سارة. ثم جاء بها إبراهيم، وبابنها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت، عند دوحه<sup>(٤)</sup> فوق زمزم، في أعلى المسجد<sup>(٥)</sup>، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء. فوضعها هنالك، ووضع عندهما جراباً<sup>(٦)</sup> فيه تمر، وسقاء<sup>(٧)</sup> فيه ماء. ثم قفى<sup>(٨)</sup> إبراهيم مُنطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت، يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء؟! فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا

(١) انظر: قصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ٢٠٠، وتاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٦٥ (ط).

دار الكتاب اللبناني)، وفتح الباري - لابن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٤٠٠.

(٢) كتاب الأنبياء، باب رقم ٩. وانظر: فتح الباري - ابن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٣٩٦ وما بعدها.

(٣) وهو ما يُشدُّ به الوسط. الفتح: ج ٦ ص ٤٠٠، والقاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٩٥.

(٤) الدوحة: الشجرة الكبيرة. الفتح: ج ٦ ص ٤٠١، والقاموس المحيط: ج ١ ص ٢٢٨.

(٥) أي: مكان المسجد، لأنه لم يكن حينئذ بُني. الفتح: ج ٦ ص ٤٠١.

(٦) الجراب: وعاء يُحفظ فيه الزاد ونحوه: ج ٤ أجرية وجُرب. المعجم الوسيط: ج ١ ص ١١٤ والقاموس المحيط: ج ١ ص ٤٧.

(٧) السقاء: قربة صغيرة. الفتح: ج ٦ ص ٤٠١، والقاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٤٥.

(٨) قفى: ولَّى راجعاً إلى الشام. الفتح: ج ٦ ص ٤٠١، والقاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٨٢.

يلتفت إليها، فقالت له: آلهة أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا. ثم رجعت. فانطلق إبراهيم، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ... حتى بلغ: ... يشكرون﴾<sup>(١)</sup>.

«وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء. حتى إذا نَفَدَ ما في السَّقاء عطشتُ وعطش ابْنُها، وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال: يَتَلَبَّطُ<sup>(٢)</sup> - فانطلقت كراهيةً أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرفَ درعها<sup>(٣)</sup>، ثم سعت سعيَ الإنسان المجهود<sup>(٤)</sup>، حتى إذا جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، فنظرت هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «فذلك سعيُ الناس بينهما». فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه<sup>(٥)</sup> - تريد نفسها - ثم تسمعت أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غوث<sup>(٦)</sup>، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث<sup>(٧)</sup> بعقبه<sup>(٨)</sup> - أو قال: بجناحه - حتى ظهر الماء، فجعلت

(١) إبراهيم: ٣٧.

(٢) يتلَبَّطُ: يتمرغ، ويضرب بنفسه الأرض. الفتح: ج ٦ ص ٤٠١، والقاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٩٦.

(٣) الدرع: قميص المرأة، ج: أدرع، وأدرع، ودروع. المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٨٠.

(٤) أي: الذي أصابه الجهد، وهو الأمر الشاق. الفتح: ج ٦ ص ٤٠١، والقاموس المحيط: ج ١ ص ٢٩٦.

(٥) كأنها خاطبت نفسها فقالت لها: اسكتي (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٢)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٨٩.

(٦) غوث: بفتح أوله، وحكي ضمُّه وكسره. وجزء الشرط محذوف تقديره: فأغثني. (الفتح ج ٦ ص ٤٠٢)، وانظر: القاموس المحيط: ج ١ ص ١٧٧.

(٧) بحث في الأرض: حفرها. وفي التنزيل: (فبعث الله غرباً يبحث في الأرض)، المصباح المنير، ج ١ ص ٣٦.

(٨) العقب: عظم مؤخر القدم، وهو أكبر عظامها. (المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٦١٩).

تُحَوِّضُهُ<sup>(١)</sup> وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرفُ من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: يرحمُ الله أمَّ إسماعيلَ لو تركت زمزم - أو قال: لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم عيناً مَعِيناً<sup>(٢)</sup>. قال: فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة<sup>(٣)</sup>، فإن هاهنا بيت الله بيني هذا الغلام وأبوه، وإنَّ الله لا يُضيع أهلكه. وكان البيت مرتفعاً من الأرض - كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رُفْقَةٌ<sup>(٤)</sup> من جُرحم - أو أهل بيت من جُرحم - مُقبلين من طريق كداء. فنزلوا في أسفل مكة، فأرأوا طائراً عائفاً<sup>(٥)</sup>، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء. فأرسلوا جَرِيّاً<sup>(٦)</sup> أو جَرِيَيْنِ فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء. فأقبلوا - قال: وأمَّ إسماعيل عند الماء - فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء. قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فألفى<sup>(٧)</sup> ذلك أمَّ إسماعيل وهي تحب الأنس<sup>(٨)</sup>، فنزلوا، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم،

(١) أي: تجعله مثل الحوض. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٢)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٢ ص

٣٤١.

(٢) أي: ظاهراً جارياً على وجه الأرض (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٢)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٥٣.

(٣) الضيعة: الهلاك. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٢)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٣ ص ٥٩.

(٤) رُفْقَةٌ: وهم الجماعة المختلطون سواء كانوا في سفر أم لا. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٣)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٤٤.

(٥) هو الذي يحوم على الماء ويتردد ولا يمضي عنه. (الفتح ج ٦ ص ٤٠٣)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٣ ص ١٨٥.

(٦) جَرِيّاً: أي رسولاً، وقد يطلق على الوكيل وعلى الأجير. قيل: سمي بذلك لأنه يجري مجرى مُرسِله أو مُوكِّله، أو لأنه يجري مسرعاً في حوائجه. وقوله: أو جَرِيَيْنِ، شك من الراوي: هل أرسلوا واحداً أو اثنين. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٣)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣١٤.

(٧) ألفى: وجد (أمَّ إسماعيل) بالنصب على المفعولية. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٣) وانظر: القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٨٩.

(٨) الأنس: بضم الهمزة، ضد الوحشة. ويجوز الكسر، أي تحب جنسها. (الفتح: ج ٦ ص =

حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشبَّ الغلام وتعلم العربية منهم،  
 وَأَنْفَسَهُمْ<sup>(١)</sup> وأعجبهم حين شبَّ، فلما أدرك زوجه امرأة منهم<sup>(\*)</sup>. وماتت أم  
 إسماعيل، فجاء إبراهيم<sup>(٢)</sup> بعدما تزوج إسماعيل يُطالِعُ تَرَكَتَهُ<sup>(٣)</sup>، فلم يجد  
 إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا<sup>(٤)</sup>، ثم سألتها عن عيشهم  
 وهيئتهم، فقالت: نحن بِشْرٍ، نحن في ضَيْقٍ وَشَدَّةٍ، فشكت إليه. قال: فإذا  
 جاء زوجك فاقرئي عليه السلامَ وقولي له يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بابه<sup>(٥)</sup>. فلما جاء  
 إسماعيل، كأنه أنس شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا  
 شيخٌ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا في  
 جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك

= (٤٠٣) وانظر: القاموس المحيط: ج ٢ ص ٢٠٥.

(١) أنفسهم: بفتح الفاء، من النفاسة، أي: كثرت رغبتهم فيه. وقيل: أنفسهم: أي: رغبتهم في  
 مصاهرته لنفاسته عندهم. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٣) وانظر: القاموس المحيط: ج ٢ ص  
 ٢٦٥.

(\*) هنا نهاية الزيارة الأولى وبدء الزيارة الثالثة، أما الزيارة الثانية فهي زيارة الذبح، ولم يُشْرَ إليها  
 هذا الحديث.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: قال ابن التين: هذا يشعر بأن الذبيح إسحاق... وقد قال في هذا  
 الحديث: «إن إبراهيم ترك إسماعيل رضيعاً وعاد إليه وهو متزوج» فلو كان هو المأمور بذبحه  
 لذكر في الحديث أنه عاد إليه في خلال ذلك بين زمان الرضاع والتزويج. وتُعَقَّب: بأنه ليس  
 في الحديث نفي هذا المجيء. فيُحتمل أن يكون جاء وأمر بالذبح ولم يذكر في الحديث.  
 قلت: (يعني: ابن حجر): وقد جاء ذكر مجيئه بين الزمانين في خبر آخر. ففي حديث أبي  
 جهم: «كان إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق، يغدو غدوة فيأتي مكة، ثم يرجع فيقيم  
 في منزله بالشام»... فعلى هذا، فقوله: «فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل» أي: بعد  
 مجيئه مراراً قبل ذلك. والله أعلم. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٤).

(٣) أي: يتفقد حال ما تركه هناك. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٤)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٣  
 ص ٦١.

(٤) أي: يطلب لنا الرزق. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٤)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٤ ص  
 ٣٠٥.

(٥) كناية عن المرأة، وسماها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها، وهو حفظ الباب وصون ما  
 هو داخله، وكونها محل الوطاء. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٤).

السلام، ويقول: غيرَ عتبةَ بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك،  
الحقي بأهلك. فطلَّقها، وتزوج منهم أخرى (\*\*).

«فلبت عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعدُ فلم يجدُهُ، فدخل على  
امراته فسألها عنه فقالت: خرج بيتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن  
عيشهم وهيتهم، فقالت: نحن بخير وسعة وأنت على الله. فقال: ما  
طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك  
لهم في اللحم والماء. قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان  
لهم، دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو<sup>(١)</sup> عليهما أحد بغير مكة إلا لم  
يوافقه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرني عليه السلام، ومُريه يثبَّت عتبةَ بابه.  
فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخٌ حسنُ  
الهيئة - وأنت عليه - فسألني عنكَ فأخبرته، فسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا  
بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم. هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن  
تثبَّت عتبةَ بابك. قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك (\*\*).

«ثم لبت عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبّري نبلاً<sup>(٢)</sup>  
له تحت دَوْحَةٍ قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد  
والولد بالوالد<sup>(٣)</sup>. ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما  
أمرك ربُّك. قال: وتُعيني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني  
ها هنا بيتاً - وأشار إلى أكمة<sup>(٤)</sup> مرتفعة على ما حولها - قال: فعند ذلك رفعا

(\*) هنا نهاية الزيارة الثالثة وبدء الزيارة الرابعة.

(١) خلوتُ بالشيء واختليتُ: إذا لم أخلطُ به غيره. ويقال: أخلى الرجلُ اللبن إذا لم يشرب  
غيره. وفي حديث أبي جهم: «ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه».

(الفتح: ج ٦ ص ٤٠٥)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٢٧.

(٢) النبلُ: السهم قبل أن يركب فيه نصله وريشه، وهو السهم العربي. (الفتح: ج ٦ ص

٤٠٥)، وانظر: القاموس المحيط: ج ٤ ص ٥٥.

(٣) يعني: من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٥).

(٤) الأكمة: التل. ج: أكمٌ وإكامٌ وآكام. (المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٣).

(\*\*) بعد هذا تبدأ الزيارة الخامسة لبناء البيت.



القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم بيني . حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر<sup>(١)</sup> فوضعه له، فقام عليه وهو بيني، وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>. قال: فجعلنا بينان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

أما الزيارة الثانية لمكة، وهي التي كانت لتنفيذ الأمر بالذبح، فسيأتي الحديث عنها إن شاء الله عند الحديث عن ابتلاء الخليل عليه السلام بذبح ولده<sup>(٣)</sup>.

### ج - دروس وعبر:

والمسلم اليوم يستفيد فوائد عديدة من النظر والتفكير في هجرات الخليل عليه السلام وأسفاره، وأول ما يتعلمه أنه إذا عَجَزَ عن أداء واجب تبليغ الدعوة في مكان، أو عجز عن أن يُقيم فيه شعائر دينه بعزّة وكرامة، فعليه أن يهاجر، فإنه يجد في الأرض مُراعماً<sup>(٤)</sup> كثيراً وسعة. فهذا إبراهيم عليه السلام يترك أهله وعشيرته، ويهجر المغاني<sup>(٥)</sup> التي نشأ فيها وترعرع، عندما أصرّ قومه على كفرهم، وحاربوا دعوته. وما كان حُبّه لأرضه ومَنبته لِيمنعه عن هجرها إلى أرض أخرى يؤدي فيها رسالة ربه، ذلك أن رابطة الأرض ما كانت عند ذوي الألباب لتسمو إلى منزلة رابطة العقيدة، فرابطة

(١) يعني: مقام إبراهيم. (الفتح: ج ٦ ص ٤٠٦).

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) الفصل الرابع من الباب الثالث.

(٤) مُراعماً: مُهاجراً وطريقاً يُراعِمُ بسلوكة قومه: أي: يفارقهم على رغم أنوفهم. والرغم: الذل والهوان، وأصله لصوق الأنف بالرغام، وهو التراب. يُقال: راغمت الرجل، إذا فارقتَه وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك. أساس البلاغة: للزمخشري: (ج ١ ص ٥٥٨).

(٥) المغاني: مفردها مغنى، وهو المنزل الذي غني به أهله. (المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٦٧١).

الأرض ترابية لا روح فيها، ورابطة العقيدة سماوية تصل الحمأ المسنون بالملا الأعلى.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ، قَالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ. قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟! فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا. إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا. وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الزمخشري<sup>(٢)</sup>: «وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة دينه كما يجب، لبعض الأسباب - والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر - أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة، حقت عليه المهاجرة، وعن النبي ﷺ: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً من الأرض، استوجبت له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم، ونبيه محمد ﷺ»<sup>(٣)</sup>. وكلاهما هاجر في سبيل الله.

«إن الهجرة شرعت لثلاثة أسباب أو حكَم: اثنان منها يتعلقان بالأفراد، والثالث يتعلق بالجماعة: أما الأول فهو أنه لا يجوز لمسلم أن يُقيم في بلد يكون فيها مضطهداً في حريته الدينية والشخصية... وأما الثاني فهو تلقي الدين والتفقه فيه... وأما الثالث المتعلق بجماعة المسلمين: فهو أنه يجب على مجموع المسلمين أن تكون لهم جماعة أو دولة قوية تنشر دعوة

(١) النساء: ٩٧ - ١٠٠.

(٢) الكشف: ج ١ ص ٥٥٧.

(٣) أخرجه الثعلبي من رواية عباد بن منصور الناجي عن الحسن مرسلًا. كما ذكره ابن حجر في تخريج أحاديث الكشف ج ١ ص ٥٥٥ ط. دار الكتاب العربي.

الإسلام، وتقييم أحكامه وحدوده، وتحفظ بيضته<sup>(١)</sup>، وتحمي دُعَاة وأهله منبغي الباغين، وعدوان العادين، وظلم الظالمين. فإذا كانت هذه الجماعة أو الدولة أو الحكومة ضعيفةً يُخشى عليها من إغارة الأعداء، وجب على المسلمين أينما كانوا وحيثما حلّوا أن يشدوا أزرها حتى تقوى وتقوم بما يجب عليها، فإذا توقف ذلك على هجرة البعيد عنها إليها، وجب عليه ذلك وجوباً قطعياً لا هوادة فيه، وإلا كان راضياً بضعفها، ومُعِيناً لأعداء الإسلام على إبطال دعوته، وخفض كلمته<sup>(٢)</sup>.

ودرس آخر يتعلمه المسلم من هجرة أبي الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وهو أنّ صاحب الدعوة قد يسافر من بلد إلى آخر تنفيذاً لأمر أو أداءً لمهمة، ثم يعود إلى المكان الذي تقتضي مصلحة الدعوة وجوده فيه. أو يسافر لتحقيق إحدى مقتضيات فطرته البشرية التي لا تمنعه أعباء الدعوة منها. فإبراهيم عليه السلام سافر - مثلاً - لبناء البيت تنفيذاً لأمر الله، وبعد انتهاء المهمة عاد إلى مقرّه. وسافر أيضاً ليلقى ولده الذي اشتاق إليه، وليطالع تركته وهذه حاجات بشرية لا تتعارض مع القيام بواجبات الدعوة، وإرشاد الناس إلى الصراط المستقيم. فينبغي للمشتغلين بالدعوة إلى الله ألاّ يظنوا أن الداعية يجب عليه ألاّ يبرح المكان الذي هو فيه، وأن في سفره وانتقاله تفريطاً بحق الدعوة. فهذه أمور ليس فيها قاعدة ثابتة، والداعية يتصرف حسبما تمليه عليه الحاجة، وظروف المكان والزمان.

ودرس آخر، هو أن الداعية اليوم إذا أراد أن تتعمق معرفته بطبائع الناس وأحوالهم، وأن يتسع أفق إطلاعه على طرق معاش الناس وعاداتهم، ليكون أقدر على دعوتهم، وأعرف بالأساليب التي يُقنعهم بها، ويصل منهم إلى ما يريد - إذا أراد ذلك، فليسافر، فليس كالسفر من معلّم ومثقف في هذا المجال:

(١) بيضة الشيء: أصله، وبيضة القوم: حوزتهم وحماهم. (المعجم الوسيط: ج ١ ص ٧٨).

(٢) انظر: تفسير المنار - رشيد رضا: ج ٥ ص ص ٣٦١ - ٣٦٢.

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مُخلِقٍ لِديباجتَيْهِ، فاغترَب، تَتَجَدَّدُ<sup>(١)</sup>  
ورسول الله إبراهيم عليه السلام، أكثرَ من الأسفار (بابل، وحرّان،  
وبيت المقدس، ودمشق، ومصر، والحجاز... ) ونظر نظر الاعتبار: ﴿قل:  
سيروا في الأرض فانظروا...﴾<sup>(٢)</sup>، وهو بالنبوة والوحي والعصمة غنيّ عن  
النظر والتعلم، لأن الله علّمه وفقّهه، ولكن العقلاء لا يزالون يستزيدون من  
الخير، ويسلكون السبيل الأقوم، ويعلمون مَنْ دونهم من الناس.

---

(١) أبو تمام - الديوان بشرح الخطيب التبريزي - تحقيق: محمد عبده عزام: ج ٢ ص ٢٣  
(والديباجتان هنا جريا مجرى البُردين والثوبين، فيكون الواحد والجمع في معنى واحد.  
والمعنى: أنه مُخلِق الثياب. وأراد بالديباجتين: ما يظهر من أمره. لأن ملابس الإنسان يدل  
على باطنه).

(٢) النمل: ٦٩ والعنكبوت: ٢٠ والروم: ٤٢.

## الباب الثاني

الدَّعْوَةُ وَالْمَدْعُوْنَ



# الفصل الأول الدعوة

دعوة إبراهيم عليه السلام هي دعوة الأنبياء والرسل الكرام، من قبله ومن بعده، عليهم الصلاة والسلام. فما من نبي إلا بُعث بالإسلام، غير أن الشرائع التي جاؤوا بها تختلف.

ويمكن تلخيص أهم السمات المشتركة بين دعوات الأنبياء عليهم السلام في ثلاثة أمور أساسية:

١ - دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده:

يقول عز وجل: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - الدعوة إلى الإيمان بالغيب، وبالبعث بعد الموت:

يقول الله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رُسُلٌ منكم

---

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) النحل: ٣٦.

يقصّون عليكم آياتي ويُذرونكم لقاء يومكم هذا؟! قالوا: شهدنا على أنفسنا، وغرّتهم الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴿١﴾.

ويقول: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب...﴾ ﴿٢﴾.

ويقول: ﴿والموتى يعثّم الله ثم إليه يرجعون﴾ ﴿٣﴾.

ويقول: ﴿ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون﴾ ﴿٤﴾.

٣- الدعوة إلى تحكيم شريعة الله في الأرض، وذلك بالائتمار بأمره، واجتناب نهيه، مما يضمن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿الذين يُبَلِّغون رسالاتِ الله ويخشونه، ولا يخشون أحداً إلاّ الله وكفى بالله حسيباً﴾ ﴿٥﴾.

وقال: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شَجَرَ بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت، ويسلموا تسليماً﴾ ﴿٦﴾.

وقال: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿٧﴾.

أما دعوة إبراهيم عليه السلام على التخصيص، فأهم عناصرها:

(١) الأنعام: ١٣٠.

(٤) المؤمنون: ١٦.

(٢) البقرة: ٢، ٣.

(٥) الأحزاب: ٣٩.

(٣) الأنعام: ٣٦.

(٦) النساء: ٦٥ وانظر:

رسالة التوحيد - الشيخ محمد عبده: فصل وظيفة الرسل عليهم السلام: ص ص ١١٩ - ١٢٤.

والنبوة والأنبياء - محمد علي الصابوني: ص ص ٢٥ - ٢٧ ومع الأنبياء في القرآن الكريم -

عفيف عبد الفتاح طيّارة: ص ص ١٥ - ٢٠.

(٧) المائدة: ٤٤.



## ١ - الدعوة إلى عبادة الله وتقواه، وقصده وشكره:

يقول الله عز وجل: ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه: اعبدوا الله واتقوه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. إنما تعبدون من دون الله آوثاناً، وتخلقون إفكاً، إنّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً، فابتغوا عند الله الرزق، واعبدوه، واشكروا له، إليه تُرجعون﴾<sup>(١)</sup>.

فإبراهيم عليه السلام يدعو قومه إلى أن يعبدوا الله ويتقوه، لأن ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة. وهو يبيّن لهم أنّ ما يعبدونه ويُسمونه آلهة، إن هو إلاّ أصنام من صنع أيديهم، لا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً، فكيف يطلبون منها أن ترزقهم؟! والرزق لا يُتغى إلاّ عند الله، وهو وحده الذي يستحق العبادة، والشكر على النعم، وإليه المآل والمآب<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - ترك الشرك ومحاربة الأوثان والأصنام:

يقول تعالى مبيناً أنه هو الذي أرشد عبده ورسوله إبراهيم إلى مكان بناء البيت الحرام، وأمره ألاّ يشرك به شيئاً، وأن يطهر بيته للطائفين به، والمُقيمين عنده والمصلين إليه:

﴿وإذا بَوَّأنا لإبراهيم مكانَ البيت ألاّ تشرك بي شيئاً، وطهّر بيتي للطائفين والقائمين، والرُّكع السُّجود﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول جلّ جلاله حاكياً خطاب خليله عليه السلام لقومه بعد أن كسّر أصنامهم وجعلها جذاذاً:

(١) العنكبوت: ١٦ - ١٧.

(٢) انظر في تفسير الآيتين: تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٣١٤ (ط. دار الأندلس)،

وزاد المسير - لابن الجوزي: ج ٦ ص ٢٦٣،

وتفسير الخازن: ج ٤ ص ٨١ وما بعدها (ط. المكتبة الأموية).

(٣) الحج: ٢٦.

وانظر في تفسير الآية: تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٦٣١ وما بعدها (ط. دار الأندلس).

وتفسير الخازن: ج ٣ ص ٢٦٩ وما بعدها (ط. المكتبة الأموية).

﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم؟! أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون؟!﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول تبارك اسمه: ﴿قال: أفرأيتم ما كنتم تعبدون؟ أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحييني. والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾<sup>(٢)</sup>.

فإبراهيم عليه السلام يُجاهر قومه بعداوة أصنامهم التي كانوا يعبدونها، دون خجل أو وجل، ويبيّن لهم ألا رابطة مودة تربطه بها، وأن صلته قائمة مع الله وحده، الذي خلقه وهده، والذي يرزقه ويشفيه، ويميته ويحييه؛ وتلك صفات كان قومه يعزونها لأصنامهم العاجزة، التي لا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء<sup>(٣)</sup>.

### ٣ - الإسلام والحنيفية:

اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، وتنازعا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً فنزل قوله تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين﴾<sup>(٤)</sup> مُبيّناً أن دين إبراهيم عليه السلام هو الإسلام، وأنه كان مائلاً عن الشرك إلى توحيد الله.

(١) الأنبياء: ٦٦ - ٦٧. وانظر في تفسير الآيتين:

زاد المسير - لابن الجوزي: ج ٥ ص ٣٦٥، وتفسير الخازن: ج ٣ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ (ط. المكتبة الأموية).

(٢) الشعراء: ٧٥ - ٨٢.

(٣) انظر في تفسير الآيات: تفسير ابن كثير: ج ٥ ص ١٨٧ وما بعدها (ط. دار الأندلس)، وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٦ ص ١٢٨ وما بعدها.

(٤) آل عمران: ٦٧. وانظر في تفسير الآية: تفسير الطبري: ج ٦ ص ٤٨٩ وما بعدها (ط. دار المعارف)، وتفسير ابن كثير: ج ٢ ص ٥٤ وما بعدها (ط. دار الأندلس)، وزاد المسير - لابن الجوزي: ج ١ ص ٤٠٢ وما بعدها، ومحاسن التأويل - القاسمي: ج ٤ ص ٨٦٣.

ويتكرر هذا المعنى في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

﴿ربنا واجعلنا مُسلمين لك، ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك، وأرنا مناسِكَنا، وتبَّ علينا، إنَّك أنت التَّواب الرَّحيم﴾<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿إذ قال له ربِّه أسلم، قال: أسلمتُ لربِّ العالمين. ووَصَّى بها إبراهيمُ بنيه، ويعقوبُ، يا بنيَّ إنَّ الله اصطفى لكم الدين، فلا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون﴾<sup>(٢)</sup>.

فالله تبارك وتعالى هو الذي أمر إبراهيم عليه السلام بالإسلام، فاستجاب لأمره، وكان حريصاً على دوام الإسلام في ذريته فوصى به بنيه، وعرفهم أن الله قد أكرمهم إذ اصطفى لهم دينهم واختار لهم الإسلام، لذلك أكد عليهم أن يلزموه ولا يفارقوه، حتى يلقوا ربهم وهم عليه<sup>(٣)</sup>.

٤ - التبرؤ من القوم الكافرين، ومعاداتهم، وكرهيتهم ما داموا على كفرهم:

ويظهر في قوله تعالى:

﴿قد كان لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم: إنَّا بُرآء منكم، ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاءً أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده..﴾<sup>(٤)</sup>.

يوجه الله تعالى الذين آمنوا إلى أن يقتدوا بإبراهيم عليه السلام،

---

(١) البقرة: ١٢٨. وانظر في تفسير الآية: تفسير الطبري: ج ٣ ص ٧٣ وما بعدها (ط. دار المعارف)، والتفسير الكبير - للفخر الرازي: ج ٤ ص ٦٥ وما بعدها، والكشاف - للزمخشري: ج ١ ص ٣١١، وزاد المسير - لابن الجوزي: ج ١ ص ١٤٥، ومحاسن التأويل - للقاسمي: ج ٢ ص ٢٥٦.

(٢) البقرة: ١٣١ - ١٣٢.

(٣) انظر في تفسير الآيتين: تفسير الطبري: ج ٣ ص ٩٢ وما بعدها (ط. دار المعارف)، ومحاسن التأويل - للقاسمي: ج ٢ ص ٢٦٣ وما بعدها.

(٤) الممتحنة: ٤.

وأتباعه الذين آمنوا معه، إذ تبرؤوا من قومهم الكافرين ومن آلهتهم التي يعبدون، وأعلنوا كفرهم بها، وعداوتهم وكرههم لها، ما داموا على كفرهم وضلالهم<sup>(١)</sup>.

## ٥ - الحكم والأمثال التي في الصحف:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صَحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾<sup>(٢)</sup>.

أنزل الله تبارك وتعالى على إبراهيم عليه السلام عشر صحائف، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال:

«قلت: يا رسول الله، كم كتاباً أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل الله عز وجل على آدم عليه السلام عشر صحائف، وعلى شيث خمسين صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل جلّ وعزّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها»<sup>(٣)</sup>.

واختلفت الأقوال في المراد بـ (هذا) في قوله تعالى:

(إن هذا لفي الصحف الأولى)، مالذي في صحف إبراهيم وموسى؟

قيل: المراد به قوله: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾.

فقد تابعت كتب الله جل ثناؤه تبين أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا. وقيل: من قوله: ﴿قد أفلح من تزكى...﴾ إلى آخر السورة. وقيل: إن هذا القرآن لفي الصحف الأولى، ولم يُردّ أن هذه الألفاظ بعينها في تلك

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٦٢٥ (ط. دار الأندلس) وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٨ ص ٢٣٥، ومحاسن التأويل: ج ١٦ ص ٥٧٦٥.

(٢) الأعلى: ١٨ - ١٩.

(٣) انظر: تاريخ الطبري: ج ١ ص ٣١٢ - ٣١٣ - والكامل لابن الأثير: ج ١ ص ١٢٤. والتفسير الكبير - للفخر الرازي: ج ٣١ ص ١٤٩. والدر المثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي: ج ٦ ص ٣٤١، ومسند أحمد، ج ٤ ص ١٠٧.

الصحف، وإنما هو على المعنى، أي: إن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف<sup>(١)</sup>. ولا أميل إلى هذا القول الأخير، لأن القرآن الكريم كله لا يمكن أن يكون قد ورد من قبل، ولو بمعناه فقط، فهو قد خاطب أقواماً عاصرتَه، وبيّن الأحكام في وقائع جدّت خلال حياة الرسول ﷺ، فكيف يكون قد نزل من قبل بلغات مختلفة وألفاظ مختلفة؟! والمعنى الذي يرجحه الحديث الوارد آنفاً أن المراد بـ (هذا) هو: ﴿قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى. بل تؤثرن الحياة الدنيا. والآخرة خير وأبقى﴾ وذلك لأن صحف إبراهيم عليه السلام كانت حكماً وأمثالاً ومواعظ.

«قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، فهل في أيدينا شيء مما كان في يدي إبراهيم وموسى مما أنزل الله عليك؟ قال: نعم إقرأ يا أبا ذر: ﴿قد أفلح من تزكى...﴾ إلى آخر السورة»<sup>(١)</sup>.

ثم أعطى رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه مثلاً عما في صحف إبراهيم، فقال: «أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور، إنني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت من فم كافر. وكان فيها أمثال: وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، يفكر فيها في صنع الله عز وجل إليه، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزوّد لمعاد، وممرّة<sup>(٢)</sup> لمعاش، ولذّة في غير محرّم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسان. ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعينه»<sup>(٣)</sup>.

- (١) انظر: الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي: ج ٢٠ ص ص ٢٤ - ٢٥.  
وتفسير روح البيان - لإسماعيل حقي البرسوي: ج ١٠ ص ٤١١.  
(٢) المرمّة: متاع البيت. المعجم الوسيط: ج ١ ص ٣٧٦ وانظر: أساس البلاغة - الزمخشري: ج ١ ص ٣٧٣.  
(٣) تفسير القرطبي: ج ٢٠ ص ٢٥. وانظر:  
تفسير الطبري: ج ٣٠ ص ١٠٠ (ط. بولاق).  
وتفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٥٠١. (ط. دار الفكر).



## الفصل الثاني والمَدْعُونَ

### المبحث الأول: دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه

حدثنا القرآن الكريم عن عدة مواقف كانت بين إبراهيم عليه السلام من جهة، وبين أبيه وقومه من جهة أخرى، وذكر لنا في موضع واحد<sup>(١)</sup> محاوره كان الطرفان فيها شخصين اثنين: إبراهيم وآزر، الولد والوالد؛ الولد نبيُّ داعيةً مشفق، والوالد كافر مدعوّ غليظ الفؤاد. لذلك رأيتُ أن أخصّ هذا الموقف بمبحث مستقل لما فيه من الدروس والعبر التي يستفيد منها الدعاة في دعوتهم لأولي قرباهم، ولمن هم أكبر منهم سنًا من الأقربين أو الأبعدين. ثم أتحدث في مباحث ثلاثة عن دعوة إبراهيم عليه السلام لَعَبْدَةِ الأصنام من قومه (وهم أصحاب الأشخاص)، ودعوته لَعَبْدَةِ النجوم (وهم أصحاب الهياكل)، وأختم الفصل الثاني بالحديث عن مُحَاجَّة الخليل عليه السلام للملك.

يقول الله عز وجل:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ

---

(١) جاء في الآية ٧٤ من سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخَذَ آصْنَامًا آلِهَةً، إِنِّي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. وربما كان هذا الموقف الذي فيه شيء من القوة بعد الحوار الوارد في سورة مريم. وعلى كلِّ، فهو لمحة سريعة لم تتخذ شكل الدعوة والأخذ والرد، بل فيه رائحة اللوم من الولد البار للوالد الجبار.

لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً؟! يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جِئْتُكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِيكَ صِرَاطاً سَوِيّاً. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً. يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً. قَالَ: أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ؟! لَنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ، وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً. قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي، إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً. وَاعْتَزَلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً. فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيّاً. وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا، وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً ﴿١﴾.

يخاطب الله جلّ وعلا رسوله محمداً ﷺ ويأمره أن يقصّ على قومه الذين يعبدون الأصنام قصة إبراهيم، خليل الرحمن «الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملّته... مع أبيه، كيف نهاه عن عبادة الأصنام» (٢) وهذا نظير قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾ (٣).

ابتدأ إبراهيم عليه السلام دعوته لأبيه بقوله: يا أبت (٤) تذكيراً له بالصلة القوية التي تربط بينهما، وهي رابطة الأبوة والبنوة، وما يكون عادة بين الولد والوالد من محبة أحدهما للآخر، وحرصه على مصلحته، وتضحيته من أجله.. وأخذ يكرر هذا النداء في صدر كل جملة يخاطب بها أباه استمالة له، وترقيقاً لقلبه (٥). وهنا تبدو «شخصية إبراهيم الحلیم... تبدو وداعته وحلمه في ألفاظه وتعبيراته... وفي تصرفاته ومواجهته للجهالة من أبيه» (٦).

يقول إبراهيم: «يا أبت، لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ

(١) مريم: ٤١ - ٥٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ١٢٣ (طبعة دار الفكر).

(٣) الشعراء: ٦٩.

(٤) النداء فيه عوض عن ياء المتكلم، فالأصل فيه: يا أبي. انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين الشنقيطي: ج ٤ ص ٧.

(٥) انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طيارة: ص ١٠٩ - ١١٠.

(٦) في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٤ ص ٢٣١١.



شيئاً؟!« والأصل في العبادة أن يتوجه بها الإنسان إلى مَنْ هو أعلى منه وأعلم وأقوى، وأن يرفعها إلى مقامٍ أسمى من مقام الإنسان وأسنَى. فكيف يتوجّه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان، إلى جمادٍ لا حياةَ فيه، ولا سمعَ له ولا بصر، ولا قدرةَ ينفع بها أو يضر<sup>(١)</sup>.

يقول الألويسي<sup>(٢)</sup> تعليقاً على هذه الآية الكريمة: «ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج، واحتجّ عليه أبدع احتجاج، بحسن أدب وخلق ليس له من هاج، لثلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب<sup>(٣)</sup> بالكلية عن سبيل الرشاد، حيث طلب منه علّة عبادته لما يستخفّ به عقل كل عاقل، من عالم وجاهل، ويأبى الركون إليه، فضلاً عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم، مع أنها لا تحقق إلّا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام...».

ويقول الشهرستاني<sup>(٤)</sup>: «... ولما كان أبوه آزر هو أعلم القوم بعمل الأشخاص والأصنام، ورعاية الإضافات النجومية فيها حق الرعاية، ولهذا كانوا يشتركون منه الأصنام لا من غيره، كان أكثر الحُجج معه، وأقوى الإلزامات عليه. فقال له: (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً؟) لأنك جهدت كل الجهد، واستعملت كل العلم، حتى عملت أصناماً في مقابلة الأجرام السماوية، فما بلغت قوتك العلمية والعملية إلى أن تُحدث فيها سمعاً وبصراً، وأن تغني عنك، وتضرّ وتنفع. وأنت بفطرتك وخلقك أشرف درجة منها، لأنك خلقت سميعاً بصيراً، نافعاً ضاراً. والآثار

(١) انظر في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٤ ص ٢٣١١.

وغرائب القرآن ورغائب الفرقان - النيسابوري: ج ١٦ ص ٥٣ (بهامش تفسير الطبري، طبعة بولاق).

(٢) روح المعاني: ج ١٦ ص ٩٧ وانظر تفسير المراغي: ج ١٦ ص ٥٦.

(٣) هكذا في الأصل، والأصوب أن يقول: ولا يتنكب. يقال: تنكّب الطريق: تجنّب. (انظر:

المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٩٥٩).

(٤) الملل والنحل: ج ٢ ص ١٠٩ وما بعدها.

السماوية فيك أظهر منها في هذا المُتخذ تكلفاً، والمعمول تصنعاً. فيا لها من حيرة! إذ صار المصنوع بيدك معبوداً لك، والمصنوع أشرف من الصانع!!».

ولا يخفى أن الشهرستاني لم يستوح النص القرآني فحسب، بل لجأ إلى علمه بأحوال قوم إبراهيم عليه السلام، وما كانوا عليه من العقائد والعبادات فحاول أن يربط بينها وبين الآيات القرآنية. وهذا منهج لا أميل إليه، بل أرى أن يظل النص القرآني صافياً من مثل هذه التعليقات، لا يتخلله إلا ما ورد من المأثور في تفسيره، أو ما دلت اللغة عليه. ومن أراد أن يعلق ويستنبط فله ذلك - إذا أقام الدليل - ولكن على أن يفصل بين النص القرآني وبين تعليقاته واستنباطاته.

ثم يقول إبراهيم عليه السلام: «يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك، فاتبعني أهدك صراطاً سوياً».

«لم يَسِمَ أباه بالجهل المفرط، وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم الفائت، وإن كان كذلك، بل أبرز نفسه في صورة رفيقٍ له، يكون أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق، فاستماله برفقٍ حيث قال: ﴿فاتبعني، أهدك صراطاً سوياً﴾، أي: مستقيماً موصلاً إلى أسنى المطالب، مُنحياً عن الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب»<sup>(١)</sup>.

وحتى لا يشعر أبوه بالغضاظة لاتباع ابنه، وهو الوالد الأكبر سناً، والأكثر خبرة وتجربة في الحياة، لم يُسند إبراهيم عليه السلام العلم إلى نفسه ويقول: إني أعلم ما لا تعلم، بل قال: ﴿إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ فلا فضل لي في هذا، وإنما هو ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾<sup>(٢)</sup>، وإنك إذا اتبعني من حيث الظاهر، فإنك في الحقيقة تتبع أمر الله: ﴿من يطع الرسول

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - أبو السعود: ج ٣ ص ٥٨٥.

(٢) المائدة: ٥٤.

فقد أطاع الله ﴿١﴾ وهب أنه اتبع ابنه ظاهراً وباطناً، فأَيُّ ضير في هذا، أليس الحقُّ أحقُّ أن يُتبع؟! .

ويمضي إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه خطابَ المُحبِّ المُشفق، العالم بسوء ما يُحذّر منه، المتأدّب مع مَنْ هو أكبر منه، الحليم الصبور في ذلك كلّهُ: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان، إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ (٢) ومعلوم أن أزر لم يكن يعبد الشيطان ويؤلهه، بل كان يعبد الأصنام، ولكنَّ عبادته للأصنام هي من تسويل الشيطان ووسوسته، فكأنه بعبادته لها عابداً له (٣). كما قال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين؟!﴾ (٤). وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ تعليل لسبب النهي، أي: لا تطع الشيطان لأنه عاصٍ للرحمن. واستعمال لفظ الرحمن دون سواه في هذا المقام فيه إشارة غاية في اللطف، وهي: أن الرحمن قد شمل أزر برحمته، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فرزقه السمع والبصر... وما لا يُحصى من نِعَم، فكيف يطيع من عصى الرحمن؟ «ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص، وكل من هو عاص حقيق بأن تُستردَّ منه النِّعم، ويُتقم منه» (٥).

ويتابع خليل الله نُصَحَهُ: ﴿يا أبت إني أخاف أن يمَسَّك (٦) عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان ولياً﴾ .

(١) النساء: ٨٠.

(٢) عصياً: أي: عاصياً، فهو فعيل بمعنى فاعل - انظر: مختار الصحاح - للرازي: ٤٣٨ وزاد المسير لابن الجوزي: ج ٥ ص ٢٣٦.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي: ج ٥ ص ٢٣٥ وتفسير ابن كثير: ج ٣ ص ١٢٣ (طبعة دار الفكر). وأضواء البيان - لمحمد الأمين الشنقيطي: ج ٤ ص ٣٠٨.

(٤) يس: ٦٠.

(٥) روح المعاني - للألوسي: ج ١٦ ص ٩٧.

(٦) مَسَّ الشَّيْءُ، يَمَسُّهُ، مَسًّا. ومَسَّهُ العذابُ: أصابه. انظر المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٨٧٥ - وانظر في الاستعمال القرآني للكلمة: البقرة: ٢١٤ - الأنفال: ٦٨ - النحل: ٥٣ - الإسراء:

٦٧ - النور: ١٤ - يوسف: ٨٨ - الأعراف: ١٨٨ - هود: ١١٣ - ... إلخ.

وهذا «تحذير من سوء عاقبة ما هو فيه من عبادة الأصنام . والخوف . . . توقعُ المكروه عن أمانة مضمونة أو معلومة، فهو غير مقطوع فيه بما يُخاف . ومن هنا قيل : إن في اختياره مجاملةً»<sup>(١)</sup> لأبيه، فهو لم يهدده ويجزم له بأن عذابَ الله مصيبُه . وخالف الطبري هذا فقال<sup>(٢)</sup> : «والخوف في هذا الموضوع بمعنى العلم، كما الخشية بمعنى العلم في قوله : ﴿فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً﴾»<sup>(٣)</sup> . ويبدو لي أن هناك فرقاً بين الآيتين : فالمتكلم في آية الكهف - وهو الخضر عليه السلام<sup>(٤)</sup> - قدّم هذا التعليل لموسى عليه السلام بعد أن قام بقتل الغلام تنفيذاً لأمر الله، وأسند فعل الخشية إلى الجمع المتكلم، فلم يقل : فخشيتُ، وفي هذا إشارة واضحة إلى أمر الله بالقتل، وعلم الله السابق بما سيكون عليه حال الغلام . أما إبراهيم عليه السلام فهو - وإن كان يعلم مصير أبيه بوحي من الله - لم يقل : إنني أعلم أنه سيصيبك عذاب من الرحمن، بل قال : إنني أخاف . . . ولا يخفى الفرق الكبير بين التعبيرين، والله أعلم .

«وتنوين (عذاب) . . . يحتمل التعظيم والتقليل : أي عذاب هائل أو أدنى شيء منه . وإضافة العذاب إلى الرحمن على ترجيح الثاني»<sup>(٥)</sup> أي : التقليل من العذاب، لأن المعدّب ليس رحيماً فحسب، بل هو رحمن، ومن رحمته ورحمانيته ألا يشتدّ في العذاب . رأيت إلى الأب العاقل - ولله المثل الأعلى - عندما يضرب ابنه عقاباً على ذنب جناه، كيف يضربه وقلبه مملوء رحمة عليه، ولا يضربه بشدة وغلظة، وقسوة وانتقام وكأنه عدو له أكل ماله أو هدّد عياله .

(١) روح المعاني - للألوسي : جـ ١٦ ص ٩٧ .

(٢) تفسري الطبري : جـ ١٦ ص ٦٨ . وانظر بهامشه تفسير النيسابوري : ص ٥٤ (طبعة بولاق) .

(٣) الكهف : ٨٠ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير : جـ ٣ ص ٩٢ (طبعة دار الفكر) .

(٥) روح المعاني - للألوسي : جـ ١٦ ص ٩٧ .

واختار أبو السعود تنوين (عذاب) للتعظيم، «وأن التنكير يفيد الفخامة، وإظهارُ الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب، كما قال تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾»<sup>(١)</sup> «(٢)». وإني أؤيد هذا الرأي، لأن مقام إبراهيم عليه السلام مع أبيه كان مقام تخويفٍ من عذاب الله، والتقليل من العذاب، والتوكيدُ على رحمة المعذَّب، مما يُطمع العاصي بالاستمرار في عصيانه ولا يزرجه عنه. فأنت لو أردت أن تهدد رجلاً قد أمسك بـغلام يريد قتله وتخوِّفه من العذاب الذي ينتظره إن ارتكب جريمته، لا تتحدث عن رأفتك ولينك، بل عن قوتك وقدرتك، ولا تقول له: إذا قتلْتَ الغلام سأضربُكَ، أو سأخذ من مالك كذا وكذا، بل تقول مثلاً: بأنك ستميته ميتة أبشع من ميتة الغلام، وربما هددته بقتل مَنْ يحب من زوجة أو ولد. والله تعالى أعلم.

ومعنى قول إبراهيم عليه السلام لأبيه: «فتكون للشيطان ولياً»، أي: قربنا في عذاب الله، فجرت المقارنة مجرى الموالة»<sup>(٣)</sup>، «والولاية للشيطان بهذا المعنى تترتب على مسّ العذاب العظيم»<sup>(٤)</sup>.

انتهى خليل الله عليه السلام من بسط حججه بين يدي أبيه وانظر الجواب، فماذا كان جواب الوالد على نصح الولد وحبه وشفقته؟ وكيف قابل أدبه الجَمِّ، وتلَطَّفَه الشديد، وحرصه ألا يجرح كبرياء أبوته بكلمة قاسية أو تعبير غليظ؟.

قال آزر: «أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم! لئن لم تنته لأرجمك واهجرني ملياً!!».

(١) الانفتار: ٦.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ج ٣ ص ٥٨٦.

(٣) زاد المسير - لابن الجوزي: ج ٥ ص ٢٣٦.

(٤) روح المعاني - للالوسي: ج ١٦ ص ٩٨. والولي: من الموالة، وهي المتابعة والمصادقة.

المرجع السابق: الصفحة نفسها.

لم يجد حجة يقارعه بها، ولا دليلاً يناقض دليله، بل لم يكلف نفسه عناء تسفيه رأي ابنه، وإبطال مُعْتَقَدِهِ، فلجأ إلى هيمنة الوالد على الولد، وخاطبه خطاب العنف والجفوة فقال له: ﴿أراغب أنت عن آلهتي﴾... قالها وقد أخذته العزة بالإثم، والاستعلاء بالباطل، فأضاف الآلهة إلى نفسه ليبيّن لابنه شدة قربه منها، واستعداده للدفاع عنها، ويشير لابنه بأن هذه الآلهة ليست له، ولن ينال رحمتها وبركتها لأنه يعيها ويسفهاها. «ولم يقل آزر لابنه: يا ولدي، مقابل خطاب إبراهيم عليه السلام: يا أبت، بل سمّاه باسمه»<sup>(١)</sup> ولا يخفى ما في هذا من الجفاء والقسوة، مقابل العطف والرحمة من قبل إبراهيم عليه السلام.

ثم هدّده بالرجم إن لم ينته عمّا هو فيه من دعوة إلى الهدى، ومحاربة للضلال، وفي معنى الرجم «ذكر قولان:

أحدهما: بالثتم والقول، وهذا مروى عن ابن عباس ومجاهد.

والثاني: لأرجمك بالحجارة حتى تتباعد عني، وهو مروى عن الحسن<sup>(٢)</sup> والأول خلاف الظاهر، والثاني أرجح وأظهر. وأمره بعد ذلك أن يهجره ويتعد عنه، فهو لم يعد يطيق حتى قربه، لذا قال له: ﴿واهجرني<sup>(٣)</sup> ملياً<sup>(٤)</sup>﴾ أي اتركني طويلاً ولا تُعُدْ إليّ بعد وقت قصير لتجدد لي دعوتك.

(١) أضواء البيان - محمد الأمين الشنقيطي: ج ٤ ص ٣٠٩.

(٢) زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٢٣٧ وانظر:

تفسير المراغي: ج ١٦ ص ٥٧.

ومحاسن التأويل - القاسمي: ج ١١ ص ٤١٤٧.

وتفسير غريب القرآن - ابن قتيبة: ص ٢٧٤.

وأساس البلاغة - الزمخشري: ج ١ ص ٣٢٦.

(٣) يقال: هَجَرَهُ هَجْرًا (بالفتح)، وهَجْرَانًا (بالكسر): صَرَمَهُ. وَهَجَرَ الشَّيْءَ: تَرَكَهُ، كَاهْجَرَهُ.

ترتيب القاموس المحيط - الزاوي: ج ٤ ص ٤٨١، والمصباح المنير - للفيومي: ج ٢ ص

٣٠٦.

(٤) ملياً: فيه قولان: أحدهما: اهجرني طويلاً، وبه قال الأكثرون. والثاني: اجتنبي سالمًا قبل =

«بهذه الجهالة تلقى الرجل الدعوة إلى الهدى، وبهذه القسوة قابل القول المؤدب المهذب. وذلك شأن الإيمان مع الكفر، وشأن القلب، الذي هدّبه الإيمان والقلب الذي أفسده الكفر.

«ولم يغضب إبراهيم الحليم، ولم يفقد برّه وعطفه وأدبه مع أبيه»<sup>(١)</sup> بل قال له: ﴿سلام عليك﴾ «توديعٌ ومُتاركةٌ على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة، فإن ترك الإساءة للمسيء إحسان»<sup>(٢)</sup>. وهذا خطاب المؤمنين للجاهلين.

قال تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً. وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه. وقالوا: لنا أعمالنا. ولكم أعمالكم \* سلامٌ عليكم. لا نبتغي الجاهلين﴾<sup>(٤)</sup>.

ولم يكتف إبراهيم الحليم عليه السلام بالسلام على أبيه، بل وعده بأن يستغفر له، لأنه - على الرغم من كل ما كان منه - يريد نجاته وفلاحه، فقال له: ﴿سأستغفر لك ربّي إنه كان بي حفيماً﴾ أي: لطيفاً، رحيماً، باراً، عودني منه الإجابة إذا دعوه»<sup>(٥)</sup>.

«والاستغفار للكافر بمعنى طلب الهداية له قبل تبين أنه يموت على الكفر جائز، أما بعد تبين ذلك فلا يجوز»<sup>(٦)</sup>. ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه

---

= أن تصيبك عقوبتي... فالمعنى: اهجرني وعرضك وافر وأنت سليم من أذاي. انظر: زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٢٣٧.

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٤ ص ٢٣١٢.

(٢) روح المعاني - الألوسي: ج ١٦ ص ١٠٠. وانظر: أضواء البيان - محمد الأمين الشنقيطي: ج ٤ ص ٣٠٩.

(٣) الفرقان: ٦٣.

(٤) القصص: ٥٥.

(٥) زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٢٣٨.

وتفسير غريب القرآن - ابن قتيبة: ص ٢٧٤.

(٦) انظر: روح المعاني - الألوسي: ج ١٦ ص ١٠٠.

إلا عن موعدة وعدّها إيساه. فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. إن إبراهيم لأواه حلِيم ﴿١﴾.

وبعد أن تبين لإبراهيم عليه السلام أن أباه لن يستجيب له، صارحه بأنه سيعتزله وقومَه، وابتعد عنهم وعن آلهتهم التي يزعمون، وينصرف إلى دعاء ربه الواحد الأحد، ليسعد بدعائه وينال رضوانه. وقد كان إبراهيم عليه السلام غايةً في التأدب مع ربه عز وجل، فقال: «عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً»<sup>(٢)</sup>. فلما اعتزلهم في الله، أبدله الله من هو خير منهم من الأولاد والأحفاد، الأنبياء الصالحين، ووهب لهم من رحمته، وجعل لهم لسان صدق علياً. فنعم المُجازي ونعم المُجازي، ونعم الجزاء<sup>(٣)</sup>.

### المبحث الثاني: دعوته لقومه

لما كان قوم إبراهيم عليه السلام ينقسمون في معتقداتهم إلى قسمين: قسم يعبد الأصنام، وهم أصحاب الأشخاص، وقسم يعبد الكواكب، وهم أصحاب الهياكل، فأني سأحدث عن دعوته لكل قسم منهما على حدة.

أ- دعوته لعبدة الأصنام:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رُشدَه من قبلُ وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين. قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلالٍ مُبين. قالوا: أجنثنا بالحق أم أنت من اللّاعبين؟ قال: بل ربكم ربُّ السماواتِ

(١) التوبة: ١١٤، وانظر: تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٤٦١.

(٢) انظر: محاسن التأويل - القاسمي: ج ١١ ص ٤١٤٩، وتفسير المراغي: ج ١٦ ص ٥٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٤٦٢.

وزاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٢٣٨.

وزاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٢٣٨.

والمعجزة الكبرى، القرآن - محمد أبو زهرة: ص ١٦٧ - ١٦٨.



والأرض الذي فطرهن، وأنا على ذلكم من الشاهدين. وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مُدبرين. فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون. قالوا: مَنْ فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا: سمعنا فتى يذكرهم يُقال له: إبراهيم. قالوا: فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون. قالوا: أنتِ فعلتِ هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوهم إن كانوا ينطقون! فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا: إنكم أنتم الظالمون. ثم نكسوا على رؤوسهم، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون. قال: أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم؟! أف لكم ولما تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون؟! ﴿١﴾.

إن الله تبارك وتعالى قد هدى إبراهيم عليه السلام إلى الحق، وعرفه طريق الصواب<sup>(٢)</sup> من قبل أن يكون نبياً، بل من قبل أن يبلغ مبلغ الرجال<sup>(٣)</sup>. وكان الله سبحانه عالماً بأن إبراهيم عليه السلام أهل لما آتاه، جامع لمكارم الأخلاق التي تؤهله للخلة والاصطفاء<sup>(٤)</sup>، ف﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾<sup>(٥)</sup>.

بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته لقومه بالسؤال، فقال لهم: ﴿ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟﴾.

وهذه طريقة حسنة ناجعة، ينبغي للداعية أن يفتن إليها، فلا يلجأ دائماً إلى الوعظ والإرشاد، أو تقرير الحقائق التي يريد أن يدعو إليها، فتلك طريقة قد تصدّ قلب السامع عن الإصغاء إليه، وإنما يسلك سبيل الحوار مع

(١) الأنبياء: ٥١ - ٦٧.

(٢) انظر: الكشاف - الزمخشري: ج ٢ ص ٥٧٥.

(٣) قيل في تفسير قوله: «من قبل» أي: من قبل موسى وهارون عليهما السلام. والذي أميل إليه ما ذكرته في المتن، لأنه أليق بمقام خليل الرحمن. انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن - صديق حسن خان: ج ٦ ص ١٦٣.

(٤) محاسن التأويل - القاسمي: ج ١١ ص ٤٢٧٩.

(٥) النساء: ١٢٤.

من يدعو، وفي الحوار سؤال وجواب، والسؤال المحكم الدقيق يؤدي إلى جواب يريد الداعية أن يستخرجه من خصمه أو ممن يخاطب، فيجعل هذا الجواب حجة عليه، يبين له خطأ ما هو فيه، وبطلان ما يعتقد به.

﴿ما هذه التماثيل؟﴾ ابتدأ عليه السلام سؤاله بـ (ما) التي يُطلب بها بيان الحقيقة أو شرح الاسم، من باب تجاهل العارف، كأنه لا يعرف ما هي، وأشار إليها بما يُشار به للقريب، وهذا وذاك تحقير لها، وتصغير لشأنها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها<sup>(١)</sup>. وأراد بالتماثيل<sup>(٢)</sup> الأصنام التي يتوجهون إليها بالعبادة، يعكفون<sup>(٣)</sup> على ذلك وقيمون عليه.

وورد نظير هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام لقومه في موضع آخر من القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿واتلُ عليهم نبأ إبراهيم. إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون؟ قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين﴾<sup>(٤)</sup> ثم ناقشهم الخليل عليه السلام في سبب عبادتهم لها، هل يستجلبون بذلك نفعاً أو يدفعون ضرراً: ﴿قال: هل يسمعونكم إذ تدعون؟ أو ينفعونكم أو يضرون؟﴾<sup>(٥)</sup> فكان جوابهم أنهم يقلّدون آباءهم، وكفى بذلك سبباً: ﴿قالوا: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾<sup>(٦)</sup> «وهو جواب يدل على التحجر العقلي والنفسي داخل قوالب التقليد الميّنة، في مقابل حرية الإيمان، وانطلاقه للنظر والتدبر، وتقويم الأشياء والأوضاع بقيمتها الحقيقية لا التقليدية»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر روح المعاني - الألوسي: ١٦ ص ٥٩،

والكشاف - الزمخشري: ج ٢ ص ٥٧٥.

(٢) أصل التمثال: الشيء المصنوع المشابه لشيء من مخلوقات الله سبحانه... وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب، شبيهة بخلق الأدمي أو غيره من الحيوانات. فتح البيان - صديق حسن خان: ج ٦ ص ١٦٤.

(٣) العكوف: الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم. المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني: ص ٣٤٢.

(٤) الشعراء: ٦٩ - ٧١.

(٥) الشعراء: ٧٢ - ٧٣.

(٦) الشعراء: ٧٤.

(٧) في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٤ ص ٢٣٨٥.

بعد هذا الجواب القائم على غير حجة أو برهان، يفجأ إبراهيم قومه بما لم يتوقعوه منه فيقول: ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾<sup>(١)</sup>.

وحسب قوم إبراهيم عليه السلام أن هذا القول مداعبةً ومزاح، وأن إبراهيم لم يكن جاداً فيه؛ فهم لا يخطر ببالهم أن يكونوا على ضلال في عبادتهم لهذه الآلهة وتعظيمهم لها، فسألوه: ﴿أجئنا بالحق، أم أنت من اللاعيبين؟!﴾<sup>(٢)</sup> والاستفهام هنا ليس على ظاهره، بل هو استفهامٌ مُستبعدٌ مُتعجبٌ<sup>(٣)</sup>.

ويمضي الحوار بين إبراهيم وقومه: ﴿قال: بل ربكم ربّ - السموات والأرض الذي فطرهنّ، وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾.

إن المتأمل لهذا الجواب يُدرك أنّ إبراهيم عليه السلام قصد به «إمّا الإضراب عما بنوا عليه مقالتهم في اعتقاد كونها أرباباً لهم... كأنه يقول: ليس الأمر كذلك (بل ربكم)؛ أو الإضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادعاه...»<sup>(٤)</sup> والأول أولى عندي وأظهر، فإبراهيم عليه السلام بيّن لهم أنّ ربّهم هو الذي خلق السموات والأرض وفطرهن<sup>(٥)</sup> بما فيهن، لا هذه الحجارة الصمّ المخلوقة التي لا تسمع ولا تبصر. وشهادته على ذلك إقامة الحجة عليه، فكأنه قال: وأنا أبيّن وأبرهن عليه لأنني لست مثلكم، أقول ما لا أقدر على إثباته، فأنتم حين عجزتم عن الاحتجاج لمذهبكم لم تزيدوا على أن قلتكم إنكم وجدتم عليه آباءكم<sup>(٦)</sup>.

(١) في الإتيان بـ (في) الظرفية دلالة على تمكّنهم في ضلالهم، وأنه ضلال قديم موروث، فهو

أبلغ من (ضالين). انظر محاسن التأويل - القاسمي: ج ١١ ص ٤٢٧٩.

(٢) انظر: الكشف - الزمخشري: ج ٢ ص ٥٧٥.

(٣) انظر: روح المعاني - الألوسي: ج ١٦ ص ٦٠.

(٤) انظر: محاسن التأويل القاسمي: ج ١١ ص ٤٢٨٠.

(٥) يمكن أن يكون الضمير في فطرهن إما راجعاً إلى السموات، كما اخترت، أو إلى التماثيل.

قال الزمخشري: وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم. الكشف:

ج ٢ ص ٥٧٦.

(٦) انظر المرجع السابق: الصفحة نفسها.

وينتقل الخليل عليه السلام من القول إلى الفعل، من مرحلة تغيير المنكر باللسان إلى مرحلة تغييره باليد، فالقوم لم يستجيبوا له، ولم يقبلوا حجته مع أنها أوضح من الشمس. وهذا أيضاً درس للدعاة، فعليهم إذا لم يُجَدِّ القول أن يتحولوا إلى الفعل، ولكن مع مراعاة الحكمة الكاملة، والتأكد من أنه لن ينجم عن المنكر الذي يسعون لإزالته باليد منكر أكبر منه بسبب ذلك السعي.

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾. أقسم أن يكيد<sup>(١)</sup> أصنامهم بعد أن يتركوها ويمضوا لشأنهم منصرفين عنها. «وكان لهم عيد في كل سنة يخرجون إليه ولا يخلفون بالمدينة أحداً. فقالوا لإبراهيم: لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم. فلما كان ببعض الطريق، قال: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال سرا منهم: ﴿والله لأكيدن أصنامكم﴾، فسمعه رجل منهم فأفشاه عليه، فرجع إلى بيت الأصنام... فكسرها، ثم وضع الفأس في عنق الصنم الكبير، فذلك قوله: ﴿فجعلها جذاذاً﴾<sup>(٢)</sup> أي: فُتاتاً، وكل شيء كسرتَه فقد جذذته<sup>(٣)</sup>.

ورجع قوم إبراهيم من عيدهم ليجدوا آلهتهم حطاماً متناثراً على الأرض، وكبيرهم منتصب قد علّق الفأس في عنقه، إذ لم يشأ الخليل عليه السلام إلحاقه برفاقه، ليقم لعبدته دليلاً ملموساً محسوساً على بطلان ما يعبدون<sup>(٤)</sup>.

(١) أي: أن يريد بها سوءاً. والكيد: احتيال الكائد في ضُرّ المكيد.

انظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٤٤٣، وزاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص

٣٥٦.

(٢) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٩٠.

(٣) زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٣٥٨.

(٤) في هاء الكناية الواردة في قوله تعالى: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ قولان: أحدهما أنها ترجع إلى الصنم: يرجعون إليه فيشاهدونه، أو يرجعون إليه بالتهمة. والثاني: أنها ترجع إلى إبراهيم. =

قال الزمخشري<sup>(١)</sup>: «ومعنى هذا: لعلهم يرجعون إليه كما يُرجع إلى العالم في حلّ المشكلات فيقولون له: ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحاً والفأس على عاتقك؟ قال هذا، بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم، وتعظيمهم لها. أو قاله، مع علمه أنهم لا يرجعون إليه، استهزاء بهم واستجهاً، وأن قياس حال من يُسجد له... أن يُرجع إليه في حلّ كلّ مشكل. فإن قلت: فإذا رجعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الإشراك في أعراقهم، فأى فائدة دينية في رجوعهم إليه، حتى يجعله إبراهيم صلوات الله عليه غرضاً؟ قلت: إذا رجعوا إليه تبينوا أنه عاجز لا ينفع ولا يضرّ. وظهر أنهم في عبادتهم على جهل عظيم».

وغضب عبّاد الأصنام لتحطيم آلهتهم المزعومة، وتساءلوا<sup>(٢)</sup> عن الذي فعل هذه الفعلة الشنعاء في أثناء غيابهم، وحكموا عليه أنه من الظالمين. فجاء الجواب ممن سمع قول إبراهيم: «لأكيّد أصنامكم»: سمعنا شاباً يعيب آلهتنا ويذكرها<sup>(٣)</sup> بسوء، هذا الشاب يدعى إبراهيم. فقال السائلون: اتوا به على مرأى من الناس، ليشهدوا<sup>(٤)</sup> عقابه، فينجز غيره عن مثل فعله. وكان هذا هو الهدف الأكبر لإبراهيم عليه السلام، فهو يريد أن يفضح جهلهم في هذا المحفل العظيم ويبين قلة عقلهم في عبادتهم هذه الأصنام<sup>(٥)</sup>.

= والمعنى لعلهم يرجعون إلى دين إبراهيم بوجوب الحجة عليهم. زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٣٥٨.

(١) الكشاف: ج ٢ ص ٥٧٦.

(٢) قيل: إنَّ مَنْ في قوله: «مَنْ فعل هذا...؟» ليست استفهامية، بل هي مبتدأ، وخبرها: «إنه لمن الظالمين»: أي: فاعل هذا ظالم. الأول أولى، لقولهم: «سمعنا فتى...». انظر: فتح القدير - الشوكاني: ج ٣ ص ٤١٤.

(٣) يذكرهم: يعيهم. تقول للرجل: لئن ذكرتني لتندمّن، تريد: بسوء. زاد المسير: ج ٥ ص ٣٥٩.

(٤) «لعلهم يشهدون» فيه ثلاثة أقوال: ١ - يشهدون أنه قال لآلهتنا ما قال. ٢ - يشهدون أنه فعل ذلك. ٣ - يشهدون عقابه وما صنع به. انظر: زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٣٥٩.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٥٧٠.

وجيء بإبراهيم عليه السلام، وسُئل هل هو الذي حطّم الآلهة وهشمها، فأجاب إجابته الساخرة، وسدّد سهمه المحكم إلى عقولهم فقال: ﴿بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾<sup>(١)</sup>!!! وإنما أراد بسؤاله هذا أن يبادروا إلى الاعتراف بأنهم لا ينطقون، وأنهم جماد لا يملكون حراكاً فلا يمكن أن يصدر هذا الفعل عنهم<sup>(٢)</sup>.

وكانت صدمةً عنيفةً ردتهم إلى الصحوة من سكرتهم، فرجع بعضهم إلى بعض، ورجع كل منهم إلى نفسه متفكراً فيما كان عليه من الضلال<sup>(٣)</sup>، وتبين لبعضهم أنهم كانوا ظالمين<sup>(٤)</sup> بعبادتهم هذه الحجارة التي لا تدفع عن نفسها ضرراً، ولا تستجلب نفعاً، فكيف تقدر على ذلك لسواها. وشعروا بأنهم قد قُهرُوا وعُلبُوا فأخذتهم العزة بالإثم، لذا التفتوا إلى إبراهيم عليه السلام وقالوا: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فكيف نسألهم من فعل ذلك بهم، وكيف نسأل كبيرهم؟! عندئذ سدّد الخليل عليه السلام سهمه المحكم الثاني وقال: ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم؟!﴾ وأعلن

(١) انظر: فتح القدير - الشوكاني: ج ٣ ص ٤١٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٥٧٠ ودلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني: ص ٨٦.

(٣) يقال: نكسه، ينكسه، نكساً: قلبه، وجعل أعلاه أسفله. ويُقال من هذا: نكس رأسه، ونكس على رأسه: إذا طأطأ رأسه ذلاً وانكساراً. ويقال أيضاً: نكس على رأسه: إذا عاد إلى الضلال بعد الرشاد، وهو على التشبيه، كأنما قلب على رأسه. (معجم ألفاظ القرآن الكريم: ج ٢ ص ٧٦٢). وجاء في زاد المسير: تقول: نكست فلاناً على رأسه: إذا قهرته وعلوته: ج ٥ ص ٣٦٥. وهذا الذي اخترته في المتن.

(٤) في لفظ «الظالمون» خمسة أقوال:

- ١ - حين عبدتم من لا يتكلم.
- ٢ - حين تتركون آلهتكم وحدها وتذهبون.
- ٣ - في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير.
- ٤ - لإبراهيم حين اتهمتموه والفأس في يد كبير الأصنام.
- ٥ - أنتم ظالمون لإبراهيم حين سألتموه، وهذه أصنامكم حاضرة فاسألوها. زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٥ ص ٣٦٤.

بَرَمَهُ بِهِمْ وَبِآلِهَتِهِمْ وَاسْتَهْزَأَهُ بِعُقُولِهِمْ، تَصْرِيحاً دُونَ تَلْمِيحٍ: ﴿أَفْ (١) لَكُمْ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟!﴾ فَلَمَّا أَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ غَضِبُوا، وَقَالُوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾!

وهذا درس آخر يتعلمه أصحاب الدعوات. فلا يظنوا أن سلاح العلم والمنطق، والحجة والبرهان، ماضٍ مع كل إنسان.. لا، فهناك مكابرون، يعرفون الحق ويزيغون عنه، ويرون الصواب ويحيدون عنه، لهوى في نفوسهم، ولاستحواذ الشيطان عليهم. لا شك أن سلاح العلم والمنطق، والحجة والبرهان، من أقوى الأسلحة التي يجب على الداعي أن يستعدَّ بها، ولكنه وحده لا يكفي، إذ يأتي وقت يصدق فيه قول الشاعر:

السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتبِ في حَذِّهِ الحَدَّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ (٢)  
وقد ذكر القرآن الكريم في موضع آخر حوار خليل الرحمن مع قومه من عبدة الأصنام فقال تعالى حاكياً قوله لأبيه وقومه:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: مَاذَا تَعْبُدُونَ؟ أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ؟ فَمَا ظَنَنْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَقَالَ: إِنِّي سَقِيمٌ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ. فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ: أَلَا تَأْكُلُونَ؟! مَا لَكُمْ لَا تَنْتَقُونَ؟! فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ. فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ. قَالَ: أَعْبُدُونَ مَا تَنْحَتُونَ. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ؟ قَالُوا، ابْنُوا لَهُ بَنِيانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ. فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٣).

(١) أف: اسم فعل معناه: أنضجر، ويقال لما يكره ويستنقل: أف له. معجم ألفاظ القرآن

الكريم: ج ١ ص ٤٠ وقيل: معنى أف لكم: التئن لكم. (زاد المسير: ج ٥ ص ٣٦٥).

(٢) أبو تمام - الديوان: ج ١ ص ٤٠. وانظر: دراسات إسلامية - لسيد قطب: ص ١٣٤ وما بعدها، وهو مقال جيد بعنوان: قوّة الكلمة.

(٣) الصافات: ٨٥ - ٩٨، وانظر: العنكبوت: ١٦ - ١٧. والآيتان هما: «وإبراهيم. إذ قال لقومه:

اعبدوا الله واتقوه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. إنما تعبدون من دون الله آوثاناً، وتخلقون

إفكاً، إن الذين تعبدون من دون الله، لا يملكون لكم رزقاً، فابتغوا عند الله الرزق، واعبدوه

واشكروا له، إليه ترجعون». انظر: تفسير القرطبي: ج ١٣ ص ٣٣٥ وما بعدها.

وسؤال إبراهيم عليه السلام هنا للتوبيخ واللوم أيضاً. فهو يعجب من قومه كيف يريدون الإفك والكذب آلهة يعبدونها<sup>(١)</sup>، ثم يسألهم ما ظنهم برب العالمين أن يصنع بهم إذا لقوه وقد عبدوا غيره. وكان قوم إبراهيم يعبدون النجوم، ويعتنون بالتنجيم - كما مرّ بنا - فنظر الخليل في النجوم نظرة<sup>(٢)</sup> يوهمهم بها أنها أثرت عليه فأصابه المرض<sup>(٣)</sup> لثلاثين يوماً على تخلفه عن مصاحبتهم إلى عيدهم، كي ينفرد في المدينة ويحطم الأصنام، فتركوه ومضوا لشأنهم، فمال<sup>(٤)</sup> إلى آلهتهم، وكانوا قد جعلوا أمامها طعاماً لتبارك فيه على زعمهم، فقال لها مستهزئاً: ألا تأكلون؟ ثم مضى يضربها<sup>(٥)</sup> بفأسه ضرباً شديداً حتى حطمها وجعلها فتاتاً. وعاد القوم من عيدهم ورأوا ما حلّ بآلهتهم، فأقبلوا إلى إبراهيم عليه السلام مسرعين<sup>(٦)</sup>، يسألونه عما حلّ بالأصنام، فأرسل إلى عقولهم سهماً من كنانة حججه التي آتاه الله إياها، وقال لهم: ﴿أتعبدون ما تَنجِتون؟ والله خلقكم وما تعملون؟﴾.

(١) أرجح أن انتصاب «إفكاً» على أنه مفعول به لتريدون، و«آلهة» بدل منه، جعلها نفس الإفك مبالغة. والإفك: أسوأ الكذب. انظر: فتح القدير - الشوكاني: ج ٤ ص ٤٠١.

(٢) قيل: نظر في علم النجوم، وعامل قومه على طريقتهم، وأراهم أنه يعلم من ذلك ما يعلمون. وإنني أستبعد هذا التفسير لورود النهي عن النظر في النجوم (انظر: سنن ابن ماجه: كتاب ٣٣ باب ٢٨، ومسند أحمد: ج ١ ص ٧٨ و٢٢٧ و٣١١)، وهذا النهي وإن كان في شرعنا، وقد يُحتج بأنه لم يكن محرماً على إبراهيم، فإنه لا يليق بنبي أن يتعاطى التنجيم، خاصة وأنه يتلقى الوحي، ولا يخفي ما قد يُسببه ذلك من اختلاط واضطراب لدى المدعويين. والله أعلم.

(٣) سيأتي الحديث على قوله: «إني سقيم» في الباب الخاص برد الشبهات، في فصل: شبهة الكذب، ص ٢٠١.

(٤) يقال: راغ، يروغ، رَوْغاً ورَوَّغَاناً: مال وحاد. وراغ إلى كذا: مال إليه وأقبل عليه سراً. وكذلك: راغ عليه. انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم: ج ١ ص ٥٢٧.

(٥) قال الألويسي: وتقيد الضرب باليمين للدلالة على شدته وقوته، لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّها في الغالب، وقوة الآلة تقتضي شدة الفعل وقوته. روح المعاني: ج ٢٣ ص ١٢٣.

(٦) زَفَوْا إليه: أسرعوا. زَفَ، يَزِفُ، زَفًا، وزَفِيفًا، وزَفُوفًا: أسرع في المشي. والزَفِيفُ في الريح: سرعة الهبوب والظفران مع صوت. انظر: أساس البلاغة - الزمخشري: ج ١ ص ٤٠٢ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية: ج ١ ص ٥٣٧.



«ومع وضوح هذا المنطق وبساطته إلا أن القوم في غفلتهم وفي اندفاعهم لم يستمعوا له، ومتى استمع الباطل إلى صوت الحق...؟ واندفع أصحاب الأمر والنهي فيهم يزاولون طغيانهم في صورته الغليظة: (قالوا: ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم). إنه منطق الحديد والنار الذي لا يعرف الطغاة منطقاً سواه عندما تعوزهم الحجة وينقصهم الدليل، وحينما تخرجهم كلمة الحق الخالصة ذات السلطان المبين ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين﴾.

«وأيّن يذهب كيد العباد إذا كان الله يريد؟ وماذا يملك أولئك الضعاف المهازيل - من الطغاة والمتجبرين وأصحاب السلطان وأعوانهم من الكبراء - إذا كانت رعاية الله تحوط عباده المخلصين؟»<sup>(١)</sup>.

وماذا بعد ذلك؟ ماذا بعد أن يقوم الداعية بما عليه نحو قومه، فيدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن، ولا يكون معهم فظاً غليظاً فينفضون من حوله؟ ماذا إذا أصروا على كفرهم، ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستفشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً﴾<sup>(٢)</sup>. ماذا إذا أراد لهم الهدى وأرادوا له الردى؟ لا بد عندئذ من منابذتهم<sup>(٣)</sup>، وإعلان الحرب عليهم، ومصارحتهم بكفرهم وضلالهم. وهكذا فعل الخليل عليه السلام:

﴿وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾<sup>(٥)</sup>، إذ قالوا

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٥ ص ٢٩٩٣.

(٢) نوح: ٧.

(٣) نابذه الحرب: جاهر بها: المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٩٠٣.

(٤) الزخرف: ٢٦ - ٢٧.

(٥) قيل: من آمن به.

لقومهم: إنا بُرَاءٌ<sup>(١)</sup> منكم، ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً، حتى تؤمنوا بالله وحده، إلا قول إبراهيم لأبيه<sup>(٢)</sup>: لأستغفرن لك، وما أملك لك من الله من شيء، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا، واغفر لنا، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم<sup>(٣)</sup>.

﴿قال: أفرأيتم ما كنتم تعبدون، أنتم وأباؤكم الأقدمون. فإنهم عدوٌ لي إلا ربَّ العالمين. الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يُطعمني ويسقيني، وإذا مرضت فهو يشفين<sup>(٤)</sup>. والذي يميّتي ثم يحيين. والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين...﴾<sup>(٥)</sup>.

ب - دعوته لِعَبْدَةِ الكواكب:

قال الله تعالى: ﴿وكذلك نرى إبراهيمَ ملكوتَ السماواتِ والأرضِ، وليكونَ من الموقنين. فلما جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً، قال: هذا ربِّي، فلما أفل قال: لا أحب الأفلين. فلما رأى القمرَ بازغاً قال: هذا ربِّي، فلما أفل قال: لئن لم يهْدني ربِّي لأكوننَّ من القوم الضالِّين. فلما رأى الشمسَ بازغةً قال: هذا ربِّي، هذا أكبر، فلما أفلت قال: يا قوم إنِّي بريءٌ مما تشركون.

(١) وبراء: جمع بريء، كظريف وظرفاء. البحر المحيط - لأبي حيان: ج ٨ ص ٢٥٤.

(٢) استثناء من قوله ﴿أسوة حسنة﴾. المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) الممتحنة: ٤ - ٥.

(٤) قال ابن الجوزي: إن قيل: لم قال: «مرضت» ولم يقل: «مرضني»؟ فالجواب: أنه أراد الشفاء على ربه فأضاف إليه الخير المحض، لأنه لو قال: «مرضني، لعدّ قومه ذلك عيباً، فاستعمل حسن الأدب. ونظيره قصة الخضر حين قال في العيب: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ (الكهف: ٧٩)، وفي الخير المحض: ﴿فأراد ربك﴾ (الكهف: ٨٢). فإن قيل: فهذا يردّه قوله: ﴿والذي يميّتي﴾، فالجواب: أن القوم كانوا لا ينكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله عزّ وجل، فأضافه إبراهيم إلى الله عزّ وجل. وقوله: ﴿ثم يحيين﴾ يعني: للبعث، وهو أمر لا يُقرون به. وإنما قاله استدلالاً عليهم. والمعنى: أن ما وافقتموني عليه موجب لصحة قولي فيما خالفتموني فيه. زاد المسير: ج ٦ ص ١٢٩.

(٥) الشعراء: ٧٥ - ٨٢.

إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً. وما أنا من المشركين. وحاجه قومه. قال: أتحتاجونني في الله وقد هدان. ولا أخاف ما تُشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً. وسيع ربي كل شيءٍ علماً أفلا تتذكرون؟! وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم يُنزل به عليكم سلطاناً، فأَيُّ الفريقين أحقُّ بالأمن، إن كنتم تعلمون؟ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. وتلك حُججتنا آتيناها إبراهيم على قومه، نرفع درجاتٍ من نشاء، إن ربك حكيمٌ عليمٌ ﴿١﴾.

سلك إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في دعوته لعبدة الكواكب من قومه طريقاً غير التي سلك مع أبيه ومع عبدة الأصنام. فهو مع أبيه يتبع أسلوب النصح اللين الرفيق، والمحاجة الهادئة العاقلة، وهو مع عبدة الأصنام يتبع طريقة تغيير المنكر باليد بعد أن لم يُجد اللسان، وهو هنا مع أصحاب الهياكل عبادة النجوم اتبع طريقة الموافقة في العبارة من أجل إلزام الخصم ﴿٢﴾.

لقد أرى ﴿٣﴾ الله تعالى إبراهيم عليه السلام ملكوت ﴿٤﴾ السماوات

(١) الأنعام: ٧٥ - ٨٣.

(٢) انظر: الملل والنحل - الشهرستاني: ج ٢ ص ٥٩.

(٣) معنى «ثري»: أربناه، حكاية حال ماضية. انظر: فتح البيان - صديق حسن خان: ج ٣ ص

١٨٧.

(٤) الملكوت: بمنزلة المُلْك إلا أنه أبلغ في اللغة، لأن الواو والتاء يزدان للمبالغة. ومثل الملكوت: الرغبوت والرهبوت. انظر: زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٣ ص ٧١ ومفردات الراغب الأصفهاني: ص ٤٧٣.

وقيل في معنى الملكوت: ما فيهما من الخلق، وقيل: عجائبهما وبدائعهما، وقيل: كَشَفَ الله عن ذلك حتى رأى إلى العرش وإلى أسفل الأرضين، وقيل: المراد بهما: الشمس، والقمر، والنجوم، والشجر، والبحار،... انظر: تفسير الطبري: ج ١١ ص ٤٧٠ وما بعدهما، وزاد المسير - لابن الجوزي: ج ٣ ص ٧١، والتسهيل - لابن جزي: ج ٢ ص ٢٤، وفتح البيان - لصديق حسن خان: ج ٣ ص ١٨٧ - ١٨٨، وتفسير سورة الأنعام - لمحمد البهي: ص ٧٧. أقول: وبما أن الله تعالى قد ذكر الملكوت مجملاً فلا أرى ضرورة للخوض في تفاصيل معناه، وترجيح تأويل على تأويل بدون مرجح؛ والله أعلم.

والأرض ليكون<sup>(١)</sup> من الموقنين<sup>(٢)</sup> الذين لا يداخل قلوبهم شك أو تردد. ولم يرد في القرآن المجيد، هل رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السموات والأرض بعين البصيرة أم بعين البصر<sup>(٣)</sup>، المهم أنه قد رأى ذلك، وحصل له اليقين الذي من أجله كانت الرؤية، والذي به كان أقدر على محاجة قومه وإبطال دعواهم فيما يعبدون.

وجاء الليل فستر<sup>(٤)</sup> الكون بظلمته، فرأى إبراهيم عليه السلام كوكباً فقال: هذا ربي، فلما أفل<sup>(٥)</sup> وغاب، قال لا أحب الآفلين.

وهنا اختلف العلماء في المراد بقول إبراهيم عليه السلام: «هذا ربي»... فمنهم من قال: «إن هذا تدرج النفس الإنسانية في طلب الحقيقة الإلهية... وإن إبراهيم عليه السلام ابتداء تأمله في الكون ليتعرف من الوجود

(١) اللام في «ليكون» متعلقة بفعل مؤخر تقديره: وليكون من الموقنين أربناه. انظر: تفسير الثعالبي: ج ١ ص ٥٣٤.

(٢) الموقن: العالم بالشيء علماً لا يمكن أن يطرأ له فيه شك. تفسير الثعالبي: ج ١ ص ٥٣٤. وعرف صديق حسن خان اليقين بأنه: عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة: فتح البيان: ج ٣ ص ١٨٨. قال الراغب الأصفهاني في المفردات (ص ٥٥٢): اليقين من صفة العلم، فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال: علم يقين، ولا يقال: معرفة يقين، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم... يقال: استيقن وأيقن...

(٣) يقول صديق حسن خان في فتح البيان (ج ٣ ص ١٨٨) بعد ذكر الأقوال الواردة في تفسير معنى الملكوت: «وهذه الأقوال لا تقتضي أن تكون الإراءة بصرية، إذ ليس المراد بإراءة ما ذكر من الأمور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من إبصارها ومشاهدتها في أنفسها، بل إطلاعها على حقائقها، وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل. ولا ريب في أن ذلك مما لا يدرك حساً، كما يُنبئ عنه اسم الإشارة المُفصَّح عن كون المشار إليه أمراً بديعاً، فإن الإراءة البصرية المعتادة بمعزل عن تلك المثابة». أقول: وهذا لا يُسلم له به، لأن الإراءة إذا كانت على سبيل المعجزة فهي خرق للعادة. والله أعلم.

(٤) «جَنَّ عليه الليل» ستره بظلمته. وأصل الجَنَّ: سَتَر الشيء عن الحاسَّة. يقال: جَنَّهُ الليلُ، وأجَنَّهُ، وجَنَّ عليه: ستره. مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٩٨. وانظر: معاني القرآن - الأخصف: ج ٢ ص ٢٧٩.

(٥) الأفل: غيبوبة النيرات، كالقمر والنجوم. المرجع السابق: ص ٢٠.

سرّ الوجود»<sup>(١)</sup>، وقد حَسِبَ الكواكب ثم القمر ثم الشمس أرباباً له، ثم اهتدى إلى الله.

ومنهم من قال: إنه قاله مستفهماً، والتقدير: أهذا ربي؟ فأضمرت ألف الاستفهام، كما في قوله تعالى: ﴿أَفْتَنِّ مِتَّ، فهم الخالدون﴾<sup>(٢)</sup> أي: أفهم الخالدون؟<sup>(٣)</sup>.

وذهب بعض المفسرين إلى أن الخليل عليه السلام قال هذا قبل البلوغ. . . وقيل: قاله عندما كان في الغار.

والذي أرجحه وأطمئن إليه قول من قال: إن إبراهيم عليه السلام قال ذلك استدرجاً للحجة، ليعيب آلهتهم، ويريهم بغضها عند أفولها، ولا بد أن يُضمّر في نفسه: إما على زعمكم أو فيما تظنون<sup>(٤)</sup>. . . ذلك لأن مقامه مع قومه كان مقام مناظرة، وكان غرضه أن يبيّن لهم أن هذه الأجرام والكواكب لا تصلح أن تكون آلهة تُعبد مع الله. «والظاهر أن موعظته هذه في الكواكب لأهل حرّان، فإنهم كانوا يعبدونها. وهذا يردّ قول من زعم أنه قال هذا حين خرج من السّرب لما كان صغيراً. . . وهو مستند إلى أخبار إسرائيلية لا يوثق بها. . .»<sup>(٥)</sup>.

(١) المعجزة الكبرى - محمد أبو زهرة: ص ١٦٥.

(٢) الأنبياء: ٣٤.

(٣) انظر: زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٣ ص ص ٧٣ - ٧٤.

(٤) انظر: زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٣ ص ٧٤.

وعصمة الأنبياء - فخر الدين الرازي: ص ص ٢٧ - ٣٧.

ومحاسن التأويل - للقاسمي: ج ٦ ص ٢٣٧٤.

ودره تعارض العقل والنقل - ابن تيمية: ج ١ ص ١٠٩.

ومفحمات الأقران في مبهمات القرآن - جلال الدين السيوطي: ص ١٥.

والبرهان في تفسير القرآن - هاشم سليمان الحسيني: ج ١ ص ٥٣١.

والبدء والتأريخ - للمقدسي: ج ٣ ص ٤٨ وما بعدها.

ومناهج الجدل في القرآن الكريم - زاهر عوّاض الألمعي: ص ١٦٩ وما بعدها.

(٥) انظر: قصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ١٧٤.

والكشف للزمخشري: ج ٢ ص ٣٠ وما بعدها.

لقد قال إبراهيم عليه السلام لقومه عن الكوكب: ﴿هذا ربي﴾، ليُظهر موافقته لهم أولاً، فيطمئنوا إليه، ثم يدحض هذا القول بالحجة الدامغة والدليل المبين. وفي هذا إنصافٌ للخصم مع العلم بأنه على باطل، وبعُدٌ عن التعصب مع التأكد من أنه على الحق، وتفادٍ للشغب الذي قد يثرونه فيما لو بدأهم بالإنكار<sup>(١)</sup>.

وذكر النيسابوري<sup>(٢)</sup> في الرد على من قال: إن إبراهيم عليه السلام قال: «هذا ربي» معتقداً، عدة وجوه: منها: أن القول بربوبية النجم كفر بالإجماع، والكفر لا يجوز على الأنبياء بالاتفاق. ومنها: أن إبراهيم عليه السلام كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة، لأن الله تعالى أخبر عنه أنه دعا أباه إلى التوحيد بالرفق مراراً... وفي هذا الموضوع<sup>(٣)</sup> دعا أباه إلى التوحيد بالكلام الخشن، والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة. ومنها: أن هذه الواقعة كانت بعد أن أراه الله ملكوت السماوات والأرض، بدليل فاء التعقيب في قوله: ﴿فلما جنَّ عليه الليل﴾.

ومنها قوله عقب هذه القصة: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)، ولم يقل: على نفسه!!

ومنها أنه قال بعد القصة: (وحاجة قومه)، وفيه دليل على أنه بدأ بالنظر في الكواكب بعد أن خالط قومه ورآهم يعبدون الأصنام، ودعوه إلى عبادتها فقال: (لا أحب الأفلين) ردّاً عليهم، وتنبهاً على فساد قولهم، ويؤكد قوله:

(١) انظر: محاسن التأويل - للقاسمي: ج ٦ ص ٢٣٧٤.

(٢) غرائب القرآن ورجائب الفرقان: ج ٧ ص ١٤٢. وانظر:

تفسير الطبري: ج ١١ ص ص ٤٧٨ - ٤٨٥.

وتفسير الثعالبي: ج ١ ص ٥٣٥.

(٣) وذلك قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة، إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾ الأنعام: ٧٤.

﴿وكيف أخاف، ما أشركتم؟﴾ لأنه يدل على أنهم كانوا قد خوّفوه بالأصنام كما في قصة هود: ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾<sup>(١)</sup>.

«لقد استدل إبراهيم عليه السلام بالأفول والزوال، والتغيّر والانتقال، على أن هذا الكوكب لا يصلح أن يكون إلهاً، لأن الإله قديم لا يتغير، والمُتغيّر يحتاج إلى مُغيّر. ولم يستدل عليهم بالطلوع والشروق، مع أن الطلوع أقرب إلى الحدوث من الأفول، لأنهم إنما انتقلوا إلى عمل الأشخاص لما عراهم من التحير بالأفول فأتاهم من حيث تحيرهم، فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته، وذلك أبلغ في الاحتجاج»<sup>(٢)</sup>.

ثم ﴿لما رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي، فلما أفل، قال: لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ فكيف يُتصور ممن لا يعرف رباً أن يقول: لئن لم يهديني ربي؟ «ورؤية الهداية من الرب تعالى غاية التوحيد، ونهاية المعرفة، والواصل إلى الغاية والنهاية، كيف يكون في مدارج البداية؟!»<sup>(٣)</sup>.

﴿فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا﴾<sup>(٤)</sup> ربي، هذا أكبر﴾ «وكان قومه يعتقدون أنّ الشمس ملكُ الفلك، وربُّ الأرباب الذي يقبسون منه الأنوار»<sup>(٤)</sup> ﴿فلما أفلت، قال: يا قوم إني وجهت وجهي﴾<sup>(٥)</sup> للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾. وواضح أنّ قوله هذا هو قول من يعرف بأن الشمس ستغيب، وهو ينتظر غيابها ليقول ما قال، مفتحاً خصمه الذي يؤلّها، ومقيماً الدليل على صدق ما يدعو إليه.

(١) هود: ٥٤.

(٢) الملل والنحل - الشهرستاني: ج ٢ ص ١٠٩-١١٢.

(٣) المرجع السابق: ج ٢ ص ١١٢.

(٤) تذكير (هذا) على معنى: هذا الشيء الطالع ربي. تفسير الطبري: ج ١١ ص ٤٨٥.

(٥) الملل والنحل - الشهرستاني: ج ٢ ص ١٢٢.

(٥) «وجهت وجهي»: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين. (زاد المسير: ج ٣ ص

وحاجه قومه، وجادلوه في آلهتهم، وخوفوه بها، فقال: أتجادلونني في الله وفي وحدانيته، وهو الذي هداني إلى الحق وإلى معرفته، وكيف تخوفوني مما لا يملك نفعاً ولا ضرراً؛ إني لا أخاف من هذه الأصنام التي تشكونها مع الله في العبادة، ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ «من إصابتي بمكروه من جهتها، وذلك إنما هو من جهته تعالى، من غير دخل لمعبوداتكم فيه أصلاً، ﴿وسع ربي كل شيءٍ علماً﴾ فلا يبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها»<sup>(١)</sup>، ﴿أفلا تتذكرون﴾؟! ﴿وكيف أخاف ما أشركتم، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل عليكم به سلطاناً﴾<sup>(٢)</sup>، فأَيُّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾<sup>(٣)</sup>!

«ونكتة التعبير ﴿بأيِّ الفريقين﴾ دون أن يقول: فأَيُّ أحق بالأمن؟ الإشارةُ إلى أن هذه المقابلة عامةٌ لكلِّ مُوحِّدٍ ومُشركٍ، لا خاصةٌ به وبهم، والبعدُ عن التصريح بخطئهم الذي ربّما يدعو إلى اللجاج والعناد، والاحتراشُ من تنفيرهم من الإصغاء إلى قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾: أي إن كنتم من أهل العلم والبصيرة في هذا الأمر، فأخبروني ذلك، ويُنوّه بالأدلة، وفي هذا إلجاء لهم إلى الاعتراف بالحق، أو السكوتِ على الحَقِّ والجهل»<sup>(٤)</sup>.

بعد هذا السؤال: (فأيُّ الفريقين أحق بالأمن؟) يأتي الجواب: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾<sup>(٥)</sup> إيمانهم بظلم، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾، وهذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن، وفَصْلُ قضاءٍ منه بين إبراهيم عليه السلام وقومه<sup>(٦)</sup>.

(١) محاسن التأويل - القاسمي: ج ٦ ص ٢٣٨٦.

(٢) السلطان: الحجة والبرهان. ولا يُجمع لأن مجراه مجرى المصدر مختار الصحاح - الرازي: ص ٣٠٩.

(٣) انظر: زاد المسير - ابن الجوزي: ج ٣ ص ٧٧.

(٤) تفسير المراغي: ج ٧ ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٥) لبس عليه الأمر، يلبس، لبساً: خلطه عليه حتى لا يعرف حقيقته. المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٨١٩.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ج ١١ ص ٤٩٤.



ثم يقول الله تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه، نرفع درجات من نشاء، إن ربك حكيم عليم﴾.

فالله تبارك وتعالى هو الذي علم خليله كيف يحتاج وينظر قومه، وكيف يقيم الدليل على صدق ما يدعوهم إليه من التوحيد، وبطلان ما هم عليه من عبادة الكواكب. فالفضل لله سبحانه أولاً وآخراً، يرفع من يشاء في العلم والحكمة والفضل، فهو حكيم فيما يفعل، عليم بأحوال عباده وخلقه، وبمن يستحق منهم الإناعم والإكرام، أو المنع والحرمان<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثالث: دعوته للملك<sup>(٢)</sup>

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب! فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل - الفيضوي: ج ١ ص ٣١٩.

وفتح القدير - للشوكاني: ج ٢ ص ص ١٣٢ - ١٣٦ وزاد المسير - لابن الجوزي: ج ٣ ص ٧٨. وتاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية - د. محمد الطيب النجار: ص ص ٩٦ - ١٠٠.

(٢) قال الثعلبي في العرائس (٥٨): «هو نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام بن نوح. وروى: ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان: فسليمان بن داود، وذو القرنين عليهما السلام؛ وأما الكافران: فنمرود، ويختصر». وكان نمرود أول من وضع على رأسه التاج، وتجبّر في الأرض، ودعا الناس إلى عبادته..

انظر: تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٥٥٥. يقول د. محمد بيومي مهران في كتابه: دراسات تاريخية من القرآن الكريم (ص ١١٧) «لا يعرف التاريخ البابلي حتى الآن ملكاً بهذا الاسم، وأكبر الظن أن المؤرخين أخذوه من التوراة حيث جاء فيها تكوين (١٠: ٨ - ١٠): (وكوش ولد نمرود الذي ابتداءً يكون جباراً في الأرض... وكان ابتداءً مملكته بابل...). على أن التاريخ يعرف بلداً باسم نمرود على مجرى الزاب الأعلى... وهي نفسها مدينة كالح في التوراة (تكوين ١٠: ١١). وهكذا خلط كاتب سفر التكوين بين الملك والمدينة!! ثم جاء مؤرخونا ونقلوا ما في التوراة وكأنه التاريخ الذي يرقى فوق كل هواتف الريبة والشك!!».

(٣) البقرة: ٢٥٨.

استُهلَّت الآية الكريمة التي هي خطاب لمحمد ﷺ بالاستفهام الذي يحمل معنى التعجب، أي: ألم تنظر (أو: ألم ينته إلى علمك) إلى قصة هذا الكافر الذي لست بولي له، كيف تصدى لمحاجة من تكفَّلتُ بنصرته<sup>(١)</sup>.

واختلَف في وقت هذه المحاجة، فقيل: بعد تكسيره الأصنام وقبل إلقائه في النار؛ وقيل: بعد أن نجَّاه الله من النار وجعلها عليه برداً وسلاماً<sup>(٢)</sup>. والقطع بأحد القولين عسير، لانعدام النص الدال على ذلك، ولأن كلا القولين محتمل. وربما كان القول الأول أولى، لأن من المستبعد أن تحدث حادثة عظيمة مثل كسر الأصنام دون أن تبلغ الملك، ثم تكون مناظرة الخليل لقومه في أصنامهم، وإبطال حجتهم، وتبيين فساد اعتقادهم، ثم تكون حادثة الإحراق التي استعدوا لها الاستعداد كله، وبلغت أبنائها أكثر الناس - أقول: من المستبعد أن يقع كل هذا ولا يحيط الملك به علماً.

وننظر الآن فيم جادل<sup>(٣)</sup> ذلك الجبار خليل الله؟ إنه يجادله في ربه. «وفي التعرُّض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تشریف له، وإيدان بتأييده في المحاجة»<sup>(٤)</sup>.

ولماذا يجادله؟ لأن آتاه الله الملك. أي «إن إيتاء المُلْك حمله على ذلك، لأنه أورثه الكِبْر والبَطْر»<sup>(٥)</sup>، فنشأت المحاجة عنهما. أو أنه من باب

(١) انظر: روح المعاني - الألوسي: ج ٣ ص ١٥.

(٢) المصدر السابق: الصفحة نفسها. وانظر: تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٥٥٧.

(٣) يقال: حاجه محاجةً وحجاجاً: جادله. المعجم الوسيط: ج ١ ص ١٥٧.

(٤) تفسير أبي السعود: ج ١ ص ٣٨٩. قلت: ومعنى قول أبي السعود رحمه الله: إن ذكر الرب (ومن معانيه: المالك، والسيد، والمربي، والمنعم...) وإضافة اللفظ إلى الضمير، وهو الهاء، الذي يعود على إبراهيم عليه السلام، تشریف وتكریم لإبراهيم، وإشعار بأن الله سينصره في مناظرته للملك، إذ المالك لا يتخلى عن مملوكه، والسيد المربي المنعم لا يتخلى عن عبده الذي أنعم عليه.

(٥) الكِبْر: العظمة والتجبر. وبَطْرُ النعمة: استخفافها فكفرها. وبطر الحق: إنكاره وعدم قبوله.

انظر: المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٧٧٨ وج ١ ص ٦٠.

العكس في الكلام، بمعنى: أنه وضع المحاجة موضع الشكر، إذ كان من حقه أن يشكر على ذلك... كما تقول: عاداني فلان لأنني أحسنت إليه»<sup>(١)</sup>.

وكان المَلِكُ قد طلب من إبراهيم عليه السلام أن يُقيم له الدليل على وجود الرب الذي يدعو إليه، فقال إبراهيم: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي أن الدليل على وجوده هو هذه المعجزة المتكررة، الظاهرة المستترة، معجزة الحياة والموت، فلا حياة من غير مُحيي، ولا موت من غير مُميت، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وتوحيده. عندئذ قال الملك: ﴿أنا أحيي وأميت﴾، فأتى برجلين استحقا القتل، فأمضيه في أحدهما دون الآخر، فأكون قد أمت الأول، وأحييت الثاني. وهذا ليس بجواب جاد، بل هو مكابرة وعناد، واستعمال لَلْفُظِّي الإحياء والإماتة على وجه من وجوه المجاز. ولذلك ترك إبراهيم عليه السلام الخوض معه في مكابرتة ولجاجه، وقال له: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب﴾ أي: إذا كنت كما تدعي قادراً على الإحياء والإماتة، وهما من صفات الله، فيلزم أن يكون بمقدورك التصرف في الكون وأن تأتي بالشمس من المغرب. عندئذ بُهت<sup>(٢)</sup> الملك المعاند، وخرس فلم يتكلم وقامت عليه الحجة، ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير أبي السعود: ج ١ ص ٣٨٩.

وروح المعاني - الألوسي: ج ٣ ص ١٦.

ومحاسن التأويل - القاسمي: ج ٣ ص ٦٦٧.

(٢) يقال: بُهت الرجل: دُهِش مأخوذاً بالحجة. وكذلك بهت الرجل، يَبْهتُ، بَهْتًا: أُخِذَ بالحجة فَسَحَبَ لَوْنَهُ.

انظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٧٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٢٤٠.

وتاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٤٠.

واستخراج الجدل من القرآن - ابن الحنبلي: ص ص ٦٥ - ٦٩،

وقصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ١٨٧ - ١٩٠،

وفي ظلال القرآن - سيد قطب: ج ١ ص ٢٩٦ وما بعدها،

والتيبان - للطوسي، ج ٢ ص ص ٣١٥ - ٣١٩.

ولمتسائل أن يتساءل: لماذا عمد إبراهيم عليه السلام إلى الشمس دون سواها من النجوم والكواكب؟ وقد يكون الجواب: إن إبراهيم قد خبأ للخصم في هذا الطلب إلزاماً آخر يفسد عليه أتباعه ومناصريه فيما لو استرسل في مغالطته، إذ كانوا يعتقدون في الكواكب بأنها مؤثرة، ويعتبرون الشمس الإله الأكبر، فلو قال الملك من قبيل المكابرة: أنا الذي أتيت بها من المشرق، وسخرتها تجري في مدارها على هذا النظام، لقال إبراهيم عليه السلام: ما دمت أنت المدبر لهذه الأفلاك، فكيف يعتقد قومك بأنها آلهة يعبدونها من دونك؟ فهل يكون الإله مدبراً أو مسيراً؟ وهذا أمر يستلزم بطلان اعتقادهم في هذه الكواكب بأنها آلهة<sup>(١)</sup>.

وهناك نقطة أخرى لها صلة بالموضوع وهي: لماذا انتقل إبراهيم عليه السلام في مناظرته للملك من دليل إلى دليل، والانتقال علامة الانقطاع؟ والجواب على هذا: أن انتقال إبراهيم عليه السلام ليس من الانتقال الفاسد، لأن الحجّة الأولى التي ذكرناها كانت لازمة على الملك، فإبراهيم عليه السلام أراد بقوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ حقيقة الإحياء والإماتة. وعارضه الملك بأمر باطل، وهو: إطلاق أحد المسجونين وقتل الآخر، وكان يمكن لإبراهيم صلوات الله عليه أن يقول: إني أردت بالإحياء والإماتة حقيقتهما، لا ما أردت أنت من الإطلاق والقتل، فأنا أيضاً أفعل كما فعلت، ولكن إن قدرت على الإماتة والإحياء فأمت هذا الذي أطلقته، من غير استخدام آله وسبب، وأحي هذا الذي قتلته، فيظهر به بهت اللعين. إلا أن القوم لما كانوا أصحاب ظواهر، وكانوا لا يتأملون في حقائق المعاني، خاف الخليل عليه السلام الاشتباه والالتباس عليهم، فضمّ إلى الحجّة الأولى حجة ظاهرة لا يكاد يقع فيها الاشتباه، فهت الذي كفر.

= ومناهج الجدل في القرآن الكريم - زاهر عواض الألمي: ص ص ١٤٥ - ١٤٧،

ونظرات تحليلية في القصة القرآنية - محمد المجذوب: ص ٨٥.

(١) انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم - زاهر عواض الألمي: ص ١٤٧.

وهذا الانتقال حسن بعد قيام الحجة الأولى، وخوف الاشتباه؛  
والمحاجج إذا تكلم بكلام يدق على السامعين فهمه، ولجأ خصمه إلى  
الخداع والتلبيس، جاز له أن يتحول إلى كلام يدركه السامعون، وأن يأتي  
بأوضح مما جاء به ليثبت ما يريد إثباته. وهذا لأن الحجج مثل الأنوار، وضّم  
حجة إلى حجة، كضمّ سراج إلى سراج، وهذا لا يكون دليلاً على ضعف  
أحدهما أو بطلان أثره.

وهكذا، فإن انتقال إبراهيم عليه السلام من دليل إلى دليل، ليس  
علامة على انقطاعه في المناظرة، لأنه لم ينتقل لضعف دليله الأول ولا لعجزه  
عن إثبات ما أراد<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام الإسلام البزدوي - علاء الدين عبد العزيز  
البخاري: ج ٤ ص ١٣٣،  
وروح المعاني - الألوسي: ج ٣ ص ١٧ - ١٩،  
والتسهيل - ابن جزي: ج ١ ص ١٦٠.  
والفوائد في مشكل القرآن - عز الدين بن عبد السلام: ص ٥٢ وما بعدها.



# البَابُ الثَّالِثُ

ابْتِلَاؤُهُ وَصَبْرُهُ





# الفصل الأول

## الابتلاء بالكلمات

شاءت حكمة الله تعالى أن يتلي عباده ويختبرهم بالمصائب والمكاره ليُعرف الصابرون على قضاء الله، المسلمون لقدره، فيؤفون أجورهم، كل على حسب ابتلائه وصبره. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ، وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وشاءت حكمته كذلك أن يتلي من عباده من يُحب. فعن محمود ابن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ»<sup>(٤)</sup>.

وكَلَّمَا علا مقام المؤمن عند ربه ازداد ابتلاؤه. فعن مصعب ابن سعدٍ

---

(١) يقال: ابتلاء: جرّبه وعرفه. والبلاء: الحادث ينزل بالمرء ليُختبر به. والغم والحزن. ومبالغة الجهد في الأمر. انظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٧٠ وترتيب القاموس المحيط - للزاوي: ج ١ ص ٣٢٤.

(٢) محمد (ص): ٣١.

(٣) البقرة: ١٥٥.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ج ٥ ص ٤٢٧، ٤٢٩ والترمذي: في كتاب الزهد باب ٥٧، وابن ماجه: في كتاب الفتن باب ٢٣.

عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أيّ الناس أشدّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس. يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خُفّف عنه. وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة»<sup>(١)</sup>.

فلا غَرَوَ<sup>(٢)</sup> إذن أن يُبتلى أبو الأنبياء وخليلُ الرحمن بأشدّ أنواع الابتلاء، ولا غرو أن يصبر أجمل صَبِرٍ وأحسنه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ<sup>(٣)</sup> ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ، قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، قَالَ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ج ١ ص ١، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥ والترمذي في كتاب الزهد باب ٥٧، وابن ماجه: في كتاب الفتن باب ٢٣، والدرامي: كتاب الرقاق باب ٦٧.

(٢) لا غرو: لا عجب. أساس البلاغة - الزمخشري: ج ٢ ص ١٦٣.

يقال: غرا الرجل، يغرو، غرّوا: عَجِبَ. المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٦٥٧.

(٣) «إذ» منصوب على المفعولية بمضمّر مُقَدَّم خوطب به النبي ﷺ بطريق التلوين. أي: واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام، ليتذكروا بما وقع فيه من الأمور الداعية إلى التوحيد، الوازعة عن الشرك، فيقبلوا الحق ويرتكوا ما هم فيه من الباطل. ولا يبعد أن يتصب بمضمّر معطوف على «اذكروا» في قوله تعالى في الآية ١٢٢ من السورة نفسها: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، خوطب به بنو إسرائيل ليتأملوا فيما يُحكى عن من ينتمون إلى ملّته... أي: واذكروا إذ ابتلى أباكم إبراهيم فأتّم ما ابتلاه به. محاسن التأويل - القاسمي: ج ٢ ص ٢٤٤.

(٤) البقرة: ١٢٤. وانظر في تفسير الآية: تفسير الطبري: ج ٣ ص ٧ - ٢٤.

والفخر الرازي: ج ٤ ص ٤٠ وما بعدها.

والبيضاوي: ج ١ ص ٧٣ وما بعدها.

وسيد قطب: ج ١ ص ١١٠.

وتفسير ابن كثير: ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٩٤.

وزاد المسير: ج ١ ص ١٣٩.

وروح المعاني: ج ١ ص ٣٧٣ وما بعدها.

وتاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٨٧.

وتفسير الخازن: ج ١ ص ٨٨.

«والابتلاء في الأصل الاختبار. أي: تطلب الخبرة بحال المُختَبَر، بتعريضه لأمر يشقّ عليه غالباً فعَلُهُ أو تركُهُ. والاختبار مَنَّا لظهور ما لم نعلم، ومن الله لإظهار ما قد علم»<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف المفسرون في دلالة ظاهر اللفظ على تلك الكلمات، هل يدل النص القرآني عليها أم لا؟ فقال بعضهم: اللفظ يدل عليها، وقال آخرون: إن ظاهر الآية لا دلالة فيه على المراد بهذه الكلمات.

أما الأولون فقالوا: اللفظ يدل عليها، وهي التي ذكرها الله تعالى: من الإمامة، وتطهير البيت، ورفع قواعد، والدعاء بإرسال محمد ﷺ. فهذه الأشياء أمورٌ شاقّة، لأنّ المراد بالإمامة هنا النبوة، ولا يخفى ما في النبوة من أعباءٍ جسامٍ ومصاعبٍ عظيمة. وأمّا بناء البيت وتطهيره ورفع قواعد، فقد عانى فيه الخليل المشقة والبلوى، وهو يتضمن إقامة المناسك، وقد امتحن الله خليله عليه السلام بالشیطان في الموقف لرمي الجمار وغيره. وأمّا الدعاء بأن يبعث الله تعالى محمداً ﷺ في آخر الزمان، فهذا يحتاج إلى الإخلاص الكامل، وإزالة الحسد عن القلب. وهكذا يثبت أن الأمور المذكورة عقيب هذه الآية تكاليفٌ شاقّة شديدة، فأمكن أن يكون المراد من ابتلاء الله تعالى إياه هو ذلك<sup>(٢)</sup>.

وأما الآخرون فقالوا: لا دلالة في ظاهر الآية على المراد بهذه الكلمات. واختلفوا حول المراد بها على أقوال منها<sup>(٣)</sup>:

- ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه، وهي سنة في شرعنا: خمس في الرأس وخمس في الجسد. أما التي في الرأس: فالمضمضة، والاستنشاق، وفرق الرأس،

(١) محاسن التأويل - القاسمي: ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي: ج ٤ ص ٤٠ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

وقصَّ الشارب، والسواك. وأمّا التي في البدن: فالخِتان، وحلَقُ العانة، وشفِّ الإبط، وتقليمُ الأظفار، والاستنجاء بالماء. ولا يخفى ما في هذا القول من تعسفٍ وتأويلٍ بغير دليل. وعلى هذا التفسير علّق الشيخ محمد عبده قائلاً<sup>(١)</sup>: «إنّ هذا من الجراءة الغربية على القرآن، ولا شك عندي في أن هذا مما أدخله اليهود على المسلمين ليتخذوا دينهم هزواً. وأيّ سخافة أشد من سخافة من يقول: إن الله تعالى ابتلى نبياً من أجلّ الأنبياء بمثل هذه الأمور، وأثنى عليه بإتمامها، وجعل ذلك كالتمهيد لجعله إماماً للناس، وأصلاً لشجرة النبوة - وإنّ هذه الخصال لو كُلف بها صبيٌّ مميّز لسهّل عليه إتمامها، ولم يُعدّ ذلك منه أمراً عظيماً. والحقّ أن مثل هذا يؤخذ كما أخبر الله تعالى به، ولا ينبغي تعيينُ المراد به إلا بنصّ عن المعصوم. وأمّا فائدة الابتلاء فهي تعريفُ إبراهيم عليه السلام بنفسه، وأنه جديرٌ بما اختصه الله به، وتقوية له على القيام بما يوجّه إليه».

ومع موافقتي للشيخ محمد عبده في الفكرة، فإنني لا أرى استعمال الألفاظ القاسية التي وردت في عبارته: كالجراءة على القرآن، والسخافة..

- ومن هذه الأقوال في تفسير الكلمات: أنّها ثلاثون خصلةً من خصال الإسلام، عشرٌ منها في سورة براءة<sup>(٢)</sup>: ﴿التائبون العابدون...﴾ إلى آخر الآية، وعشر في سورة الأحزاب<sup>(٤)</sup>: ﴿إنّ المسلمين والمسلمات...﴾ إلى آخر الآية، وعشر في سورة المؤمنون<sup>(٤)</sup>: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى قوله: ﴿وأولئك هم الوارثون﴾، وروي عشر في ﴿سأل سائل﴾<sup>(٥)</sup> إلى قوله: ﴿والذين هم على صلاتهم يُحافظون﴾، فجعلها أربعين سهماً.

(١) تفسير المنار: ج ١ ص ٤٥٣ - ٤٥٥، وانظر: التفسير الحديث - محمد عزة دروزة ج ٧

ص ٢٣٥.

(٢) الآية: ١١٢.

(٣) الآية: ٣٥.

(٤) الآيات: ١ - ١٠.

(٥) انظر الآيات: ٢٣ - ٣٤.

- ومنها: أمره بمناسك الحج: كالطواف والسعي، والرمي، والإحرام...

- ومنها: ابتلاه بسبعة أشياء: بالشمس، والقمر، والكواكب والنار، وذبح الولد، والهجرة.

- ومنها: المناظرات الكثيرة في التوحيد مع أبيه وقومه، ومع الملك، والصلاة، والزكاة، والصوم، والضيافة والصبر عليها...

- ومنها: الإسلام، وهذا وارد في قوله تعالى: ﴿إذ قال له ربه: أسلم، قال: أسلمت لرب العالمين﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير الطبري<sup>(٢)</sup>. بعد أن استعرض الأقوال المختلفة في تأويل «الكلمات»:

«والصواب من القول في ذلك عندنا أن يُقال: إن الله عزَّ وجلَّ أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه، وأمره أن يعمل بهن فأتَمهن، كما أخبر الله جلَّ ثناؤه عنه أنه فعل. وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما ذكره مَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ فِي تَأْوِيلِ (الكلمات)، وجائز أن تكون بعضه، لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتُحن فيما بلغنا بكلِّ ذلك، فعَمِلَ به، وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه. وإذا كان ذلك كذلك، فغير جائز لأحد أن يقول: عَنِ اللَّهِ بِالْكَلِمَاتِ الَّتِي ابْتَلَى بِهِنَّ إِبْرَاهِيمَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ بَعِينَهُ دُونَ شَيْءٍ، وَلَا عَنِ بِهِ كَلِّ ذَلِكَ، إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمَ لَهَا: مِنْ خَيْرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ إِجْمَاعٍ مِنَ الْحُجَّةِ. وَلَمْ يَصِحَّ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ خَيْرٌ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ بِنَقْلِ الْوَاحِدِ، وَلَا بِنَقْلِ الْجَمَاعَةِ الَّتِي يَجِبُ التَّسْلِيمَ لَهَا نَقَلْتَهُ».

ولا أميل إلى كامل الرأي الذي اختاره إمام المفسرين ابن جرير

(٢) تفسير الطبري: ج ٣ ص ١٥.

(١) البقرة: ١٣١.

الطبري، فهو قد أجاز أن تعني (الكلمات) كل ما ذكر أو بعضه، وما أظن أن الله سبحانه وتعالى يمتدح خليله لإتمامه المضمضة والاستنشاق، وقصّ الشارب وحلق العانة والسواك، وأي وجه للابتلاء بهذه الأشياء؟! بل أميل إلى ما رجّحه القاسمي<sup>(١)</sup> حيث قال مُعلّقاً على اختيار ابن جرير:

«وعندي أن الأقرب في معنى الكلمات هو ابتلاؤه بالإسلام، فأسلم لرب العالمين، وابتلاؤه بالهجرة، فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله، وابتلاؤه بالنار فصبر عليها، ثم ابتلاؤه بالختان فصبر عليه، ثم ابتلاؤه بذبح ابنه فسلم واحتسب». وهذه ضروب من الابتلاء ورد ذكرها في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة، ولا شك في أنها ابتلاء لما في إتمامها من المشقة والجهد... وإن كنا لا نقول بأن «الكلمات» هي هذه فقط، ولا يمكن الزيادة عليها. والله تعالى أعلم».

لقد ابتلى الله خليله بكلمات، فأدى ما ابتلي به خير أداء وأحسنه، وأتمّه أكمل إتمام. ولم يذكر التنزيل العزيز الكلمات ما هي «ولا الإتمام كيف كان، لأن العرب تفهم المراد بهذا الإبهام والإجمال، وأن المقام مقام إثبات أن الله تعالى عامل إبراهيم معاملة المُبتلي، أي: المختبر له، لتظهر حقيقة حاله، ويترتب عليها ما هو أثر لها، فظهر بهذا الإبتلاء والاختبار فضله بإتمامه ما كلفه الله تعالى إياه، وإتيانه به على وجه الكمال»<sup>(٢)</sup>. وإذا أُريد بالكلمات الأقوال فتعلّق الابتلاء بها إنما هو من جهة تعلّقها بالعمل، وحكايتها عن العهود والأوامر المتعلقة بالفعل، كقوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾<sup>(٣)</sup> أي: عاشروهم معاشرة حسنة<sup>(٤)</sup>.

إن كل ما ذكر في تأويل «الكلمات» مبني على الأخذ بقراءة الجمهور،

(١) محاسن التأويل: ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) تفسير المنار - محمد عبده: ج ١ ص ٤٥٣ وما بعدها.

(٣) البقرة: ٨٣.

(٤) انظر: الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين الطباطبائي: ج ١ ص ٢٦٨.

وذلك بنصب «إبراهيم» على المفعولية ورفع لفظ «ربه». ورؤي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قرأ برفع «إبراهيم» ونصب «ربه»، وبها قرأ أبو حنيفة وأبو الشعثاء<sup>(١)</sup> «ومعناه - والله أعلم - أنه سأل ربه بكلمات فأعطاهن. وهو تأويل مقاتل. وهو أنه قال: اجعلني للناس إماماً. قال: نعم. قال: ﴿واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾. قال: نعم. قال: ﴿وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾. قال: نعم. قال: ﴿واجعل هذا البلد آمناً﴾ قال: نعم. قال: ﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ قال: نعم. مثل هذا: سأل ربه هذا فأعطاهن إياه<sup>(٢)</sup>. ولا يخفى أن قراءة الجمهور أولى، ومعناها أقوى وأظهر.

(١) انظر: البحر المحيط - لأبي حيان: ج ١ ص ٣٧٤ وما بعدها.  
(٢) تأويلات أهل السنة - أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي: ج ١ ص ٢٧٩.





## الفصل الثاني

### الابتلاء بمحاولة الاعتداء على الزوجة

روى الإمام مسلم<sup>(١)</sup> في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إني سقيم﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾<sup>(٣)</sup>، وواحدة في شأن سارة. فإنه قدم أرض جبار<sup>(٤)</sup> ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك. فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك. فأرسل إليها فأتى بها. فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة. فلما دخلت عليه، لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت. فعاد، فقبضت أشد من القبضة

(١) كتاب الفضائل، حديث ١٥٤ - ج ٤ ص ١٨٤٠ (ط. عيسى البابي الحلبي). وروى الحديث: البخاري: كتاب البيوع، باب رقم ١٠٠ وكتاب الأنبياء باب رقم ٨...، وأحمد في مسنده: ج ٢ ص ٤٠٣، وابن سعد في الطبقات: ج ١ ق ١ ص ٢٣.

(٢) الصافات: ٨٩.

(٣) الأنبياء: ٦٣.

(٤) واسم الجبار المذكور: عمرو بن امرئ القيس بن سبأ. وإنه كان على مصر، وروي غير ذلك. انظر: فتح الباري: ج ٦ ص ٣٨٨ وما بعدها. وعمدة القاري: ج ١٥ ص ٢٤٩.

الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت. فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين. فقال: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله<sup>(١)</sup> أن لا أضرك، ففعلت، وأطلقت يده. ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان<sup>(٢)</sup>، ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر. قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف، فقال لها: مهيم؟<sup>(\*)</sup> قالت: خيراً. كف الله يد الفاجر وأخدم خادماً<sup>(٣)</sup>. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فتلك أمكم يا بني ماء السماء<sup>(٤)</sup>.

ولا يخفى عظمُ الابتلاء بأخذ الزوجة ومحاولة النيل منها، خاصة إذا كان الزوج غايةً في الصلاح والتقوى والغيرة على محارم الله - ومن أصلح وأتقى وأغبر من إبراهيم! - وإذا كانت الزوجة غاية في العفة والطهارة وصيانة العرض، وتجمع - إلى ذلك - الحسن الباهر والجمال الأسر، ومن أعف وأطهر، وأصون للعرض وأجمل من سارة، زوج خليل الرحمن!

لقد صبر خليل الرحمن على هذا الابتلاء، وفرغ إلى الصلاة<sup>(٥)</sup>، يدعو

(١) أي: شاهداً وضامناً أن لا أضرك. شرح النووي لصحيح مسلم: جـ ١٥ ص ١٢٥.  
(٢) المراد من الشيطان: المتمرد من الجن، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جداً، ويرون كل ما يقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني: جـ ١٥ ص ٢٤٩.

(\*) يعني: ما الخبر؟ فتح الباري: جـ ٦ ص ٣٩٤  
(٣) قيل: إن الذي أخبر الجبار عن سارة رجل كان إبراهيم عليه السلام يشتري منه القمح، فتم عليه عند الملك، وذكر أن من جملة ما قاله للملك: إني رأيتها تطحن، وهذا هو السبب في إعطاء الملك لها هاجر في آخر الأمر. وقال: إن هذه لا تصلح أن تخدم نفسها. فتح الباري: جـ ٦ ص ٣٩٢.

(٤) وقال كثيرون: المراد ببني ماء السماء العرب كلهم، لخلوص نسبهم وصفائهم. وقيل: لأن أكثرهم أصحاب مواشي، وعيشهم من المرعى والخصب، وما ينبت بماء السماء. وقال القاضي: الأظهر عندي أن المراد بذلك الأنصار خاصة، ونسبتهم إلى جدّهم: عامر ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأدد، وكان يُعرف بماء المساء، وهو المشهور بذلك، والأنصار كلهم من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر المذكور. والله أعلم. شرح النووي لصحيح مسلم: جـ ١٥ ص ١٢٥.

(٥) كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى... انظر: مسند أحمد: جـ ٥ ص ٣٨٨.

ربه أن يُنقذه من هذه المصيبة، ويحفظ عليه زوجته، ويردّها إليه طاهرة مطهرة، مثلما خرجت من عنده. واستجاب رب العزة لدعاء عبده ورسوله، وأكرمه بهذه المعجزة، فحمى سارة من أن تمسّها يدُ الفاجر، وردّها إلى بعلها لم يمسهها سوء.

وفي هذا درس للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية اليوم، ذلك أن طبيعة الشر والفساد واحدة لا تتغير بتغير الزمان ومرور الأيام، وإن أعداء الله لا يتورعون عن الاعتداء على الزوجات والبنات والأخوات، إمّا بقصد إشباع شهوتهم البهيمية، وإمّا بقصد إذلال الدعاة إلى الله، وإكراههم على الخضوع والإذعان. وليس أمام الدعاة إلا حُسْنُ التوكّل على الله، واللجوء إلى الصلاة والدعاء أن يحفظ الله عليهم أعراضهم ويصونها، اقتداءً بأبيهم إبراهيم عليه السلام.

قال ابن حجر في الفتح<sup>(١)</sup>: «واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم عليه السلام على هذه الوصية مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها اختاً كانت أو زوجة. فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، كذا قيل، ويحتاج إلى تتمّة، وهو أن إبراهيم عليه السلام أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أحفهما، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة، لكنّ إن علم أنّ لها زوجاً في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه، أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أنّ لها أخاً، فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يُبالي به. وقيل: أراد إن علم أنك امرأتي ألزمني بالطلاق... وقيل: كان من دين الملك أن الأخ أحقّ بأن تكون أخته زوجته من غيره، فلذلك قال: هي أختي، اعتماداً على ما يعتقدّه الجبار فلا ينازعه فيها. وتعبّ بأنه لو كان كذلك لقال: هي أختي وأنا زوجها، فلم اقتصر على قوله: هي أختي؟ وأيضاً، فالجواب إنما يفيد

(١) ج ٦ ص ٣٩٣. وانظر: تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة: ص ٢٦٨.

لو كان الجبار يريد أن يتزوجها لا أن يغتصبها... وذكر.. عن بعض أهل الكتاب: أنه كان من رأي الجبار المذكور أن من كانت متزوجة لا يقربها حتى يقتل زوجها، فلذلك قال إبراهيم: هي أختي، لأنه إن كان عادلاً خطبها منه، ثم يرجو مدافعتة عنها، وإن كان ظالماً خلص من القتل. وأما قوله عليه السلام: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، فيشكل عليه كون لوط كان معه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمِّنْ لَهُ لَوْطًا﴾<sup>(١)</sup>. ويُمكن أن يجاب أن مراده بالأرض الأرض التي وقع له فيها ما وقع، ولم يكن معه لوط إذ ذاك<sup>(٢)</sup>، أو ليس على وجه الأرض زوجان مؤمنان غيري وغيرك.

ولا يخفى أن هذه التأويلات لا تنفع غُلة ولا تبيل صدى<sup>(٣)</sup>، والأولى عندي أن يقال: إن إبراهيم عليه السلام رسولٌ مؤيدٌ بوحى الله، وهو لا يمكن أن يُقدِّم زوجته بهذه السهولة لملك جبار فاجر، ليعاشرها معاشرَةَ الأزواج، ما لم يكن قد علم من ربه شيئاً، ووعده بحفظ عفاف زوجته وطهرها. وإن الرجل العادي ليغلي الدم في عروقه من مثل هذا، ويبدل روحه دون تردد للمحافظة على شرفه وعرضه، فكيف بأبي الأنبياء، وخليل الرحمن؟! هل يؤثر الحياة، ويخاف من الجبار، ويدفعه خوفه إلى الاستكانة والتخاذل؟ ما أظن ذلك يكون.

ويميل بعض المؤلفين إلى أن سارة كانت أختاً لإبراهيم عليه السلام على الحقيقة، ومن هؤلاء عبد الوهاب النجار<sup>(٤)</sup> إذ يقول: «إن كان صحيحاً ما جاء في عبارة التوراة من أن إبراهيم اتفق مع سارة على أن يقول: إنها

(١) العنكبوت: ٢٦.

(٢) وانظر: عمدة القاري - للعبيني: ج ١٥ ص ٢٤٩.

(٣) الغُلة والصدى: العطش. ونَقَعَ الماء العطش: سَكَنَهُ. انظر: مختار الصحاح - الرازي: ص ٣٦٠، ٤٧٩، ٦٧٧.

(٤) قصص الأنبياء: ص ١٠٠ - وانظر أيضاً: ص ٨٧ حيث يقول تعليقاً على قول إبراهيم عليه السلام: إنها أختي: وأنا أعيد إبراهيم من هذا النقص الشائن!!.

أختي، وتقول هي: إنه أخي، وكانا أخوين حقيقة، يكون ذلك قبل تشريع  
 تحريم الأخت على أخيها. وهذا هو الذي أميلُ إليه إن كان ذلك حقاً،  
 وحينئذ لا حاجة إلى قول: إنها أخته في الدين، لأن أولئك المتأولين ما  
 دعاهم إلى التأويل إلا اعتقادهم أن الشريعة التي كان عليها إبراهيم كانت  
 كشرية موسى ﷺ من تحريم الأقارب... وهذا ما ليس فيه نص قطعي.  
 ثم يستدل من التوراة على أن عمران، والد موسى عليه السلام، كان متزوجاً  
 بعمته! ويشك النجار في أن يكون إبراهيم عليه السلام قد وعده ربه بحفظ  
 سارة من الملك، وهو الرأي الذي اخترته آنفاً، ولا ييني شكه على دليل، بل  
 يمضي فيه إلى إنكار أصل الحادثة كلها، فيقول: «وأنا أستبعد حصولها»<sup>(١)</sup>  
 لأن سارة أيام كانت في مصر كانت بنت سبعين سنة... وليس من المستساغ  
 أن يطمع ملك مُترف في بنت سبعين...»<sup>(٢)</sup> واعتماداً على التوراة، يرد  
 النجار حديثاً رُوي في الصحيحين وغيرهما، يفعل ذلك دفاعاً عن إبراهيم  
 عليه السلام، ويكون بهذا كمن يهدم قصراً كبيراً ليقيم مكانه كوخاً صغيراً،  
 فهو يرى أن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة الكذب والخطأ إلى  
 الأنبياء، وهذا صحيح لو لم يمكن التأويل الذي يقبله العقل ويرتاح إليه  
 الضمير، ولو لم يكن الحديث قد قرر صحته الأئمة الذين أخرجوه في  
 كتبهم، فالطعن والتشكيك في كتب السنة المعتمدة لمثل هذه الشبهة التي  
 يمكن ردها هو غير المستساغ، وهو الذي يجب رده، حتى وإن كان صادراً  
 عن حسن نية لا عن سوء طوية. وأما ما ذكره<sup>(٣)</sup> في وجه الاستبعاد من أن  
 سن سارة إذ ذاك كانت بنت سبعين، فلم يثبت ذلك من طريق صحيح، وإنما  
 الثابت قطعاً أنها قالت حينما بُشِّر إبراهيم عليه السلام بإسحق: ﴿يا ويلتا ألدُّ  
 وأنا عجوز﴾<sup>(٤)</sup>، واختلفوا في سنّها... .

(١) أي: حادثة سارة مع الجبار.

(٢) قصص الأنبياء: ص ٩٩.

(٣) انظر: قصص الأنبياء: حاشية ص ص ٨٦ - ٨٧.

(٤) هود: ٧٢.

وذكر ابن كثير<sup>(١)</sup>: أنه لما كان لإبراهيم عليه السلام ببلاد بيت المقدس عشرون سنة، وهبت السيدة سارة له هاجر، ودخل بها، وجاءت بإسماعيل عليه السلام. وذكر أيضاً<sup>(٢)</sup> أن ولادة إسماعيل كانت قبل ولادة إسحق بثلاث عشرة سنة. ومعلوم أن هاجر أم إسماعيل هي التي قدّمها الجبار خادمة لسارة!، فإذا صح ما ذكر، وكان مكث إبراهيم عليه السلام في بيت المقدس المدة الموضحة بعد خروجه من مصر مباشرة لم يتخللها مدة أخرى، تكون سنّها حينما كانت عند الجبار سبعاً وخمسين سنة.

وعلى تسليم أن سنّها كانت إذ ذاك سبعين، فلا وجه للاستبعاد لأن مثل هذه السن بالنسبة للأعمار الطويلة التي كانت في تلك الأيام تعتبر سنّ شباب، لا سن شيخوخة، خصوصاً بالنسبة للسيدة سارة التي أعطيت حظاً كبيراً من الحسن والجمال - كما ورد في الحديث، ولأنّها أعطيت حظاً كبيراً من التقوى وعدم الميل إلى الشهوات، ولا يخفى ما في هذا من حفظ القوي.

قال الحافظ ابن كثير<sup>(٣)</sup> في نسب سارة مبيناً خطأ القول بأنها أخت إبراهيم على الحقيقة: «قيل: إنها ابنة ملك حران... والمشهور أنها ابنة عمه هاران. ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران، أخت لوط، فقد أبعد النجعة<sup>(٤)</sup> وقال بلا علم. ومن ادعى أن تزويج بنت الأخ كان إذ ذاك مشروعاً فليس له على ذلك دليل. ولو فرض أن هذا كان مشروعاً في وقت - كما هو منقول عن الربانيين من اليهود - فإن الأنبياء لا تتعاطاه. والله أعلم».

(١) انظر: قصص الأنبياء: ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) قصص الأنبياء: ج ١ ص ٢٠١.

(٣) قصص الأنبياء: ج ١ ص ١٩٢.

(٤) النجعة: طلب الكلا ومساقت الغيث، وقصد ذي المعروف لمعروفه. المعجم الوسيط: ج ٢

## الفصل الثالث الابتلاء بالآللقاء في النار

تحدثنا فيما سبق عن مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه، وتكسيه  
أصنامهم، وإفحامهم بالحجة الدامغة والدليل المبين. ﴿قال: أفتعبدون من  
دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم؟! أف لكم ولما تعبدون من دون الله،  
أفلا تعقلون؟! قالوا: حرّقه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا: يا نارُ  
كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾<sup>(١)</sup>.

وقد وردت قصة محاولة إحراق إبراهيم عليه السلام مجملة في القرآن  
الكريم، ولم تُشرّ الأحاديث الشريفة إلى تفصيلها، لذلك كان من العسير  
الجزم بتفاصيل ما وقع، خاصة وأن مثل هذه الحوادث مرتع خصيب  
للإسرائيليات، ولخيال القصاصين<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره<sup>(٣)</sup> لقوله تعالى: ﴿حرّقه وانصروا آلهتكم﴾.

(١) الأنبياء: ٦٦ - ٧٠.

(٢) انظر: تاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٤١ وما بعدها، وقصص الأنبياء للثعلبي: ص ٦١،

والكامل في التاريخ - ابن الأثير: ج ١ ص ٩٩، ١٤٦،

وقصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ١٨١ وما بعدها،

والأنبياء: حياتهم، قصصهم - عبد الصاحب الحسني العاملي: ص ١٢٤ وما بعدها،

وصبح الأعشى - القلقشندي: ج ٦ ص ٢٣٥،

وإبراهيم أبو الأنبياء - عباس محمود العقاد: ص ٢٩٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٥٧٢ - ٥٧٣.

«لما دحضت حجّتهم وبانّ عجزهم، وظهر الحق واندفع الباطل، عدلوا إلى استعمال جاه ملكهم<sup>(١)</sup> فقالوا: ﴿حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ فجمعوا حطباً كثيراً جداً. قال السُّدي: حتى إن كانت المرأة تمرض، فتندّر إن عوفيت أن تحمل حطباً لحريق إبراهيم. ثم جعلوه في جوبة<sup>(٢)</sup> من الأرض وأضرموها ناراً، فكان لها شرر عظيم، ولهب مرتفع، لم توقد نار قطّ مثلها، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس، الأكراد... فحسّف الله به الأرض، فهو يتجلجل<sup>(٣)</sup> فيها إلى يوم القيامة. فلما ألقوه قال: حسبي الله ونعم الوكيل، كما روى البخاري<sup>(٤)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل).

«وروى الحافظ أبو يعلى... عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار، قال: اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك). ويروى أنه لما جعلوا يُوثقونه قال: لا إله إلا أنت، سبحانك لك الحمد، ولك الملك، ولا شريك لك. وقال شُعب الجبائي: كان عمره إذ ذاك ستّ عشرة سنة، فالله أعلم. وذكر بعض السلف أنه عرّض له جبريل وهو في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، وأما من الله فبلى. وقال سعيد بن جبير - ويروى عن ابن عباس أيضاً - قال: لما أُلقي إبراهيم، جعل خازن المطر يقول: متى أومر بالمطر فأرسله؟ قال: فكان أمر الله أسرع من أمره، قال الله: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾. قال: لم يبق نار في الأرض إلا طفئت. وقال كعب الأحبار: لم

(١) انظر: التفسير الكاشف - محمد جواد مغنّيّة: ج ٦ ص ٣٤٧.

(٢) الجوبة: الحفرة المستديرة الواسعة. المعجم الوسيط: ج ١ ص ١٤٥.

(٣) تجلجل: مطاوع جلجله. وجلجل الشيء: حرّكه، فكان لحرّكه صوت شديد. وغربله ونخله. المعجم الوسيط: ج ١ ص ١٢٩. والمراد: يهوي في الأرض بعنف واضطراب.

(٤) كتاب التفسير - سورة آل عمران - باب ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ حديث رقم: ٤٥٦٤. وانظر فتح الباري: ج ٨ ص ٢٢٩.



ينتفع أحد يومئذ بنار، ولم تحرق النار من إبراهيم سوى وثاقه<sup>(١)</sup>.

«وقال الثوري عن الأعمش، عن شيخ، عن علي بن أبي طالب ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ قال: لا تضرّيه. وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أنّ الله عز وجل قال: (وسلاماً) لأذى إبراهيم بردّها... قال: ويذكرون أن جبريل كان معه يمسح وجهه من العرق، فلم يصبه منها شيء غير ذلك. وقال السدي: كان معه فيها ملك الظل.

«... وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن أحسن شيء، قال أبو إبراهيم لما رُفع عنه الطُّبُقُ<sup>(٢)</sup> وهو في النار، وجده يرشحُ جبينه، قال عند ذلك: نِعْمَ الرَّبُّ ربك يا إبراهيم. وقال قتادة: لم يأت يومئذ دابةٌ إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ<sup>(٣)</sup>. وقال الزُّهري: أمر النبي ﷺ بقتله، وسماه فُوسِقاً. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عبيد الله بن أخي بن وهب، حدثني عمي، حدثنا جرير بن حازم أنّ نافعاً حدثه قال: حدّثني مولاةُ الفاكه بن المغيرة المخزومي قالت: دخلتُ على عائشة فرأيتُ في بيتها رُمحاً، فقلت: يا أمّ المؤمنين، ما تصنعين بهذا الرمح؟ فقال: نقتل به هذه الأوزاغ. إنّ رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حين القي في النار لم يكن في الأرض دابةٌ إلا تُطفئ النار غير الوزغ، فإنه كان ينفخ على إبراهيم، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله<sup>(٤)</sup>. وقوله: ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخرسين﴾ أي: المغلوبين الأسفلين...».

ونتعلم من هذه الواقعة عدة دروسٍ جديرٌ بالسائرين في درب الدعوة إلى الله أن ينتبهوا إليها ويتملّوها:

(١) الوثاق: بفتح الواو وكسرهما: ما يُشدّ به، كالحيل وغيره. والجمع: وثق. المعجم الوسيط:

ج ٢ ص ١٠٢٣.

(٢) الطبق: الغطاء. المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٥٥٧.

(٣) الوزغ: سام أبرص. جمع أوزاغ. المعجم الوسيط: ج ٢ ص ١٠٤٠.

(٤) رواه البخاري: كتاب الأنبياء. حديث رقم ٣٣٥٩. انظر الفتح: ج ٦ ص ٣٨٩.

لقد كان اصطدام إبراهيم عليه السلام مع قومه هو اصطدام الإيمان بالكفر، الذي يتجدد في كل عصر من العصور، يتكرر ولا يتغير، وإن اختلفت صورُهُ الظاهرة وأشكاله. ونتيجةً هذا الاصطدام في الأعم الأغلب واحدة: أن يلجأ الكفر إلى قوته الغاشمة الظالمة بعد أن يخسر معركة الحجّة والبرهان، وأن يلجأ الإيمان إلى الرحيم الرحمن، يستمد منه العون والتأييد، فهو قد بذل الجهد في عالم الأخذ بالأسباب، ولكنّ الأسباب لم تُعطِ ثمرتها، لأمر يريده الله.

ونتعلم من هذه الواقعة أن على الداعية أن يُحكم صلته بالله في أوقات الرخاء حتى لا يتخلّى الله عنه في وقت الشدة، فيتهاوى أمام التهديد، ويضعف أمام الإرهاب والتعذيب، وحتى يكون من الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، وأتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم<sup>(١)</sup>. على أن حكمة الله قد تشاء غير هذا، وقد يكون ذلك الموقف آخر عهد الداعية بالحياة الدنيا الفانية، كما في قصة أصحاب الأخدود، فتكتب له الشهادة، وتصعد روحه إلى بارئها، ليعيش الحياة العليا الباقية.

ونتعلم من هذه الواقعة أنّ الله سبحانه خلق الأشياء وأودع فيها خصائصها، فجعل - مثلاً - الإحراق من طبيعة النار، والإطفاء من طبيعة الماء، فلا تحرق النار إلا بإذنه، ولا يطفىء الماء إلا بإذنه، لا بسبب ذاتي يعود إلى طبيعة الماء والنار، وأنه سبحانه قد يجعل هذه الخصائص تتخلف عن الأشياء المرتبطة بها: معجزةً لأنبيائه، أو كرامةً لأوليائه، أو استدراجاً لبعض خلقه لحكمة يراها، وليس من الحكمة أن نسأل: «كيف كانت النارُ برداً وسلاماً على إبراهيم؟ ولماذا نسأل عن هذه وحدها؟ و﴿كوني﴾ هذه هي الكلمة التي تكون بها أكوان، وتنشأ بها عوالم، وتخلق بها نواميس: ﴿إنما

(١) آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤.

أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون»<sup>(١)</sup>. فلا نسأل: كيف لم تحرق النار إبراهيم، والمشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية؟ فالذي قال للنار كوني حارقة، هو الذي قال لها: كوني برداً وسلاماً. وهي الكلمة الواحدة التي تُنشيء مدلولها عند قولها، كيفما كان هذا المدلول، مألوفاً للبشر أو غير مألوف... فالمسألة... ليست في ميدان التعليل والتحليل بموازين البشر ومقاييس البشر. وكل منهج في تصوّر مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة إلى القدرة المطلقة هو منهج فاسد من أساسه، لأن أعمال الله غير خاضعة لمقاييس البشر، وعلمهم القليل المحدود.

«... وما كان تحويل النار برداً وسلاماً على إبراهيم إلا مثلاً تقع نظائره في صور شتى، ولكنها قد لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهر...»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٤ ص ٢٣٨٧ - ٢٣٨٨.



## الفصل الرابع الابتلاء بذبح الولد

### المبحث الأول: قصة الذبح

بعد أن نجى الله تعالى إبراهيم عليه السلام من نار قومه، يشس منهم، ﴿وقال: إني ذاهبٌ إلى ربِّي سيِّهدين﴾<sup>(١)</sup>. وشعر عليه السلام بحاجته إلى الولد بعد أن مسّه الكبر، وتحزكت في نفسه فطرة حب الذرية والخلف، فدعا ربّه أن يرزقه ولداً صالحاً، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فاستجاب الله دعاءه: ﴿فبشّرناه بغلامٍ حلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>. ويحكى لنا القرآن الكريم قصة إبراهيم عليه السلام مع ولده فيقول: ﴿فلما﴾<sup>(٤)</sup> بلغ معه السّعيّ قال يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ، فانظر ماذا ترى؟ قال: يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصّابرين. فلما أسلما وتلّه للجبين، ونادياه أن يا إبراهيمُ قد صدّقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبحٍ عظيم. وتركنا عليه في الآخرين: سلام على إبراهيم. كذلك نجزي المحسنين. إنّه من عبادنا المؤمنين. وبشّرناه بإسحاق نبياً من الصّالحين﴾<sup>(٥)</sup>.

(١)، (٢)، (٣)، (٥) الصافات: ٩٩-١١٢،

وانظر: تفسير الطبري: ج ٢٣ ص ٤٩ وما بعدها. (ط. بولاق).

(٤) الفاء في (فلما) فصيحة، تُعرب عن مقدّر قد حذف، تعويلاً على شهادة الحال، وإيداناً بعدم الحاجة إلى التصريح به، لاستحالة التخلف. أي: فوهبنا له، ونشأ، فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوادثه... انظر: روح المعاني - الألوسي: ج ٢٣ ص ١٢٧.

إنه لموقف عظيم أن يُقدِّم الأب على ذبح ولده الوحيد، ولكنه الإيمان الكامل، والتسليم المطلق، ومَنْ أجدد من خليل الله بهذا الإيمان والتسليم!

ولننعم النظر في النص القرآني الذي يروي قصة الذبح، في محاولة للوصول إلى بعض أعماقه: هذا هو خليل الله، شيخ كبير، هاجر من أرضه وبلده، مخلفاً فيه ما قد خلف، ذاهباً إلى ربه، سائلاً إياه الهداية والسداد. وفي هذه السن المتقدمة يرزقه الله بـغلام طالما حنت روحه إليه، غلامٍ يشهد له الله بأنه حلِيم، فهو ليس غلاماً عادياً، وهذا مما يزيد تعلق قلب الوالد الشيخ، بالولد المتفوق النجيب. وما يكاد إبراهيم عليه السلام يأنس بولده، ويبلغ معه السعي، ويعاونه في أمور الحياة. . حتى يرى في منامه أنه يذبحه. «ولعل السرّ في كون الأمر بالذبح جاء مناماً لا يقظة أن تكون المبادرة إلى الامتثال أدلّ على كمال الطاعة والإخلاص»<sup>(١)</sup>.

ويستجيب إبراهيم عليه السلام لإشارة ربه التي جاءت في المنام<sup>(٢)</sup> يستجيب دون تردّد أو خوف، ودون سؤال أو اعتراض. ويعرض الأمر على ابنه: «قال: يا بُنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك، فانظر ماذا ترى؟»<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن سؤال إبراهيم عليه السلام لولده سؤالاً مشاورياً، فإن قال له: نعم مضي لتنفيذ أمر الله، وإن رفض الغلام ذلك توقّف عن التنفيذ، «ولكنّه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم: هل هو من الصبر على أمر الله على مثل

(١) انظر: روح المعاني - الألوسي: ج ٢٣ ص ١٢٩.

(٢) «قال محمد بن كعب: كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظاً ورفوذاً، فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم. وقال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي». تفسير القرطبي، ج ١٥ ص ١٠٢. وانظر تفسير الطبري: ج ٢٣ ص ص ٤٩ - ٥٠. (ط. بولاق).

(٣) «قرىء بضم التاء وكسر الراء، أي: ماذا تُريني إياه من الصبر وغيره. . . وقرىء بضم التاء وفتح الراء، على البناء للمفعول، أي: ماذا تُريك نفسك من الرأي. و«انظر» في جميع القراءات معلقة عن العمل. وقوله: يا بُنيّ على سبيل الترحم». انظر: روح المعاني: ج ٢٣ ص ١٢٩، وتفسير القرطبي، ج ١٥ ص ١٠٣.

الذي هو عليه، فيُسرّ بذلك، أم لا؟ وهو في الأحوال كلّها ماضٍ لأمر الله<sup>(١)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول سيد قطب<sup>(٢)</sup>: «إنه لا يأخذُ ابنه على حين غرّة لينفذ إشارة ربه ويبتغي، إنما يعرض الأمر عليه.. فابنه ينبغي أن يعرف، وأن يأخذ الأمر طاعةً وإسلاماً، لا قهراً واضطراباً. لينال هو الآخر أجر الطاعة... ويتذوق حلاوة التسليم».

ويأتي جواب الولد الحليم مُحققاً لأمل أبيه فيه، يأتي مثلاً للطاعة والتسليم: ﴿يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصّابرين﴾. فهو لا يخاف ويفزع، ولا يفقد رباطة جأشه من هول الموقف العصيب، بل لا يفقد أدبه مع أبيه، وحبّه له وحنانه، فيخاطبه بـ «يا أبت»، كما خاطبه أبوه بـ «يا بُني». وفي التصغير هنهنا ما فيه من رقة وعطف ومحبة.

ويعلم الولد المُقبل على الذبح أنه بدون عون من الله وتأييد لا يستطيع أن يصبر، فيعلّق وعده لأبيه بالمشيئة الإلهية، الرحيمة العظيمة، وإلا فمُنذا الذي يضمن له إذا جدّ الجدّ، وأشرعت السكين، وأقبل الوالد لينفذ أمر رب العالمين، مَنْ يضمن له ألا يهرب منه الصبر ويكون من الناكسين؟!!

يقول الألوسي<sup>(٣)</sup> تعليقاً على هذه الآية: «وفي قوله: ﴿من الصّابرين﴾ دون (صابراً) من التواضع ما فيه... ولعله وُقِّق للصبر ببركته مع بركة الاستثناء<sup>(٤)</sup>... وفيه أيضاً إغراءً لأبيه عليه السلام على الصبر، لما يعلم من شَفَقته عليه مع عَظْم البلاء، حيث أشار إلى أنّ الله عبداً صابرين».

ويأتي وقت التنفيذ: ﴿فلَمَّا أسلما، وتلّه للجبين﴾<sup>(٥)</sup>، يُسلم الوالد الولد

(١) انظر تفسير الطبري: ج ٢٣ ص ٥٠ (ط. بولاق).

(٢) في ظلال القرآن: ج ٥ ص ٢٩٩٥.

(٣) روح المعاني: ج ٢٣ ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) أي: ببركة التواضع مع بركة قوله: إن شاء الله.

(٥) قيل: أسلما: استسلما وانقادا. وقيل: فلما تشهدا وذكرنا الله تعالى: إبراهيم على الذبح، =

ويستسلمان، ويضع الوالدُ رأس ولده على الأرض ليذبحه، وفي هذه اللحظة، بعد أن تمَّ الاختبار والامتحان للنبِيِّين الكَرِيمِينَ، وبعد أن اجتازاه بتفوق ونجاح، يأتي الفرجُ من الرحمن الرحيم، ويفدى الغلام بِذبح<sup>(١)</sup> عظيم.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ . . .

«نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء، ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء، ونجزيهم بإقذارهم وإصبارهم على الأداء . . .

«ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى، ذكرى لهذا الحادث العظيم الذي يرتفع منارةً لحقيقة الإيمان، وجمال الطاعة، وعظمة التسليم، والذي ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم الذي تتبّع ملته، والذي تراث نسبه وعقيدته، ولتدرك طبيعة العقيدة التي تقوم بها أو تقوم عليها، ولتعرف أنها الاستسلام لقدرة الله في طاعة راضية واثقة مليّة، لا تسأل ربّها: لماذا؟ ولا تتلجج في تحقيق إرادته عند أول إشارة وأول توجيه»<sup>(٢)</sup>.

روى الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إن إبراهيم لما أمر بالمناسك، عرض له الشيطان عند المسعى، فسأقه، فسبقه إبراهيم. ثم ذهب به جبريل إلى جمرّة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرّة الوسطى فرماه بسبع حصيات. قال: قد تلّه للجبين . . . وعلى إسماعيل قميصٌ أبيض،

= والولد شهادة الموت. انظر: تفسير ابن كثير: ج ٦ ص ٢٥. «وتلّه للجبين»: أصل التلّ: المكان المرتفع، «وتلّه للجبين»: أسقطه على التل. كقولك: ترّبه: أسقطه على التراب. انظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٧٥، وتفسير القرطبي: ج ١٥ ص ١٠٥.

(١) الذّبح: المذبوح. انظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ص ١٨٠ وتفسير القرطبي: ج ١٥ ص ١٠٧.

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٥ ص ٢٩٩٦.

(٣) المسند: ج ٤ ص ٢٤٨، حديث رقم: ٢٧٠٧. (تحقيق: أحمد محمد شاكر).



وقال: يا أبتِ، إنه ليس لي ثوب تكفّني فيه غيرُه، فاخلعه حتى تكفّني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا﴾، فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أقرن أعين<sup>(١)</sup>.

«وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: خرج عليه كبشٌ من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفاً، فأرسل إبراهيم عليه السلام ابنه، واتبع الكبش، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها، فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته، فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه. فوالذي نفس ابن عباس بيده، لقد كان أول الإسلام، وإن رأس الكبش لمعلّق بقرنيه في ميزاب العبة حتى وحش، يعني: يبس»<sup>(٢)</sup>.

ولعل من أسرار ابتلاء إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، أن الله سبحانه «لَمَّا اتَّخَذَهُ خَلِيلاً، وَالْخُلَّةُ هِيَ كِمَالُ الْمَحَبَّةِ، وَهِيَ مَرْتَبَةٌ لَا تَقْبَلُ الْمَشَارَكَةَ وَالْمَزَاحِمَةَ، وَكَانَ قَدْ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ وَلِداً صَالِحاً، فَوَهَبَ لَهُ إِسْمَاعِيلَ، فَأَخَذَ هَذَا الْوَلَدُ شَعْبَةً مِنْ قَلْبِهِ. فَغَارَ الْخَلِيلَ عَلَى قَلْبِ خَلِيلِهِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَكَانٌ لغيره، فامتنحه بذبحه، ليُظهر سرَّ الخُلَّةِ فِي تَقْدِيمِهِ مَحَبَّةَ خَلِيلِهِ عَلَى مَحَبَّةِ وَلَدِهِ. فَلَمَّا اسْتَسْلِمَ لِأَمْرِ رَبِّهِ، وَعَزَمَ عَلَى فِعْلِهِ، وَظَهَرَ سُلْطَانَ الْخُلَّةِ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى ذَبْحِ الْوَلَدِ، إِثَاراً لِمَحَبَّةِ خَلِيلِهِ عَلَى مَحَبَّتِهِ، فَسَحَّ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُ، وَفَدَاهُ بِالذَّبْحِ الْعَظِيمِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أقرن: كل ذي قرن طال قرناه فهو أقرن، وهي: قرناء. (ج) قرُن. أعين: يقال: أعين، يعين، عينا، وعينة: اتسعت عينه وحسنت. فهو أعين وهي عينا. انظر: المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٤٧ و ٧٣٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ٦ ص ٢٦.

(٣) جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام - ابن قيم الجوزية: ص ١٨٤. ولا أحبُّ قوله: غار الخليل... وانظر: تفسير القرطبي: ج ١٥ ص ١٠٥، وزاد المعاد - لابن القيم: ج ١ ص ٧٤.

## المبحث الثاني: مَنْ الذبيح؟ (\*)

اختلف أهل العلم في الذبيح من هو: إسماعيل أم إسحق عليهما السلام؟ فقالت طائفة: هو إسحق، وقالت أخرى: هو إسماعيل، واستدل كل فريق على ما ذهب إليه بأدلة.

### أ- القائلون بأن الذبيح هو إسحاق:

وقد روي هذا القول عن عدد من الصحابة والتابعين، منهم: عمر، وعلي، والعباس، وعبدالله بن عباس (في إحدى الروايتين عنه)، وعبدالله ابن مسعود، وكعب الأحبار، وقتادة، وسعيد بن جبير، ومسروق، وعكرمة، وغيرهم، رضي الله عنهم وهو الذي رجحه ابن جرير<sup>(١)</sup>. وهذا قول اليهود والنصارى.

واستدل هؤلاء بأدلة من أهمها:

- 
- (\*) انظر في هذا الموضوع: تفسير الطبري: ج ٢٣ ص ٤٩ وما بعدها (ط. بولاق).  
ومسند الإمام أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٣٠٦ (ط. المكتب الإسلامي - بيروت).  
وتفسير ابن كثير: ج ٦ ص ٢٤، ٢٨ وما بعدها. وتاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٧٨.  
وقصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٧.  
والكامل في التاريخ - ابن الأثير: ج ١ ص ١٠٨.  
وقصص الأنبياء - الثعلبي: ص ٧٢.  
وزاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية: ج ١ ص ٧١ - ٧٥.  
وتفسير القرطبي: ج ١٥ ص ٩٩ وما بعدها.  
وزاد المسير - لابن الجوزي: ج ٧ ص ٧٢.  
وروح المعاني - الألوسي: ج ٢٣ ص ١٣٣ وما بعدها.  
وإبراهيم أبو الأنبياء - عباس محمود العقاد: ص ٣٥.  
وتفسير التبيان - للطوسي: ج ٨ ص ٤٧٤ وما بعدها.  
ودراسات تاريخية من القرآن الكريم - محمد بيومي مهران: ص ١٥٩ - ١٨٠. والأنبياء - للعالمي: ص ١٤٢ وما بعدها. ...  
(١) تفسير الطبري: ج ٢٣ ص ٥٤.  
تفسير الفخر الرازي: ج ٢٦ ص ١٥٣.

١- ما رواه الإمام أحمد في مسنده<sup>(١)</sup> قال: حدثنا يونس، أخبرنا حماد، عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «إن جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ<sup>(٢)</sup>، ثم أتى الجمة الوسطى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ، ثم أتى الجمة القصوى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ، فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحق قال لأبيه: يا أبت أوثقني لا أضطرب فينتضح عليك من دمي إذا ذبحتني، فشدّه، فلما أخذ الشفرة فأراد بأن يذبحه، نودي من خلفه:

﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾.

٢- ما رواه ابن جرير قال: حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان، عن الحسن، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ في حديث ذكره، قال: هو إسحق<sup>(٣)</sup>.

٣- إن سياق الآيات يقتضي أن يكون الذبيح إسحق عليه السلام. وذلك أنه قد تقدم قصة الذبح قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾<sup>(٤)</sup>. واتفق المفسرون على أن المراد ذهابه إلى الشام. ثم قال: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾، فوجب أن يكون هذا الغلام ليس إلا إسحق. ثم قال بعده: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ وذلك يقتضي أن يكون الذي بلغ معه السعي هو الذي ولد في الشام، وهو إسحق عليه السلام، فهو الذبيح.

(١) ج ٤ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ - حديث رقم: ٢٧٩٥. (تحقيق: أحمد محمد شاكر).

(٢) يقال: ساحت بهم الأرض، تسوخ، سؤخاً، وسؤخاً، وسؤخاناً: إذا انخسفت، وكذلك

الأقدام تسوخ في الأرض وتسيخ: تدخل فيها وتغيب. لسان العرب: ج ٣ ص ٥٥٥.

(٣) تفسير الطبري: ج ٢٣ ص ٥١.

(٤) الصافات: ٩٩.

ويؤيد ذلك ما تلا قصة الذبح من قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرناه بِإِسْحاقَ نَبِيًّا من الصالحين﴾، ومعناه: أنه بشره بكونه نبياً من الصالحين، وذكرُ هذه البشارة عقيب حكاية تلك القصة يدلُّ على أنه تعالى إنما بشره بهذه النبوة لتحمله الابتلاء بالذبح، ونجاحه في امتحانه<sup>(١)</sup>.

٤ - كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام: «من يعقوب، إسرائيل، نبيُّ الله ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليلِ الله»<sup>(٢)</sup>.

٥ - جاء في التوراة: «خذ ابنك، وحيدك، الذي تُحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده، هناك محرقة على أحد الجبال...»<sup>(٣)</sup>.

٦ - جاء في الإنجيل: «بالإيمان قدّم إبراهيم إسحاق وهو مجرب، قدم الذي قبل المواعيد، وحيدَه، الذي قيل له: إنه بإسحاق يُدعى لك نسل، إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً...»<sup>(٤)</sup>.

## ب - الرد على أدلة القائلين بأن الذبيح هو إسحاق:

١ - رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه رواية أخرى يقول فيها إن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام<sup>(٥)</sup> أما رواية الإمام أحمد هذه ففي سندها عطاء بن السائب، وقد اختلط، كما بيّن ذلك الحافظ الهيثمي<sup>(٦)</sup>. وقد علّق الشيخ أحمد محمد شاكر على هذا الحديث فقال<sup>(٧)</sup>: «إسناده صحيح. إلّا

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي: ج ٢٦ ص ١٥٤.

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي: ج ٢٦ ص ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٣) سفر التكوين - ٢٢: ٢.

(٤) الرسالة إلى العبرانيين - ١١: ١٧ - ١٩.

(٥) سنورد هذه الرواية مع أدلة القائلين بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام: ص ١٣٥.

(٦) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج ٣ ص ٢٦٠.

(٧) مسند الإمام أحمد: ج ٤ ص ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

أن قوله فيه: (فلما أراد أن يذبح ابنه إسحق) نراه خطأ من عطاء بن السائب. فالذبيح إسماعيل، كما دل عليه الكتاب والسنة».

٢ - الحديث الذي رواه ابن جرير فيه ضعيفان، وهما: الحسن بن دينار البصري: متروك، وعلي بن زيد بن جدعان: منكر الحديث<sup>(١)</sup>.

٣ - الاستنتاج من سياق الآيات أن الذبيح هو إسحاق غير سديد، بل السياق يدل على غير ذلك. «فالإتيان بالبشرى بعد ذكر قصة الذبيح صريح في أن إسحاق غير الغلام الذي ابتلى الله إبراهيم بذبحه. وعودة الضمير إلى الغلام الذبيح، ثم ذكر اسم إسحق معه صريحاً يقتضي التغاير بين إسحق والذبيح»<sup>(٢)</sup>.

قال الرازي في تفسيره<sup>(٣)</sup>:

«حكى الله تعالى عنه أنه قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهِدِينَ﴾، ثم طلب من الله تعالى ولداً صالحاً يستأنس به في غربته، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد، لأنه لو حصل له ولد واحد، لما طلب الولد الواحد، لأن طلب الحاصل محال، وقوله: ﴿هَبْ لِي مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، وكلمة من للتبعيض، وأقل درجات البعضية الواحد، فكأن قوله ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد فثبت أن هذا السؤال لا يحسن إلا عند عدم كل الأولاد، فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول. وأجمع الناس على أن إسماعيل يتقدم في الوجود على إسحاق، فثبت أن المطلوب بهذا

(١) تفسير ابن كثير: ج ٦ ص ٢٩.

(٢) قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار: ص ١٠٢. وانظر: فتاوى ابن تيمية: ج ٤ ص ٣٣١ - ٣٣٦.

(٣) ج ٢٦ ص ١٥٤.

الدعاء هو إسماعيل. ثم إنه تعالى ذكر عَقَبِيَّه قصة الذبح، فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل».

٤ - كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام لم يُرَو لنا بالسند المتصل الصحيح، فلا يُمكن الركون إليه، وبخاصة إذا قام لدينا دليل صحيح على خطأ ما ورد فيه.

٥ - لا يمكن أن ينطبق وصف (الوحيد) الذي جاء في التوراة على غير إسماعيل وحده في السنوات الأربعة عشر الأولى من عمره، التي سبقت مولد إسحاق. وهكذا فإن إسحاق لم يكن يوماً ما وحيداً أبيه، ذلك لأن إسماعيل قد عاش حتى وفاة إبراهيم، ثم اشترك مع إسحاق في دفنه بمغارة المكيفلة، كما نصت التوراة نفسها<sup>(١)</sup>. ومن هنا كانت لفظة (إسحاق) في نص التوراة: «خذ ابنك، وحيدك، الذي تُحبه إسحاق»<sup>(٢)</sup> مُقْحَمَةً، لأنه لم يكن وحيداً ولا بكرًا<sup>(٣)</sup>.

٦ - واجهت علماء المسيحية مشكلةً نابعةً من نص كتابهم الذي ورد فيه: «بإسحاق يُدعى لك نسل» - وهي: كيف يؤمر إبراهيم بذبح إسحاق، وهو ابنه الموعود الذي يخرج منه الشعب المختار؟! ولو كان إسحاق قد كبر، وتزوج، وأنجب، ثم أمر بذبحه لزالَت المشكلة، ولكن كيف يموت وليس له ولد يحفظ نسله، ويتحقق مع ذلك الوعد الذي أُعطي لإبراهيم!؟

الحل الجديد الذي أتى به علماء المسيحية، ولم يكن معروفاً لدى اليهود هو أن إبراهيم عليه السلام كان على يقين (أن الله قادر على الإقامة من الأموات!) ولكن هذا الحل يُقلل كثيراً من قيمة تضحية إبراهيم عليه السلام،

(١) سفر التكوين - ١٦ : ١٦ و ٢٥ : ٩ .

(٢) سفر التكوين - ٢٢ : ٢ .

(٣) دراسات تاريخية من القرآن الكريم - محمد بيومي مهران: ص ١٦٣ .

وانظر: فتاوى ابن تيمية: ج ٤ ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

ما دام على يقين من أن الله سبحانه سوف يُعيد الحياة إلى ولده بعد أن يذبح<sup>(١)</sup>.

هذا مجمل حجج القائلين بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام، وتفنيد كل حجة. وانتقل الآن إلى رأي الفريق الآخر، وهم:

ج - القائلون بأن الذبيح هو إسماعيل:

رُويَ هذا القول عن عدد من الصحابة والتابعين، منهم: أبو بكر، ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس في أصح الروايتين عنه، والشعبي، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل، رضي الله عنهم، وغيرهم كثير<sup>(٢)</sup>.

واستدل هؤلاء بأدلة من أهمها ما يلي:

١ - ما رواه الإمام أحمد في مسنده<sup>(٣)</sup> عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس: يزعم قومك أن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة، وأن ذلك سنة. قال: صدقوا. إن إبراهيم عليه السلام لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى، فسابقه، فسبقه إبراهيم عليه السلام. ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات. قال: قد تلّه للجبين... وعلى إسماعيل قميص أبيض، وقال: يا أبت، إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفني فيه، فعالجه ليخلعه، فنودي من خلفه: ﴿أَنْ - يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ فالتفت إبراهيم، فإذا هو بكبش

(١) انظر: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - محمد بيومي مهران: ص ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) انظر تفسير الطبري: ج ٢٣ ص ص ٨٣ - ٨٥، وتفسير ابن كثير: ج ٤ ص ١٧ وما بعدها.

وتفسير الرازي: ج ٢٦ ص ١٥٣ وتفسير القرطبي: ج ١٥ ص ١٠٠ وما بعدها.

(٣) انظر: ج ٤ ص ٢٤٨ وما بعدها، حديث رقم ٢٧٠٧.

أبيض، أَقْرَنَ، أَعْيَنَ. قال ابن عباس: لقد رأيتنا نبيعُ هذا الضَّرْبَ من الكباش... .

٢- وبما رواه الحاكم في المستدرک<sup>(١)</sup> وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرجاه، وفيه: وزعم<sup>(٢)</sup> ابن عباس أن الذبيح إسماعيل.

٣- وبما رواه الحاكم أيضاً في المستدرک<sup>(٣)</sup> عن محمد بن إسحاق قال: سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: إن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل. وإننا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبير عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه أنه إسماعيل، وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم، قال: ﴿وَبَشِّرْنَا هَؤُلَاءِ بِمَا عَمِلُوا﴾<sup>(٤)</sup> ثم يقول: ﴿فَبَشِّرْنَا بِمَا كَانُوا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ يُسْمِعُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، يقول: وابن، وابن ابن، فلم يكن يُؤمر بذبح إسحق، وله فيه من الله موعود بما وعده. وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٦)</sup>:

«البشارة بـيعقوب تقتضي أن إسحاق يعيش ويولد له يعقوب، ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب، بل يعقوب إنما وُلد بعد موت إبراهيم عليه السلام، وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلا ريب».

٤- ذكر ابن جرير في تفسيره<sup>(٧)</sup>، وابن كثير في تفسيره<sup>(٨)</sup> «عن

(١) ج ٢ ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٢) زعم هنا بمعنى قال. انظر: مختار الصحاح - للرازي: ص ٢٧٢.

(٣) ج ٢ ص ٥٥٥. قال ابن كثير في تفسيره (ج ٦ ص ٣١): الذي استدل به محمد بن كعب

القرظي على أنه إسماعيل، أثبت وأصح وأقوى، والله أعلم.

(٤) الصافات: ١١٢.

(٥) هود: ٧١.

(٦) الفتاوى: ج ٤ ص ٣٣٥.

(٧) ج ٢٣ ص ٥٤.

(٨) ج ٦ ص ٣٠.



محمد بن كعب القرظي أنه ذكر ذلك (أي الاختلاف في الذبيح، وأنه إسماعيل) لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، إذ كان معه بالشام، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت. ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، كان يهودياً فأسلم وحسُن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم، فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك. قال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أيُّ ابْنِي إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل - والله - يا أمير المؤمنين. وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكر الله تعالى منه، لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحق، لأن إسحق أبوهم».

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: «وهذه الأقوال<sup>(٢)</sup> والله أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العُمَريَّة جعل يُحدِّث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديماً، فربما استمع له عمر رضي الله عنه، فترخص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا ما عنده عنه، غُثَّ وسمينه».

٥ - ودليل آخر أورده القائلون بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، هو أن قصة الذبيح تمت بمكة، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هاجر هما اللذان كانا بمكة دون إسحق وأمه، كما ذكر في صحيح البخاري<sup>(٣)</sup>، ولذلك اتصل مكان الذبيح بالبيت الحرام، وجعلت منى محلاً للنسك من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهما اللذان بنيا البيت. ولم ينقل أن إسحق عليه السلام قد ذهب إلى مكة، ولو كان الذبيح بالشام - كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم - لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة، ولعُرف المكان الذي وقعت فيه الحادثة، وربما جعل منسكاً

(١) التفسير: ج ٦ ص ٢٩.

(٢) يعني: أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام.

(٣) كتاب الأنبياء، باب رقم ٩. وانظر فتح الباري: ج ٦ ص ص ٣٩٦ - ٣٩٨.

كما جعل المسجد الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على أن قصة الذبح كانت بمكة ما رواه الإمام أحمد في مسنده<sup>(٢)</sup> عن صفية بنت شيبه، أم منصور، قالت: أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة، وقالت مرة: إنها سألت عثمان: لم دعاك النبي ﷺ؟ قال: قال لي رسول الله ﷺ: إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن أمرك أن تخمرهما، فخرهما، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلّي». قال سفيان: لم يزل قرنا الكبش مُعلّقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا. قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: «وهذا دليل مستقل على أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام، فإن قريشاً توارثوا قرني الكبش الذي فُدي به إسماعيل، خلفاً عن سلف، وجيلاً بعد جيل، إلى أن بعث الله رسوله ﷺ، والله أعلم»<sup>(٤)</sup>.

٦- «أجرى الله سبحانه عادة البشر على أن يكون البكر من الأولاد أحبّ ممّن بعده في الغالب. وقد امتحن الله خليله بذبح بكره لتكون الخلة خالصة من شوائب المشاركة. ومعلوم أن هذا الامتحان حصل عند أول مولود، ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول - بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضي الأمر بذبحه، وهذا في غاية الظهور»<sup>(٥)</sup>

(١) انظر فتاوى ابن تيمية: ج ٤ ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

وزاد المعاد - لابن قيم الجوزية: ج ١ ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) ج ٤ ص ٦٨ وج ٥ ص ٣٨.

(٣) التفسير: ج ٦ ص ٢٨.

(٤) قال ابن جرير في تفسيره (ج ٢٣ ص ٥٥): «وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان مُعلّقاً بالكعبة، فغير مستحيل أن يكون حُمل من الشام إلى مكة. وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن إبراهيم إنما أمر بذبح ابنه إسحق بالشام، وبها أراد ذبحه» وقال ابن كثير تعليقاً على هذا القول (التفسير: ج ٦ ص ٣١) «وليس ما ذهب إليه بمنزلة، ولا لازم، بل هو بعيد جداً».

(٥) زاد المعاد - ابن قيم الجوزية: ج ١ ص ٧٤ - ٧٥.

٧- وُصِفَ الذَّبِيحُ بأنه غلامٌ حلِيمٌ، ووردت البشارة بإسحق، ووُصِفَ بأنه غلامٌ عليمٌ<sup>(١)</sup>، والتخصيص لا بد له من حكمة، والحلم مناسب للصبر الذي هو خُلُقُ الذَّبِيحِ.

وأيضاً فقد وصف الله إسماعيل بالصبر فقال: «واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ»<sup>(٢)</sup> والذَّبِيحُ قال: «يا أبتِ افعل ما تُؤْمِرُ، ستجدني إن شاء الله مِنَ الصَّابِرِينَ»<sup>(٣)</sup>. كما وصف سبحانه إسماعيل بصدق الوعد لأنه وعد أباه بالصبر على الذَّبِيحِ فوفى بوعده، قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد، وكان رسولاً نبياً﴾<sup>(٤)</sup>.

وبعد، فهذه أهم أدلة الفريقين، عرضت لها ببعض التفصيل لأن اليهود والنصارى طَرَفٌ في القضية، والداعية المسلم قد يتعرض لموقف ينقذه فيه إمامه بهذه المسألة، ووقوفه على الاختلاف والأدلة فيها.

والراجح لديّ من القولين هو أنّ الذَّبِيحَ إسماعيلٌ عليه السلام. فقد تضافرت الأدلة الصحيحة على ذلك، ولم تقوَ الاعتراضات على ردّها. أما القول الأول فلا تكاد تجد عليه دليلاً ناصحاً يسلم من الطعن والكلام، سواء من حيثُ السندُ، أو من حيثُ الأصولُ التاريخيةُ للقضية، أو تدخُلُ الهوى العنصريّ والعصبيّة الدينية فيها، كما سلف بيانه والله تعالى أعلم.

(١) الحجر: ٥٣.

(٢) الأنبياء: ٨٥.

(٣) الصافات: ١٠٢.

(٤) مريم: ٥٤.

وانظر: فتاوى ابن تيمية: ج ٤ ص ٣٣٣ وما بعدها.

وتفسير الفخر الرازي: ج ٢٦ ص ١٥٤.



# البَابُ الرَّابِعُ

فَضَائِلُهُ وَشَمَائِلُهُ



# الفصل الأول

## فضائله الوهبية

١ - الخلة:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

الخلة (بالضم) هي الصداقة والمحبة التي تخلت القلب، وهذا الوصف صحيح بالنسبة إلى ما في قلب إبراهيم عليه السلام من حب الله تعالى، وأما إطلاقه في حق الله سبحانه فهو على سبيل المقابلة<sup>(٢)</sup>. وقيل في خلة إبراهيم عليه السلام: هي منه العداوة في الله والبغض فيه، والولاية في الله والحب فيه، وهي من الله عز وجل نصره إبراهيم عليه السلام على من

---

(\*) أحصيتُ أهمَّ خصال إبراهيم عليه السلام وفضائله كما وردت في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، فوجدتها تقرب من ثلاثين، غير ما سبقت الإشارة إليه في الأبواب الماضية. وقد رأيت أن أجعلها في زمرتين، أفرد لكل زمرة منهما فصلاً: الزمرة الأولى للفضائل الوهبية التي لا دخل لإبراهيم عليه السلام في كسبها وتحصيلها، بل هي فضلٌ صرفٌ من الله تبارك وتعالى على عبده ورسوله، والثانية للفضائل الكسبية التي يكون في تحصيلها جهد ومحاولة. وهذا التقسيم تقريبي، لأنَّ بعض الصفات يُمكن إدراجها في هذه الزمرة أو تلك، كما يمكن إرجاع الصفات المكتسبة بالرياضة والمجاهدة إلى الصفات الوهبية، إذ لولا توفيق الله سبحانه وإنعامه لما قدر إبراهيم عليه السلام على اكتسابها! والخوض في هذه المسألة - على كل حال - خارج عن طبيعة بحثنا. (في النقطة الأخيرة انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة - الراغب الأصفهاني: ص ٤٨ و ٦١).

(١) النساء: ١٢٥.

(٢) انظر: فتح الباري - ابن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٣٨٩.

يريده بسوء، وتمكينه مما يُحِبُّ، وتصويره إماماً لَمَنْ بَعْدَهُ، وقدوةً لِمَنْ خَلْفَهُ<sup>(١)</sup>. ولا يخفى أن في هذا التفسير زيادةً على المعنى اللغوي للخُلَّة، وأنه شرح لها بالنظر إلى نتائجها. فإبراهيم عليه الصلاة والسلام لما تشبَّع قلبه بحب ربِّه عز وجل، ولما أحبه ربُّه واصطفاه<sup>(٢)</sup>، كان من نتيجة ذلك أن نصره، وجعله للناس إماماً..

قال الزبيدي في تاج العروس<sup>(٣)</sup>: «الخُلَّة: الصداقة التي لا خلل فيها، والخليل معناه المُحِبُّ الذي لا خلل في محبته.. وهو مَنْ أصفى المودة وأصحَّها، وبه فسّر ابن دُرَيْدٍ معنى كون إبراهيم عليه السلام خليلَ الله».

وروي أن الخليل مشتق من الخَلَّة (بفتح المُعْجَمَةِ)، وهي الحاجة، وقد وُصف بها إبراهيم عليه السلام لانقطاعه إلى ربِّه، وقصَّره حاجته عليه<sup>(٤)</sup>. ولا شك أن إبراهيم عليه السلام قد تخللت محبة الله تعالى قلبه، وكان صادقاً في محبته لربه.

رَوَى ابنُ جرير في تفسيره<sup>(٥)</sup> أن الله تبارك وتعالى وصف عبده ورسوله إبراهيم بالخليل لأنه عندما أصاب أهل بلده جذبٌ وقحط، ارتحل إبراهيم عليه السلام إلى خليل له في الموصل (أو في مصر) ليأتي ببعض الطعام لأهله، فلم يجد عنده ما يؤمل، فعاد. وفي طريق عودته مرَّ بصحراء فملاً أوعيته رملاً لثلاً يخيب رجاء أهله إذا رأوها فارغة، وليحسبوا أن فيها طعاماً.

(١) انظر: تفسير الطبري: ج ٥ ص ١٩١. (ط. دار المعرفة).

(٢) انظر: فتح الباري - ابن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٣٨٩، وإرشاد الساري - القسطلاني: ج ٥ ص ٣٤١.

(٣) ج ٧ ص ٣٠٨. وانظر:

أساس البلاغة - الزمخشري: ج ١ ص ٢٤٨،

وإصلاح الوجوه والنظائر - الدامفاني: ص ١٦٤.

ومعاني القرآن - الفراء: ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٤) انظر: فتح الباري - ابن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٣٨٩.

(٥) ج ٥ ص ١٩١. (ط. دار المعرفة).



فلما وصل حوّل الله الرمل إلى دقيق. ونام إبراهيم عليه السلام، فقام أهله فأخذوا من الدقيق، وعجنوا وخبزوا، فلما استيقظ وجد الخبز، فسألهم عنه، فقالوا: هو من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك! فقال: نعم هو من الله خليلي، فسماه الله بذلك خليلاً!

وحكى ابن كثير<sup>(١)</sup> أن إبراهيم عليه السلام كان يضيف الناس، فخرج يوماً يبحث عن إنسان يستضيفه، فلم يعثر على أحد، فلما عاد إلى داره وجد رجلاً، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت، أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشّره بأن الله قد اتخذه خليلاً، وذلك العبد أنت. قال إبراهيم عليه السلام: فبم اتخذي ربي خليلاً؟ قال: بأنك تُعطي الناس ولا تسألهم.

وهاتان الروايتان تظهر عليهما علائم الضعف وفيهما شبه للأخبار الإسرائيلية والأحاديث الموضوعية، وإن لم يكن هناك مانع عقلي أو شرعي من صحة مضمونهما. والأولى عندي أن يُقال: إنَّ الله سبحانه قد اتخذ عبده إبراهيم خليلاً لما تحلّى به من الفضائل والشمائل، ولأنه أطلع على قلبه الذي تشرب حبَّ الله وطاعته، فوجده أهلاً لهذه المنزلة الرفيعة والتكريم العظيم.

٢ - كونه خير البرية<sup>(\*)</sup>:

روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه<sup>(٢)</sup> عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية! فقال رسول الله ﷺ: «ذاك إبراهيم عليه السلام».

(١) انظر: قصص الأنبياء: ج ١ ص ٢٤٠.

(\*) يقال: برأ الله الخلق، بئراً، بَرءاً وُبُرؤاً: خلقهم، فهو بارئ. والبرية، والبرية: الخلق، (ج) برايا. (انظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٥٣).

(٢) كتاب الفضائل - حديث رقم ١٥٠. وانظر: مسند أحمد: ج ٣ ص ١٧٨، ١٨٤ وسنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن - تفسير سورة البيّنة.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم<sup>(١)</sup>: «قال العلماء: إنما قال ﷺ هذا تواضعاً واحتراماً لإبراهيم ﷺ لخُلَّتْه وأبوتَه، وإلا فنبينا ﷺ أفضل، كما قال ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم» ولم يقصد به الافتخار، ولا التناول على من تقدّمه، بل قاله بياناً لما أمر ببيانه وتبليغِه، ولهذا قال ﷺ: «ولا فخر» لينفِي ما قد يتطرق إلى بعض الأفهام. وقيل: يُحتمل أنه ﷺ قال: إبراهيم خير البرية، قبل أن يعلم أنه سيّد ولد آدم. . . ولا يمتنع أنه أراد أفضل البرية الموجودين في عصره، وأطلق العبارة الموهمة للعموم لأنه أبلغ في التواضع. . .».

فإبراهيم - عليه السلام - أفضل أهل زمنه بلا مُنازِع، بل هو أفضل خلق الله بعد خاتم النبيين، عليهم صلوات الله، كما يدل عليه هذا الحديث.

٣ - الإمامة(\*):

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ. قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا.﴾<sup>(٢)</sup>.

امتَنَ اللهُ سبحانه على رسوله إبراهيم عليه السلام فجعله إماماً للناس، به يقتدون ويهتدون، وذلك لبلوغه الذروة في الفضل والشرف، ولحيازته من مكارم الأخلاق وجميل الصفات ما يجعله أهلاً لذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) ج- ١٥ ص ١٢١-١٢٢ (ط. دار الفكر).

(\*) الإمام: مَنْ يَأْتَمُّ به الناس مِنْ رَئِيسٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَمِنْهُ إِمَامُ الصَّلَاةِ.

وَالْإِمَامُ: الْخَلِيفَةُ، وَقَائِدُ الْجُنْدِ، وَالِدَلِيلُ لِلْمَسَافِرِينَ. (ج) أئمة. انظر: المعجم الوسيط:

ج- ١ ص ٢٧ ومختار الصحاح - للرازي: ص ٢٦، وفتح القدير - للشوكاني: ج- ١ ص

١٣٧. ولباب التأويل في معاني التنزيل - للخازن: ج- ١ ص ٨٩.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن - السجستاني: ص ١٦،

ومشابه القرآن - القاضي عبد الجبار الهمداني: ج- ١ ص ١٠٨ وما بعدها،

وإصلاح الوجوه والنظائر - الدامغاني: ص ٤٤.

ويرى الشيخ محمد عبده<sup>(١)</sup> أن الإمامة هنا هي الرسالة، وهي لا تُنال بالكسب، لذلك لم يقل عزّ وجل: ﴿فقال: إني جاعلك...﴾ للإشعار بأن هذه الإمامة هي بمحض فضل الله تعالى واصطفائه، لا بسبب إتمام الكلمات. وقد تحققت إمامة إبراهيم عليه السلام للناس بدعوته إلى التوحيد الخالص، والبراءة من الشرك، وتَسَلَّسَ ذلك في ذريته فلم ينقطع منها دين التوحيد.

قال ابن جرير في تفسيره<sup>(٢)</sup>: «وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾: إني مُصَيِّرُكَ تَوْمَمَ مَنْ بعدك مِنْ أهل الإيمان بي وبرسلي، فتقدّمهم أنت، ويتبعون هديك، ويستنون بستك التي تعمل بها، بأمري إياك، ووحى إليك».

#### ٤ - اجتباؤه واصطفاءه(\*)

قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام بأنه ﴿اجتباؤه وهداه إلى صراط مستقيم﴾<sup>(٣)</sup> «واجتباء الله العبد هو تخصيصه إياه بفيض إلهي، يتحصّل له منه أنواع من النعم، بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء، وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء»<sup>(٤)</sup>. فالله سبحانه هو الذي اختار إبراهيم

(١) انظر: تفسير المنار: ج ١ ص ٤٥٥،

والميزان في تفسير القرآن - الطباطبائي: ج ١ ص ٢٧٠ وما بعدها.

(٢) ج ١ ص ٥٢٩ (ط. مصطفى البابي الحلبي).

(\*) يقال: اجتباؤه: اختاره واصطفاه. انظر: تاج العروس - الزبيدي: ج ١ ص ٦٥ وما بعدها،

وأساس البلاغة - الزمخشري: ج ١ ص ١٠٧، والمعجم الوسيط: ج ١ ص ١٠٦.

كما يقال: اصطفاه، بمعنى فضّله واختاره. المعجم الوسيط: ج ١ ص ٥٢٠، ومختار

الصحاح: ص ٣٦٦. والاصطفاء: الافتعال من الصفة، وكذلك: اصطفينا: افتعلنا منه،

صُيِّرَتْ تَأْوَها طاء لقرب مخرجها من مخرج الصاد. انظر تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٣٧.

(٣) النحل: ١٢١.

(٤) مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٨٧.

عليه السلام لهذا الفضل العظيم، وأكرمه بهذا الخير العميم، وهداه إلى صراط التوحيد الخالص القويم<sup>(١)</sup>.

وقال عنه كذلك: ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾<sup>(٢)</sup>. وقد يكون هذا الاصطفاء ببيجاده تعالى إياه مصفى من الشوائب الموجودة في غيره<sup>(٣)</sup>، وهو الذي جعله في الآخرة من الصالحين<sup>(٤)</sup>.

وهكذا نرى أن الاجتباء والاصطفاء لفظان لمعنيين متشابهين، ووصفان لدرجتين متقاربتين، نالهما إبراهيم عليه السلام بَمَن الله وكرمه.

٥ - إيتاؤه رُشدَه<sup>(\*)</sup>:

قال تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رُشدَه مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا ثناء عظيم على رسول الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام. فالله تبارك وتعالى آتاه رُشدَه، أي هداه إلى التوحيد<sup>(٦)</sup>، منذ أن كان صغيراً،

---

(١) انظر في تفسير الآية: الطبري: ج ١٤ ص ١٢٨ (ط. دار المعرفة).

(٢) البقرة: ١٣٠.

(٣) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٢٨٣، وتفسير الطبري: ج ١ ص ٤٣٧ (ط. دار المعرفة)، وتفسير ابن كثير: ج ١ ص ١٨٥، وفي ظلال القرآن - سيد قطب: ج ١ ص ١١٦. وانظر: آل عمران: ٣٣ وتفسيرها: ابن كثير: ج ١ ص ٣٥٨، والظلال: ج ١ ص ٣٩١.

(٤) قيل: إن في آية البقرة هذه تقديمًا وتأخيرًا تقديرهما: ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة، وإنه لمن الصالحين، لأن النظر يقتضي أن يكون الصلاح في الدنيا، والاصطفاء في الآخرة. انظر: محاسن التأويل للقاسمي: ج ٢ ص ٢٦٠، والتفسير الكبير - للرازي: ج ٤ ص ٧١.

(\*) رُشدٌ، يَرُشدُ، رُشدًا: اهتدى. والرَّشاد: ضدُّ العَيِّ.

انظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٣٤٧، ومختار الصحاح: ص ٢٤٣، ومفردات الراغب الأصفهاني: ص ١٩٦.

(٥) الأنبياء: ٥١.

(٦) في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٤ ص ٢٣٨٥.

وكان، جلّ جلاله، عالماً به، وبأنه أهل لذلك الإيتاء<sup>(١)</sup>. وفي هذه الآية الكريمة ردٌّ للروايات الإسرائيلية الكثيرة عن دخول إبراهيم عليه السلام السّرب وهو رضيع، وعن نظره إلى الكواكب والتبصّر فيها والاعتقاد بأنها أرباب له. فإنّ هذا يتنافى مع الرشد الذي آتاه الله إياه، بل يتنافى حتى مع الفطرة التي فطر الله الناس العاديين عليها والتي يشير إليها قول المصطفى ﷺ: «ما من مولودٍ إلاّ يولد على الفطرة»<sup>(٢)</sup>.

## ٦ - جعلُ النبوة في ذريته<sup>(\*)</sup>:

ذكر الله تعالى أنه جعل في نسل إبراهيم عليه السلام النبوة والكتاب فقال: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوبَ، وجعلنا في ذُرِّيَّتِهِ النبوةَ والكتابَ، وآتيناه أجرَهُ في الدُّنيا، وإنّه في الآخرة لَمِنَ الصّالحين﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا تشريف كبير من الله تعالى لعبده، ورسوله إبراهيم أن يحصر النبوة والكتب<sup>(٤)</sup> في ذريته، فلا يكون بعده نبي إلا من نسله: فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم، حتى جاء آخرهم، عيسى بنُ مريم عليه السلام، فبشر بخاتم الأنبياء، النبي العربي القرشي الهاشمي، محمدٍ عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو من سلالة إسماعيل ابن إبراهيم، ولا نبي من سلالته سواه<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ج ١٧ ص ٢٧ (ط. دار المعرفة) وتفسير ابن كثير: ج ٣ ص ١٨١ - ١٨٢ (ط. دار الفكر).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجنائز باب ٨٠، ومسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٣١٥، ٣٤٦، ج ٣ ص ٤٣٥، ج ٤ ص ٢٤.

(\*) الذرية: نسل الإنسان (المعجم الوسيط: ج ١ ص ٣١٠)، وذرية الرجل: ولده. والجمع: الدّراري والذّريات. (مختار الصحاح: ص ٢٢١).

(٣) العنكبوت: ٢٧. وانظر: الأنعام: ٨٤ - ٨٨، ومريم: ٤٩، والأنبياء: ٧٢، ٧٣.

(٤) الكتاب، يعني: الكتب السماوية. انظر: تفسير الطبري: ج ٢٠ ص ٩٢ (ط. دار المعرفة)، والكشاف للزمخشري: ج ٣ ص ٢٠٤.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٤١١ (ط. دار الفكر)، وتفسير الطبري: ج ٢٠ ص ٩٢ =

## ٧ - اتخاذُ مقامه مُصَلَّى:

كَرَّمَ اللهُ خَلِيلَهُ إِبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمَرَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِرِسَالَتِهِ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِهِ مُصَلَّى، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبراهيمَ مُصَلَّى﴾ (١).

وروى ابن جرير الطبري في تفسيره (٢) بسنده عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، لو اتخذت المقام مُصَلَّى؟ فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبراهيمَ مُصَلَّى﴾.

واختلف المفسرون في مقام إبراهيم عليه السلام، فقيل: هو الحج كله، وقيل: هو عرفة والمزدلفة والجمار، وقيل: هو الحرم (٣). ورجح الحافظ ابن كثير (٤) أنَّ المراد به هو الحَجَرُ الَّذِي كَانَ إِبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقِفُ عَلَيْهِ لِيُكْمَلَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ الْمَشْرُفَةِ، وَكَانَ كَلِمًا انْتَهَى مِنْ بِنَاءِ نَاحِيَةِ نَقْلِهِ لِيُكْمَلَ الْآخَرَى. ويرجَّح هذا التأويل ما رواه الطبري في تفسيره (٥) عن جابر رضي الله عنه قال: «استلم رسول الله ﷺ الركن، فرمل (٦) ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم تقدم إلى مقام إبراهيم فقرأ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبراهيمَ مُصَلَّى﴾ فجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين» (٧) وهذا هو الذي أميل إليه، والله سبحانه أعلم.

= وزاد المسير - لابن الجوزي: ج ٦ ص ٢٦٨، وفي ظلال القرآن - لسيد قطب: ج ٥ ص ٢٧٣٢.

(١) البقرة: ٢٥.

(٢) ج ١ ص ٤٢١.

(٣) تفسير الطبري: ج ١ ص ٤٢٢.

وانظر: في ظلال القرآن - لسيد قطب: ج ١ ص ١١٣، ومقام إبراهيم - محمد طاهر ابن عبد القادر الكردي: ص ١١٧ وما بعدها.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص ١٧٠ (ط. دار الفكر).

(٥) ج ١ ص ٤٢٢.

(٦) رَمَلَ، يَرْمُلُ، رَمْلًا وَرَمْلَانًا: هَرَّوَلَ. (المعجم الوسيط: ج ١ ص ٣٧٥).

(٧) قال ابن كثير في تفسيره (ج ١ ص ١٧٠): «وقد كان هذا المقام مُلصقاً بجدار الكعبة قديماً، =

## ٨ - أول من يكسَى يوم الحشر:

روى الإمام مسلم في صحيحه<sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال: «يا أيها الناس، إنكم تُحشرون إلى الله حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا<sup>(٢)</sup>، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعَدًّا عَلَيْنَا، إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>. أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ...»<sup>(٤)</sup>.

وروي عن ابن عباس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ مَنْ يَكْسَى إِبْرَاهِيمَ حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُؤْتَى بِكَرْسِيِّ فَيُطْرَحُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، وَيُؤْتَى بِبِي فَأَكْسَى حُلَّةً لَا يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ»<sup>(٥)</sup>. ويُقال: إن الحكمة في خصوصية إبراهيم عليه السلام بذلك هي أنه لما أُلقي في النار كان عُريانياً، فكان الله جلّ وعلا أراد أن يكافئه في الآخرة فعَجَّلَ له بالكساء والستر! وقيل: لأنه أول من لبس السراويل<sup>(٦)</sup>. وهذه الأقوال لا تعدو أن تكون فهماً خاصاً واستنباطاً لبعض

= ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب، مما يلي الحجر، يَمَنَّةُ الداخل من الباب في البقعة المستقلة هناك. وكان الخليل عليه السلام لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة، أو أنه انتهى عنده البناء فتركه هناك. ولهذا - والله أعلم - أمر بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف، وناسب أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه. وإنما أخره عن جدار الكعبة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه... ولم يُنكر ذلك أحد من الصحابة». (١) كتاب الجنة، حديث رقم ٥٨ ورواه: البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة الأنبياء، والترمذي: كتاب تفسير القرآن - سورة الأنبياء، والنسائي: كتاب الجنائز باب ١١٩، وأحمد ابن حنبل: ج ١ ص ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٥٣، ٣٩٨.

(٢) الفُرْلُ: (بضم الفين المعجمة وإسكان الراء): غير مختونين، جمع: أغرل، وهو الذي لم يُختن، وبقيت معه عُرْلته، وهي قلفته، وهي الجلدة التي تُقَطَّع في الختان انظر: شرح النووي لصحيح مسلم: ج ١٧ ص ١٩٣ والمعجم الوسيط: ج ٢ ص ٦٥٧.

(٣) الأنبياء: ١٠٤.

(٤) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم: ج ١٧ ص ١٩٤.

(٥) فتح الباري - العسقلاني: ج ٦ ص ٣٩٠.

(٦) انظر: فتح الباري - العسقلاني: ج ٦ ص ٣٩٠. وأضاف في الصفحة نفسها: «ولا يلزم من خصوصيته عليه السلام بذلك تفضيله على نبيِّنا محمد ﷺ، لأن المفضول قد يمتاز بشيء =

العلماء، ليس لها من الإلزام شيء، لأن مثلها يُعرف بالوحي لا بالرأي.

## ٩- كونه وليّ النبي محمد ﷺ:

الوليّ: هو الصديق والمُحب والنصير<sup>(١)</sup>. وإبراهيم هو أقرب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى نبينا محمد ﷺ، ولا يخفى ما في هذا من فضل ومزية لإبراهيم. فهما - على الرغم من البُعد الزمني بينهما - قريبان في المحبة، وقريبان في منزلتهما عند الله.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي ولاية من النبيين، وإن وليّ منهم أبي، وخليلُ ربي عز وجل. ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، وَهَذَا النَّبِيُّ، وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>. ومعنى الآية الكريمة: إن أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل هم الذين اتبعوا دينه وآمنوا به، ومحمد ﷺ، والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار، ومن جاء بعدهم<sup>(٤)</sup>. وفي متابعة محمد ﷺ لأبيه خليل الرحمن، فخرٌ لإبراهيم عليه السلام، لأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء، وسيد ولد آدم.

---

= يُخصّ به، ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة». ويطلق هذا على كل خصوصيات إبراهيم وغيره من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) تاج العروس - الزبيدي: ج ١٠ ص ٣٩٨. وانظر: إصلاح الوجه والنظائر - الدماغاني: ص ٤٩٧، وأساس البلاغة - الزمخشري: ج ٢ ص ٥٢٨. قال الراغب في المفردات (ص ٥٣٣): «الولاء والتوالي: أن يحصل شيئان فصاعداً حُصولاً ليس بينهما ما ليس منهما. ويُستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة، والنصرة، والاعتقاد؛ والولاية: النصرة... والوليّ والمولى يُستعملان في ذلك، كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل، أي: الموالي، وفي معنى المفعول، أي: الموالى. يُقال للمؤمن: هو وليّ الله عز وجل... وقد يقال: الله تعالى وليّ المؤمنين ومولاهم».

(٢) آل عمران: ٦٨.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج ١ ص ٤٠١ وتفسير ابن كثير: ج ١ ص ٣٧٢ (ط). دار الفكر.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ج ٣ ص ٢١٨ (ط). دار المعرفة.



## ١٠ - مشابهته لتبينا عليهما السلام:

ويذكر في فضائل أبي الأنبياء وشمائله الوهية هذا التشابه الشديد في الخِلقَة بينه وبين خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام. فقد صحَّ أن رسول الله ﷺ قال: «ورأيت إبراهيم عليه السلام، فأنا أشبه ولده به»<sup>(١)</sup>. وقال: «أما إبراهيم عليه السلام فانظروا إلى صاحبكم»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا كان التشابه بين النبيين الكريمين: في الرسالة وفي الخُلُق وفي الخِلقَة. صلى الله وسلّم عليهما تسليماً كثيراً.

## ١١ - لِيُنْه (\*):

اتصف خليل الله - فيما اتصف به من صفات الكمال - باللين في الله والرحمة لَخَلَقَ الله. وهذه الصفة تنفع الداعي إلى الله في أغلب أحواله لأن المرء ينال بالرفق ما لا ينال بالعنف. قال تعالى مخاطباً محمداً ﷺ: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم...﴾<sup>(٣)</sup> وقد أمر الله سبحانه موسى وهارون عليهما السلام أن يُلينا القول لفرعون الذي طغى أملاً في هدايته واستمالة قلبه إلى الإيمان فقال جلّ جلاله: ﴿فقلوا له قولاً ليّناً لعله يتذكر أو يخشى﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد ضرب رسولنا ﷺ المثل بإبراهيم عليه السلام في اللين. روى

(١) مسند أحمد: ج ٢ ص ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق: ج ١ ص ٢٧٧ وانظر: صحيح البخاري: - كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى: ﴿وهل أتاك حديث موسى، وكلم الله موسى تكليماً﴾ (فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٦ وما بعدها ط. دار المعرفة) وصحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ وفرض الصلوات (شرح النووي: ج ٢ ص ٢٣٠، ٢٣١).

(\*) لأن الشيء، يلين، ليّناً وليّاناً: سهلاً وانقاد، فهو ليّنٌ وليّينٌ. ويقال: رجل ليّن الجانِب، وألان للقوم جناحه: أخذهم بالملاطفة. انظر: المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٥٨٧.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) طه: ٤٤.

الإمام أحمد رحمه الله في مسنده<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

«لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ، اسْتَبَقَهُمْ وَأَسْتَأْنِ<sup>(٢)</sup> بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ. وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ، قَرَّبَهُمْ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ... فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِمْ شَيْئًا... ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: إِنْ اللَّهُ لِيُلَيِّنُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنْ اللَّهُ لِيَشَدِّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ. وَإِنْ مَثَلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: ﴿مَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> وَمَثَلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى، قَالَ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>. وَإِنْ مَثَلُكَ يَا عُمَرَ كَمَثَلِ نُوحٍ، قَالَ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾<sup>(٥)</sup>، وَإِنْ مَثَلُكَ يَا عُمَرَ كَمَثَلِ مُوسَى، قَالَ: رَبِّ ﴿أَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾<sup>(٦)</sup>».

مِنَ هَذَا الْحَدِيثِ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّيْنَ فِي غَيْرِ تَرَاخٍ، وَالرَّفْقَ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، كَانَا مِنْ صِفَاتِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلَ فِي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ. وَالْمَتَّبِعُ لِسِيرَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجِدُ هَذِهِ الصِّفَةَ وَاضِحَةً فِيهَا، كَمَا مَرَّ مَعْنَا فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي هَذِهِ الرَّسَالَةِ.

(١) ج ١ ص ٣٨٣.

(٢) يُقَالُ: اسْتَأْنَى بِهِ: تَرَفَّقَ.

انظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٣١.

(٣) إِبْرَاهِيمَ: ٣٦.

(٤) الْمَائِدَةُ: ١١٨.

(٥) نُوحٍ: ٢٦.

(٦) يُونُسَ: ٨٨. وَالآيَةُ كَامِلَةٌ: ﴿وَقَالَ مُوسَى: رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا، رَبَّنَا لِيُضِلُّوْا عَنْ سَبِيلِكَ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ، وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ، فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾.

## ١٢ - كونه أمة:

الأمة: هي الجماعة التي يجمعها أمر ما: إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد<sup>(١)</sup>. والرجل الجامع لخِصال الخير يوصف بأنه أمة<sup>(٢)</sup>. ومن هنا وصف الله تبارك وتعالى خليله عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا الوصف موحٍ بأن أبا الأنبياء عليهم السلام لم يكن رجلاً عادياً، بل هو يعدل أمة كاملة بما فيها من الخير والفضل، والطاعة والنبيل<sup>(٤)</sup>.

قال الراغب الأصفهاني<sup>(٥)</sup>: «﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ أي: قائماً مقام جماعة في عبادة الله. نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة».

وروي عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم أن الأمة هو الذي يُعلّم الناس الخير والدين. وروي: أنه كان وحده مؤمناً والناس كلهم عند أول مبعثه كانوا كفاراً<sup>(٦)</sup>. ولا يمتنع أن تكون هذه المعاني كلّها داخلة في هذا اللفظ لتدل على علو مقام إبراهيم عليه السلام، وفضله عند الله وبين الناس.

(١) المفردات - الراغب الأصفهاني: ص ٢٣.

(٢) المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٧ ومختار الصحاح: ص ٢٥.

(٣) النحل: ١٢٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري ج ١٤ ص ١٢٨ (ط. دار المعرفة)، وفي ظلال القرآن - سيد قطب:

ج ٤ ص ٢٢٠١.

(٥) المفردات: ص ٢٣.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٣ ص ٥٩ (ط. دار الفكر)، وإصلاح الوجوه والنظائر - الدامغاني:

ص ٤٣، وفتح الباري - لابن حجر العسقلاني: ج ٨ ص ٢٩٤ (ط. المعرفة).

وجلاء الأفهام - لابن قيم الجوزية: ص ١٧٩.



## الفصل الثاني الفضائل الكسبية

من أهم هذه الفضائل والصفات ما يلي:

### ١ - الحنيفية:

وصف الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام بأنه حنيف في عدة مواضع من القرآن الكريم فقال: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين﴾<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله، حنيفاً، ولم يك من المشركين﴾<sup>(٢)</sup>.

والحنيف هو المستقيم على إسلامه لله تعالى، المائل عن الشرك إلى دين الله<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري<sup>(٤)</sup>: «تحنّف إلى الشيء مال إليه. ومنه قيل لمن مال عن كلّ دين أعوج: هو حنيف، وله دين حنيف. وتحنّف فلان: إذا أسلم».

---

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) النحل: ١٢٠.

وانظر: البقرة: ١٣٥، آل عمران: ٩٥، النساء: ١٢٥، الأنعام: ٧٩، ١٦١، النحل:

١٢٣.

(٣) انظر: محاسن التأويل - القاسمي: ج ٢ ص ٢٧٠.

(٤) أساس البلاغة: ج ١ ص ٢٠٢.

وجاء في تاج العروس<sup>(١)</sup>، «الْحَنْفُ (محرّكة): الاستقامة...  
والحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه... وكان عبدة الأوثان  
في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم، فلما جاء الإسلام سموا  
المسلم حنيفاً. وقال الأخفش: وكان في الجاهلية يُقال: من اختن وحج  
البيت قيل له: حنيف، لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين  
إبراهيم عليه السلام غير الختان وحج البيت... وفي حديث ابن عباس  
رضي الله عنهما: سئل رسول الله ﷺ أي الأديان أحب إليك؟ قال: (الحنيفية  
السمحة)<sup>(٢)</sup>، يعني شريعة إبراهيم عليه السلام لأنه تحنّف عن الأديان ومال  
إلى الحق».

يتّضح من هذه النقول أن إبراهيم عليه السلام قد ترك كل الأديان،  
ولزم دين الإسلام، واستقام عليه، فوصفه ربه تبارك وتعالى بأنه حنيف.

## ٢ - الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ. وَلَقَدِ  
اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا. وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ.  
قال: أسلمت لرب العالمين<sup>(٣)</sup>. وهذا تصريح بأن دين إبراهيم عليه السلام  
هو الإسلام، فما معنى الإسلام؟ وما معنى المسلم؟.

يقال: أسلم الرجل: انقاد، وأسلم أمره إلى الله تعالى: سلّمه

(١) الزبيدي: ج ٦ ص ٧٧ - ٧٨،

وانظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب - أبو حيان الأندلسي: ص ٨٤، ومفردات

الراغب الأصفهاني: ص ١٣٣، وتهذيب الصحاح - الزنجاني: ج ٢ ص ٥٣٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب ٢٩، وسنن الترمذي: كتاب المناقب، باب

٣٢، ٦٤، ومسند أحمد: ج ١ ص ٢٣٦ وج ٥ ص ٢٦٦ وج ٦ ص ١١٦، ٢٣٣.

(٣) البقرة: ١٣٠ - ١٣١،

وانظر: آل عمران: ٦٧،

النساء: ١٢٥.

وفوضه، واستسلم الرجل: انقاد وأذعن<sup>(١)</sup>. فالمسلم هو المستسلم لله، المنقاد لأمره ونهيه، المفوض أمره إليه. وإبراهيم عليه السلام كان في قمة التسليم والاستسلام لأمر خالقه، وهذا واضح في سيرته أكمل وضوح: فقد سلم ولده للقربان، وجسده للنيران، وماله للضيفان، بل سلم روحه وقلبه وكيانه كله للرحمن، وجعل صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين<sup>(٢)</sup>.

قال الراغب الأصفهاني<sup>(٣)</sup>: «والإسلام في الشرع على ضربين: أحدهما دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يُحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل. وإياه قصد بقوله: ﴿قالت الأعراب: آمنا، قل: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: أسلمنا...﴾<sup>(٤)</sup> والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاداً بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿إذ قال له ربّه أسلم، قال: أسلمت لرب العالمين﴾<sup>(٥)</sup>.

### ٣ - الحِلْمُ:

وصف الله تبارك وتعالى أخلاق خليله إبراهيم فقال: ﴿إن إبراهيم لحليم، أواه، منيب﴾<sup>(٦)</sup>، فما معنى هذه الصفات؟.

الحِلْمُ: «ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب»<sup>(٧)</sup> وهو من أكرم

(١) انظر: تاج العروس - للزبيدي: ج ٨ ص ٣٤٠. وتحفة الأريب - لأبي حيان: ص ١٤٠.

(٢) انظر: الأنعام: ١٦٢.

(٣) المفردات: ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٤) الحجرات: ٢٤.

(٥) البقرة: ١٣١. وانظر: موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباصي: ج ٥ ص ١٦٠ وما بعدها.

(٦) هود: ٧٥، وانظر: التوبة: ١١٤.

(٧) تاج العروس - للزبيدي: ج ٨ ص ٢٥٦، ومفردات الراغب الأصفهاني: ص ١٢٩. يقال:

حَلِمَ، يَحْلِمُ، حِلْمًا: تَأْتَى وَسَكَنَ عِنْدَ غَضَبٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، مَعَ قُدْرَةٍ وَقُوَّةٍ. وَحَلِمَ (أَيْضًا):

صَفَحَ، وَعَقَلَ. الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ: ج ١ ص ١٩٤. وانظر: أساس البلاغة - الرمخشري:

ج ١ ص ١٩٥.

وأندر صفات الرجال، يسلك صاحبه مع المحسنين الذين يحبهم الله، قال تعالى: ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وهو صفة عسير التحلي بها، لا يؤتاها إلا من تفضل الله عليه، وعود نفسه الصبر والمصابرة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ، إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(٣)</sup>.

والحلم خصلة يحبها الله تبارك وتعالى، وهو صفة من صفاته عز وجل<sup>(٤)</sup>، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشجع عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»<sup>(٥)</sup>. وقد عرف سيد العلماء محمد ﷺ الرجل القوي بأنه الحلم الذي يتمالك نفسه عند سورة الغضب، لا الذي يصرع الناس ويغلبهم، فقال فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»<sup>(٦)</sup>.

فليس غريباً على خليل الرحمن أن يتحلى بهذه الخصلة التي هي من أرفع وأعز الخصال<sup>(٧)</sup>.

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) فصلت: ٣٤ - ٣٥.

(٣) الشورى: ٤٣.

(٤) انظر: البقرة: ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٦٣ - وآل عمران: ١٥٥ - والنساء: ١٢ - والمائدة: ١٠١ - الحج: ٥٩ - والتغابن: ١٧ - وفاطر: ٤١.

(٥) صحيح مسلم: كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥، ٢٦، ومسنند أحمد: ج ٣ ص ٢٣ وج ٤ ص ٢٠٦.

(٦) صحيح البخاري: كتاب الأدب باب: ١٠٢، ومسنند أحمد: ج ١ ص ٣٨٢ وج ٢ ص ٢٣٦، ٢٦٨، ٥١٧.

(٧) انظر: موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباصي: ج ١ ص ١٨٢ وما بعدها.



قال ابن الجوزي<sup>(١)</sup>: في الأواه ثمانية أقوال:

أحدها: أنه الخاشع، الدعاء، المتضرع. رواه عبدالله بن شذاد ابن الهاد عن النبي ﷺ.

والثاني: أنه الدعاء. رواه زرُّ عن عبدالله، وبه قال عبيد بن عمير.

والثالث: الرحيم، رواه أبو العبيد بن العامري عن ابن مسعود، وبه قال الحسن، وقتادة، وأبو ميسرة.

والرابع: أنه الموقن، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك.

والخامس: أنه المؤمن، رواه العوفي، ومجاهد، وابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والسادس: أنه المسيح، رواه أبو إسحق عن أبي ميسرة، وبه قال سعيد بن المسيب وابن جبير.

والسابع: أنه المتأوه لذكر عذاب الله، قاله الشعبي. قال أبو عبيدة: ... معناه: متضرع شفقاً وفرقاً ولزوماً لطاعة ربه<sup>(٢)</sup>.

والثامن: أنه الفقيه. رواه ابن جرير عن مجاهد.

وأقرب المعاني عندي الأول والسابع، لأن «الأواه هو الذي يكثر التأوه، وهو أن يقول: أواه، وكل كلام يدل على حُزن يقال له: التأوه»<sup>(٣)</sup> وإبراهيم

(١) زاد المسير: ج ٣ ص ٥٠٩ - ٥١٠.

(٢) قال المثقّب العبدّي:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٣٢ وانظر:

لسان العرب - لابن منظور: ج ١٧ ص ٣٦٦

عليه السلام حين كان يدعوره تعالى ويتضرع إليه في خشية وخشوع، وحين كان يسبّحه، كان يتأوّه بين يديه، يرجو رحمته ويخشى عذابه.

## ٥ - الإنابة:

النُّوبُ: رجوع الشيء مرة بعد أخرى. والإنابة إلى الله تعالى: الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل<sup>(١)</sup>.

قال السيد محمد مرتضى الزبيدي في تاج العروس<sup>(٢)</sup>: ناب زيد إلى الله تعالى: أقبل وتاب، ورجع إلى الطاعة، كأناب إليه إنابةً فهو مُنيب. وقيل: ناب: لزم الطاعة، وأناب: تاب ورجع<sup>(٣)</sup>.

والمنيب إلى الله تعالى يهديه ربه إليه، قال سبحانه: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿قل إن الله يضلّ من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾<sup>(٥)</sup>.

والإنابة من صفات الأنبياء، والصّالحاء الأتقياء: ﴿وظنّ داود أنما فتناه، فاستغفر ربه، وخرّ راکعاً وأناب﴾<sup>(٦)</sup> ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾<sup>(٧)</sup> ﴿لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه. إذ

= وأساس البلاغة - للزمخشري: ج ١ ص ٢٦.

وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب - لأبي حيان الأندلسي: ص ٣٩.

وفتح الباري - لابن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٣٨٩.

واللغات في القرآن - رواية ابن حسون: ص ٢٩.

(١) مفردات الراغب الأصفهاني: ص ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٢) ج ١ ص ٤٩٦.

(٣) وانظر: لسان العرب المحیط: ج ٣ ص ٧٣٧ وتحفة الأريب - لأبي حيان الأندلسي: ص

٢٥٧ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية: ج ٢ ص ٧٧٠.

(٤) الشورى: ١٣.

(٥) الرعد: ٢٧.

(٦) ص: ٢٤.

(٧) ص: ٣٤ وانظر: الزمر، ١٧، والشورى: ١٠، وغافر: ١٣، وسبأ: ٩، وق: ٨ و٣٣.

قالوا لقومهم: إنا بُرَاء منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده، إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك، وما أملك لك من الله من شيء: ربنا عليك توكلنا، وأليك أنبنا، وإليك المصير»<sup>(١)</sup>.

فإبراهيم عليه السلام كان رجاعاً إلى الله دائماً، مُخْلِصاً مُخْلِصاً، تائباً طائعاً، ولذلك استحق ثناء الله عليه: ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

## ٦ - الصّدّيقية:

الصّدق: عكس الكذب. وهو «مطابقة القول الضمير والمُخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً. والصّدق: مَنْ كَثُرَ منه الصدق، وقيل: بل يقال لمن لا يكذب قطّ، وقيل: بل لمن لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق، وقيل: بل لمن صدق بقوله واعتقاده وحقّق صدقه بفعله»<sup>(٣)</sup>.

وقد وصف القرآن الكريم ثلاثة من الأنبياء الكرام عليهم السلام بأنهم صدّيقون، وهم يوسف<sup>(٤)</sup>، وإدريس<sup>(٥)</sup>، وإبراهيم الذي قال فيه: ﴿وَإِذْ ذَكَرْنَا فِي

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) هود: ٧٥.

وانظر: موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباصي ج ١ ص ٢٤٩ وما بعدها.

(٣) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٢٧٧.

وتاج العروس: ج ٤ ص ٤٠٥.

ومحاسن التأويل - للقاسمي: ج ١١ ص ٤١٤٤.

وتفسير القرطبي: ج ١ ص ٢٣٣، وج ٥ ص ٢٧٢. قال الفخر الرازي في تفسيره (ج ٢١ ص ٢٢٣): وفي الصّدق قولان: أحدهما أنه مبالغة في كونه صادقاً، وهو الذي يكون عادته الصدق، لأن هذا البناء ينبيء عن ذلك. يقال: رجل حَمِيمٌ وَسَكِيمٌ: للمولع بهذه الأفعال. والثاني: أنه الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهوراً به، والأول أولى.

(٤) يوسف: ٤٦.

(٥) مريم: ٥٦.

الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً<sup>(١)</sup>، كما أطلق هذه الصفة على غير الأنبياء فمريم بنتُ عمران صديقه<sup>(٢)</sup>، والقوم الذين علت درجاتهم عند الله بطاعتهم لله والرسول حتى سبقوا الصالحين والشهداء هم الصديقون أيضاً: ﴿ومن يُطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً﴾<sup>(٣)</sup>.

فإبراهيم عليه السلام حاز صفة الصديق بأوسع معانيها وأعلى مراتبها: فهو كثير الصدق، لم يقع في معصية الكذب قط، وقد صدق بقوله واعتقاده وفعله، فاستحق أن يكون خليل الرحمن.

## ٧ - الشُّكر :

الشكر: تصوُّر النعمة وإظهارها، ويضادّه الكفر: وهو نسيان النعمة وسترها. والشكر ثلاثة أضرب: شكر القلب، وهو تصوُّر النعمة؛ وشكر اللسان: وهو الثناء على المنعم؛ وشكر الجوارح: وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه<sup>(٤)</sup>. قال تعالى: ﴿وقليلٌ من عبّادي الشُّكُور﴾<sup>(٥)</sup> ففيه تنبيه أن توفية شكر الله صعب، ولذلك لم يُثن بالشكر من أوليائه إلا على اثنين: إبراهيم ونوح عليهما السلام<sup>(٦)</sup> وورد في تاج العروس<sup>(٧)</sup>: «الشُّكر (بالضم) عرفانُ الإحسان ونشره. ولا يكون الشكر إلا عن يد<sup>(٨)</sup>، والحمد يكون عن يدٍ وغير يد، فهذا الفرقُ بينهما. والشكر مبنيٌّ على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور،

(١) مريم: ٤١.

(٢) المائدة: ٧٥.

(٣) النساء: ٦٩ وانظر: الحديد: ١٩.

(٤) هكذا في الأصل.

(٥) سبأ: ١٣ وانظر: البقرة: ٢٨٣، يوسف: ٣٨، النمل: ٧٣.

(٦) فقال عن نوح: ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ (الإسراء: ٣) وعن إبراهيم: ﴿شاكراً لأنعمه﴾

(النحل: ١٢١). انظر: مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٢٦٥ وأساس البلاغة -

للزمخشري: ج ١ ص ٥٠٠.

(٧) للزبيدي: ج ٣ ص ٣١٢.

(٨) اليد: النعمة. انظر: أساس البلاغة - للزمخشري: ج ٢ ص ٥٦٠.

وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره. هذه الخمسة هي أساس الشكر، وبنائها عليها، فإن عدم منها واحدة، اختلّت قاعدة من قواعد الشكر».

وقد أمر الله سبحانه عباده بالشكر فقال: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾<sup>(١)</sup>. وقام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك. فقال: «أولاً أكون عبداً شكوراً؟!»<sup>(٢)</sup>.

والذي أوتي الشكر فقد أوتي ما هو خير من الذهب والفضة والمتاع. فعن ثوبان قال: لما أنزلت: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾<sup>(٣)</sup>، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: قد نزل في الذهب والفضة ما نزل، فلو أنا علمنا أي المال خير اتخذناه، فقال: «أفضله لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»<sup>(٤)</sup>.

وهكذا، فقد كان إبراهيم عليه السلام شاكراً لله بقلبه ولسانه وجوارحه، خاضعاً لمن أولاه نعمه، مُحِبّاً له، معترفاً بفضله، مُشِئاً عليه بما أنعم، مُستعملاً نعمته فيما يُرضي مولاه المُنعم... فكان - بعد رسولنا عليه الصلاة والسلام - سيّد الشاكرين<sup>(٥)</sup>.

(١) البقرة: ١٥٢. وانظر: البقرة: ١٧٢، والنحل: ١١٤، والعنكبوت: ١٧.

(٢) روى الحديث المغيرة بن شعبة. انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٤ ص ٢٥١، ٢٥٥ وج ٦ ص ١١٥.

(٣) التوبة: ٣٤.

(٤) مسند الإمام أحمد: ج ٥ ص ٢٧٨، ٢٨٢، ٣٦٦.

(٥) وانظر في الشكر كلاماً لأبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء: ج ٤ ص ٨٠ وما بعدها.

وموسوعة الأخلاق في القرآن - أحمد الشرباصي: ج ١ ص ١١٢ وما بعدها.

## ٨ - الدعاء:

دعاء الله تعالى هو سؤاله واستغاثته. قال تعالى: ﴿قالوا: ادع لنا ربك﴾<sup>(١)</sup> أي: سألته، وقال: ﴿قل: أرأيتم إن أتاكم عذابُ الله أو أتتكم الساعة، أغير الله تدعون إن كنتم صادقين؟ بل إياه تدعون.﴾<sup>(٢)</sup>، أي: إذا أصابتكم شدة لم تضرعوا إلا إليه<sup>(٣)</sup>.

«والدعاء هو العبادة»<sup>(٤)</sup>، وهو من أهم ما يصل العبدَ بربه. والدعاء يكشف نفس الداعي، ويبيِّن حقيقته: هل هو مهتمٌ بالدنيا، يطلبها ويسعى وراءها، ويرجو من خالقه أن يُدللها له، أم هو مقبل على الآخرة يسعى لها سعيها ويرجو الفوز فيها<sup>(٥)</sup>.

لقد كان إبراهيم عليه السلام دعاءً، ودعاؤه يدل على سمو نفسه، وحرصه على رضا خالقه وبارئه، والفوز بنعيمه ورضوانه. فهو يسأل ربه الحكمة والصلاح، والصدق والفلاح، والجنة، والعزة يوم القيامة.

يقول عليه الصلاة والسلام كما حكى القرآن الكريم عنه: ﴿ربِّ هبْ لي حُكماً وألحقني بالصالحين. واجعل لي لساناً صديقاً في الآخرين. واجعلني من ورثة جنة النعيم. واغفر لأبي إنه كان من الضالين. ولا تخزني يوم يُبعثون. يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) البقرة: ٦٨، ٦٩، ٧٠.

(٢) الأنعام: ٤٠، ٤١.

(٣) مفردات الراغب الأصفهاني: ص ١٧٠. وانظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٨٦ (ط ٢).  
والمُعَرَّب في ترتيب المعرب - أبو الفتح المطرزي: ص ١٧٩.

(٤) حديث رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه. انظر مسند الإمام أحمد: ج ٤ ص ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦. وقد روي هذا الحديث عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «الدعاء مخ العبادة». ومخ الشيء: خالصه، وما يقوم به، كمش الدماغ الذي هو نقيته، ومخ العين: شحمها. والمعنى: أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء، كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ. انظر: منهل الواردين شرح رياض الصالحين - صبحي الصالح: ص ٧٩٥ (هامش).

(٥) انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طيارة: ص ١٣١.

(٦) الشعراء: ٨٣ - ٨٩.

وهو يرجو من ربه أن يجعله مسلماً، ويرجو منه أن يكون الإسلام في ذريته، فهو محبٌ لهم، مشفق عليهم، يتمنى على ربه أن يبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم. يقول (هو) وابنه إسماعيل عليهما السلام): ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك، وأرنا مناسكنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم. ربنا ابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (١).

﴿ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا، واغفر لنا، إنك أنت العزيز الحكيم﴾ (٢).

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لي ولوالدي وللؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (٣).

## ٩ - القنوت :

وصف الله تبارك وتعالى خليله بأنه قانت له فقال: ﴿إن إبراهيم كان أمة، قانتاً لله، حنيفاً ولم يك من المشركين﴾ (٤).

والقنوت لفظ مشترك بين عدة معانٍ (٥)، لعلّ أظهرها: لزوم الطاعة مع الخضوع (٦).

(١) البقرة: ١٢٨ - ١٢٩ . (٣) إبراهيم: ٤٠ - ٤١ . وانظر: موسوعة أخلاق القرآن - أحمد (٢) الممتحنة: ٥ - ٦ . الشرباصي: ج ٦ ص ٢٩ وما بعدها.

(٤) النحل: ١٢٠ .

(٥) نظم الحافظ العراقي معاني القنوت في أبيات فقال: (انظر: تاج العروس: ج ١ ص ٥٧٣).  
ولفظ (القنوت) أعدد معانيه تجد  
مزيداً على عشر معاني مرضية  
دعاء، خشوع، والعبادة، طاعة  
إقامتها، إقراره بالعبودية  
سكوت، صلاة، والقيام، وطوله  
كذلك دوام الطاعة، السرايح النية  
وزيد عليها:

دوام لحج، طول غزو، تواضع إلى الله، خذها: ستة وثمانية  
(٦) مفردات الراغب الأصفهاني: ص ٤١٣ . وانظر: أساس البلاغة - للزمخشري: ج ٢ ص

٢٧٨، وإصلاح الوجوه والنظائر - للدماغاني: ص ٣٩١، وتهذيب الصحاح - للزنجاني: ج ١ =

جاء في تاج العروس<sup>(١)</sup>: «القنوت: الطاعة، والسكوت، والدعاء. قال الزجاج: وحقيقة القانت: أنه القائم بأمر الله. فالداعي إذا كان قائماً خُصَّ بأن يقال له: قانت، لأنه ذاكر لله. وهو قائم على رجليه. فحقيقة القنوت: العبادة والدعاء لله عز وجل في حال القيام».

فإبراهيم عليه السلام قانت لله بهذه المعاني كلها: فهو مُلَازِمٌ لَطَاعَةِ رَبِّهِ، خَاضِعٌ لَهُ، دَاعٍ مَوْلَاهُ، سَاكِتٌ عَنِ كُلِّ شَرٍّ، خَاشِعٌ فِي عِبَادَتِهِ، كَامِلٌ فِي عِبُودِيَّتِهِ<sup>(٢)</sup>.

### ١٠ - سلامة القلب:

ومن صفات إبراهيم عليه السلام: سلامة القلب. قال الله تعالى عنه: ﴿إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup> أي: «أقبل إلى توحيدِه بقلب خالص من الشوائب، باقٍ على الفطرة، سليمٍ عن النقائص والآفات»<sup>(٤)</sup>. والسلامة: هي التَّعَرِّيُّ مِنَ الْآفَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ. قال الراغب<sup>(٥)</sup>: «بقلب سليم» أي مُتَعَرِّضٌ مِنَ الدَّغْلِ»<sup>(٦)</sup>.

«والتعبيرُ بالسلامة تعبيرٌ موحٍ مصوّرٌ لمدلوله، وهو في الوقت ذاته بسيط، قريب المعنى، واضح المفهوم. ومع أنه يتضمّن صفاتٍ كثيرةً من البراءة والنقاوة، والإخلاص والاستقامة.. إلا أنه يبدو بسيطاً غير معقّد، ويؤدي معناه بأوسع مما تؤدّيه هذه الصفات كلها مجتمعات! وتلك إحدى

= ص ١١٧، والمُغْرَبُ فِي تَرْتِيبِ الْمَعْرَبِ - للمطرزي: ص ١٣٤ - ١٣٥، والمعجم الوسيط: ج ٢ ص ٧٦١ (ط ٢).

(١) الزُّبَيْدِيُّ: ج ١ ص ص ٥٧٣ - ٥٧٤.

(٢) انظر: موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباصي: ج ٢ ص ١٦٣ وما بعدها.

(٣) الصافات: ٨٤.

(٤) محاسن التأويل - القاسمي: ج ١٤ ص ٥٠٤٥ وما بعدها: وانظر: تنوير المقباس من تفسير

ابن عباس - الفيروز آبادي: ص ٢٧٨.

(٥) المفردات: ص ٢٣٩.

(٦) الدَّغْلُ: عيب في الأمر يفسده. المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٨٨.



بدائع التعبير القرآني الفريد. وبهذا القلب السليم استنكر ما عليه قومه واستبشعه، استنكار الحسّ السليم لكل ما تنبو عنه الفطرة الصادقة من تصور وسلوك»<sup>(١)</sup>.

ولعل سلامة القلب التي تحلّى بها خليل الله وأبو الدعاة من أهم الصفات التي يحتاج إليها العاملون في حقل الدعوة الإسلامية في زمننا هذا، وفي كل زمان، فتكون قلوبهم صافية نقية، سليمة من الحقد والحسد والتباغض نحو منافسيهم، والعاملين معهم في الدعوة إلى الله، فلا يهمزونهم، ولا يلمزونهم، ولا يتهمونهم بشيء من التهم التي تنفر القلوب، وتفرق الكلمة، وتضعف الصف: ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم﴾<sup>(٢)</sup>. وعندئذ يكونون قد أخذوا بواحد من أهم أسباب النصر في الدنيا، والفلاح في الآخرة: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾<sup>(٣)</sup>.

## ١١ - عمارة البيت الحرام:

تحدث القرآن الكريم عن بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة المشرفة فقال: ﴿وإذ بوأنا<sup>(٤)</sup> لإبراهيم مكان البيت ألاّ تشرك بي شيئاً، وطهر بيتي للطائفين، والقائمين، والركع السجود﴾<sup>(٥)</sup>. وقال: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل: ربنا تقبل منا، إنك أنت السميع العليم﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٥ ص ٢٩٩٢. وانظر التفسير الكاشف - محمد جواد مغنّية:

ج ٦ ص ٣٤٦، وتفسير القرآن الكريم - محي الدين بن عربي: ج ٢ ص ٣٤٢.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) الشعراء: ٨٨ - ٨٩، وانظر في المعنى: موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباصي: ج ٤ ص

٩٠ وما بعدها.

(٤) يقال: بوأ المنزل له: أعدّه. المعجم الوسيط: ج ١ ص ٧٤.

(٥) الحج: ٢٦.

(٦) البقرة: ١٢٧. وانظر: آل عمران: ٩٦ - ٩٧. قال ابن جرير في تفسير آية البقرة (ج ٣ ص

٥٧ وما بعدها) بعد أن استعرض الأقوال في تفسير قواعد البيت: «... وجائز أن يكون ذلك

أما الأحاديث التي روت قصة بناء البيت فعديدة، إلا أن أغلبها لا يخلو من علامات الضعف أو الوضع، وأولها بالقبول ما رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه<sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومنه: «... ثم لبث عنهم<sup>(٢)</sup> ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل ييري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، وصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتُعنيني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>».

فإبراهيم عليه السلام هو الذي بنى بيت الله، وأذن في الناس بحجه، وثوابه من الله عليه لا ينقطع ما دام البيت قائماً يحج الناس إليه ويعتمرون.

---

= قواعد بيت كان أهبطه مع آدم فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة. وجائز أن يكون ذلك القبة التي ذكرها عطاء... وجائز أن يكون ياقوتة أو درة أهبط من السماء... ولا علم عندنا بأي ذلك كان من أي، لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ، بالنقل المستفيض، ولا خبر بذلك...».

(١) كتاب الأنبياء - باب ٩.

(٢) يعني: إبراهيم عليه السلام، عن ولده وأهل ولده.

(٣) البقرة: ١٢٧. وانظر في قصة بناء البيت:

قصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ٢٠٣ وص ٢٢٤ - ٢٣١، والكامل - ابن الأثير: ج ١ ص ١٠٦ وما بعدها،

وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - أبو الطيب تقي الدين الفاسي: ج ١ ص ٩١ وما بعدها.

وأخبار مكة - أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرق: ج ١ ص ٥٨ - ٦٦،

وتاريخ اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح: ج ١ ص ٢٧،

وتاريخ الكعبة المعظمة - حسين عبد الله بإسلامه: ص ٥١ - ٦٠،

والفائق في غرب الحديث والأثر - الزمخشري: ج ٢ ص ٨ - ٩.

وقد أمر الله نبيّه وأمته أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، تحقيقاً للاقتداء به، وإحياء آثاره<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ حسن البنا<sup>(٢)</sup> رحمه الله: «وكانما أراد الحق تبارك وتعالى أن ينصرف الناس بدعوة إبراهيم وعمله عن الرمزية الوثنية الخاطئة، إلى الرمزية البشرية الصحيحة، فعهد إلى إبراهيم عليه السلام أن يبني الكعبة قياماً للناس، ويرفع قواعد البيت، ليكون رمزاً لمشاعر البشر الفردية والاجتماعية، ومثابةً لوحدتهم، وأمناً لخوفهم وقلقهم، لا رمزاً لصفات الإله جل وعلا، وخصائص أفعاله».

## ١٢ - إكرام الضيف:

من أبرز وأجلى صفات النبل والمروءة إكرام الضيف. وقد حث الإسلام على هذه الفضيلة فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمِ ضَيْفَهُ»<sup>(٣)</sup>. وقد اشتهر خليل الرحمن بإكرام الضيف حتى صار يُكنى «بأبي الضيفان»<sup>(٤)</sup>. وذكر ذلك له القرآن الكريم فقال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ؟ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: سَلَامًا، قَالَ: سَلَامٌ، قَوْمٌ مُنْكَرُونَ. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ، قَالَ: أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: جلاء الأفهام - ابن قيم الجوزية: ص ١٨٦.

(٢) الله في العقيدة الإسلامية: ص ٣١،

وانظر: قصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ٢٢٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ٣١، ٨٥، وكتاب الرقاق، باب ٢٣، وروى الحديث: أحمد بن حنبل، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى - ابن سعد - ج ١ ص ٤٧. وموطأ مالك ص ٦٦٠، حديث رقم ١٦٦٧.

(٥) الذاريات: ٢٤ - ٢٧. انظر تفسير الآيات: الطبري: ج ٢٦ ص ١٢٨ وما بعدها (ط. دار

المعرفة). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى، قَالُوا: سَلَامًا، قَالَ: سَلَامٌ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيذٍ﴾ (هود: ٦٩).

في هذه الآيات ثناء على إكرام إبراهيم عليه السلام لضيفه من وجوه متعددة تظهر لمن ينعم النظر فيها. ومن هذه الوجوه:

أن الله سبحانه قال: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ ولم يذكر استئذانهم. وفي هذا إشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام كان قد عُرف بإكرام الضيوف، حتى صار منزله مَصِيفَةً<sup>(١)</sup>، مطروفاً لمن ورده، لا يحتاج فيه الدخول إلى الاستئذان، بل استئذانه دخوله.

ومنها: أنه لما أنكر ضيفه ولم يعرفهم، احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفرون منه، فلم يقل لهم: أنتم قوم منكرون. بل حذف المبتدأ، وهذا من لطف الكلام.

ومنها: أنه بنى الفعل للمجهول فقال: ﴿منكرون﴾، ولم يقل: إني أنكركم، وهو أحسن في هذا المقام، وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

ومنها: أنه راغ إلى أهله، والرَّوْغان: هو الذهاب سرّاً<sup>(٢)</sup> بحيث لا يكاد ضيوفه يشعرون به، ويعلمون أنه ذاهب لإعداد الطعام، فيشق ذلك عليهم، ويستحيون، فهم لم يشعروا إلا وقد حضر الطعام بين أيديهم.

ومنها: أنه جاء بعجل سمين، فهو قد تخيّر لهم من كريم ماله، وأتى به بنفسه، لم يبعثه مع خادم أو سواه، وهذا غاية في إكرام الضيف.

ومنها: أنه قرّب الطعام إليهم، ولم يدعهم إلى القيام له. وهذا أبلغ في الإكرام، أن يظلّ الضيف جالساً حيث هو، ثم يُحمل إليه الطعام، ولا يوضع الطعام في ناحية ثم يُدعى الضيف إلى الاقتراب منه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المَصِيفَةُ: موضع الضيافة. (ج) مضايف. (المعجم الوسيط: ج ١ ص ٥٤٩).

(٢) انظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٣٨٤.

(٣) انظر: جلاء الأفهام - ابن قيم الجوزية: ص ١٨١ وما بعدها،

وتاريخ الطبري: ج ١ ص ٢٤٨ وما بعدها،

وصبح الأعشى في صناعة الانشا - القلقشندي: ج ١ ص ٤٣١ وج ٤ ص ١١٦، والنوبة =

فحريّ بالدعاة إلى الله أن يتّصفوا بالكرم، لأن في ذلك دليلاً على خروج الدنيا من قلوبهم وإن كانت في أيديهم، ولأن الكرم يُحبّب الناس فيهم ويجعلهم أكثر استعداداً لقبول دعوتهم والإيمان بفكرتهم<sup>(١)</sup>.

### ١٣ - اختتانه<sup>(٢)</sup>:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اختتن إبراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقَدوم»<sup>(٣)</sup>.

فإبراهيم عليه السلام أول من سنّ الاختتان<sup>(٤)</sup>. ولا يخفى ما يتطلبه امتثاله أمر ربه هذا من جرأة ورجولة، إذ ليس سهلاً على المرء، خاصة وقد بلغ الثمانين، أن يقطع بيده جزءاً من جسمه، فيبين منه، ويسيل دمه وهو ينظر. وقد تألم إبراهيم عليه السلام من هذا دون شك، ولكنه صبر ابتغاء مرضاة الله.

= والأنبيا - محمد علي الصابوني: ص ١٥٧،  
ومع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طّبارة: ص ١٣٤.  
(١) وقديماً قال الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته وإذا أنفقتَه فالمال لك  
وقال: يسقط الطير حيث ينثر الحبّ وتُغشَى منازلُ الكرماء  
(٢) يقال: ختنَ الصبيّ، يَخْتِنُه، خَتْنًا، وخِتَانًا، وخِتَانَةً: قطع قَلْفَتَه، فهو مخْتون. المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢١٧.

(٣) رواه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الفضائل، حديث ١٥١. والبخاري في كتاب الاستئذان، باب ٥١، وأحمد في مسنده: ج ٢ ص ٣٢٢، ٤١٧، ٤٣٥ وابن سعد في الطبقات: ج ١ ص ٤٧.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم (ج ١٥ ص ١٢٢ ط. دار الفكر): رُواة مسلم متفقون على تخفيف القدوم. ووقع في روايات البخاريّ الخلاف في تخفيفه وتشديده. قالوا: وآلة النجار يقال لها: قَدوم، بالتخفيف لا غير. وأما القَدوم، مكان بالشام، ففيه التخفيف والتشديد. فمن رواه بالتشديد أراد القرية، ورواية التخفيف تحتل القرية والآلة. والأكثر على التخفيف وعلى إرادة الآلة. انظر: الفائق - للزمخشري: ج ٣ ص ١٦٥، والمعجم الوسيط: ج ٢ ص ٧٢٧.

(٤) انظر: قصص الأنبياء - الثعلبي: ص ٧٨.

ذكر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري<sup>(١)</sup> أن أبا يعلى روى من طريق علي بن رباح قال: «أمر إبراهيم بالاختتان، فاختنن بقدم، فاشتد عليه، فأوحى الله إليه، أَنْ عَجَلْتَ قَبْلَ أَنْ نَأْمُرَكَ بِآلَتِهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ كَرِهْتُ أَنْ أُوْخَرَ أَمْرُكَ».

ومهما يكن الأمر، فليس اختتان إبراهيم عليه السلام، ومبادرته إلى ذلك، إلا إحدى صور رجولته وكمال طاعته.

١٤ - وفاؤه<sup>(٢)</sup>:

أثنى الله تبارك وتعالى على خليله إبراهيم، وذكر تحلّيه بخصلة الوفاء فقال: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾<sup>(٣)</sup>. فهو قد بذل جهده، واستنفذ طاقته في تبليغ رسالة ربه، وفي طاعة خالقه، وأداء ما أمره بأدائه، وما ابتلاه به<sup>(٤)</sup>.

روى ابن جرير الطبري<sup>(٥)</sup> بإسناده، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الإسلام ثلاثون سهماً، وما ابتلي بهذا الدين أحد فأقامه إلا إبراهيم. قال الله: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾، فكتب الله له براءة من النار.

وروى ابن جرير أيضاً<sup>(٦)</sup> خبرين عن رسول الله ﷺ في تفسير توفية إبراهيم عليه السلام. أما الأول «فمن أنس عن أبيه قال: كان النبي ﷺ

(١) فتح الباري: ج ٦ ص ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٢) يقال: وفى الشيء، يفي، وفاءً، ووفياً: تمّ. ووفى فلان نذرَه، وفاءً: أداه. ووفى بعهده: عمل به. ووفى فلاناً حقّه: أوفاه إياه. انظر: المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٠٥٩ وتاج العروس: ج ١ ص ٣٩٤.

(٣) النجم: ٣٧.

(٤) انظر: مفردات الراغب الأصفهاني ص ٥٢٨، وتفسير ابن كثير: ج ٤ ص ٢٥٧ وما بعدها (ط. دار الفكر).

وفي ظلال القرآن - سيد قطب: ج ٦ ص ٣٤١٤، وموسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباصي: ج ٢ ص ١٩٤.

(٥) التفسير: ج ٢٧ ص ٤٣ (ط. دار المعرفة).

(٦) التفسير: ج ٢٧ ص ٤٣.

يقول: ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾<sup>(١)</sup> حتى ختم الآية». وأما الثاني: فعن أبي أمامة قال: «قال رسول الله ﷺ، ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾، أتدرون ما وفى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: وفى عمل يومه أربع ركعات في النهار». وعلق ابن جرير على هذين الخبرين فقال: في إسنادها نظر. قلت: وضعفهما من حيث المتن واضح والله أعلم، إذ ما أيسر صلاة أربع ركعات في اليوم، وتلاوة بضع آيات! إنه أمر لا يستحق مثل هذا الثناء<sup>(٢)</sup>.

(١) الروم: ١٧ وانظر: مسند أحمد: ج ٣ ص ٤٣٩.

(٢) وانظر كلام الحافظ ابن كثير في تضعيف الحديثين، في تفسيره: ج ٤ ص ٢٥٨ (ط. دار الفكر).





# البَابُ الْخَامِسُ

شَبَاهَاتٌ مَرْدُودَةٌ



## الفصل الأول

### شبهة الشك في وجود إبراهيم

عليه السلام

ابتلي أبو الأنبياء، عليه صلوات الله، في حياته بأشد أنواع الابتلاء، وابتليت سيرته بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى بأشد ما تبلى به سير الرسل والأنبياء، أو المصلحين والزعماء، أو الكبراء والعظماء.

وليس هذا بغريب، فما زال الباطل عدواً للحق يكيد له كيداً، ويحرك حوله الشبهات.. ولكن أنى لمُثار النَّقْع أن يحجب عين الشمس! وإن ظنَّ ضعاف البصائر والألباب أنها قد دلفت نحو المغيب، فما هي إلا هُنيهة حتى يعود التراب إلى الأرض، وتعود ذكاء تكحل الأبصار بالضياء.

ومن الشبهات التي أثرت حول أبينا إبراهيم عليه السلام التشكيك في وجوده أصلاً، والقول بأنه شخصية خيالية لا حقيقة لها في عالم الواقع. وقد أثار هذه الشبهة طه حسين في كتابه المسمى «في الشعر الجاهلي»<sup>(١)</sup>، وفي هذا

---

(١) ص ٢٦. وأنا مضطر هنا إلى النقل عن مصادر أخرى غير الكتاب نفسه لأنه طبع عام ١٩٢٦ م، وأثار ضجة كبرى لما حواه من الخروج عن الإسلام، فحوكم صاحبه، وجمعت نسخ كتابه من الأسواق، ولم يُعد طبعه بشكله ذلك بعد ذلك، فصارت نسخ الطبعة الأولى نادرة الوجود. ولكن ما أنقله هنا عن كتاب: تحت راية القرآن - لمصطفى صادق الرافعي - وهو مطبوع في العام نفسه - قد تواتر نقله عن طه حسين بالحرف الواحد، ولم ينكره لا هو ولا أصدقاؤه وأنصاره، ومن هؤلاء: جمال الدين الألوسي في كتابه: طه حسين بين أنصاره وخصومه ص ١٢٠، ١٢٣ وقد حصلت على الطبعة الثانية من الكتاب (عام ١٩٢٧ م)، وفي مقدمتها يشير طه حسين إلى أنه حذف هذا الكلام وغيره مما ورد في الطبعة الأولى؛ يقول: =

الصدد يقول:

«للتوراة أن تحدّثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدّثنا أيضاً. ولكنّ ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدّثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة... ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والتوراة والقرآن من جهة أخرى<sup>(١)</sup>».

ويقول في موضع آخر<sup>(٢)</sup>: «... فقريش إذن كانت في هذا العصر ناهضة نهضة مادية تجارية، ونهضة دينية وثنية، وهي بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد في البلاد العربية وحدة سياسية وثنية مستقلة... وإذا كان هذا حقاً - ونحن نعتقد أنه حق - فمن المعقول أن تبحث هذه النهضة الجديدة لنفسها عن أصل تاريخي قديم، يتصل بالأصول التاريخية المأجدة التي تحدّثت عنها الأساطير... وإذن فليس ما يمنع قريشاً من أن تتقبل هذه (الأسطورة) التي تُفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم.. كما قبلت روما قبل ذلك، ولأسبابٍ مشابهة، أسطورة أخرى صنعها اليونان، تُثبت أن روما متصلة بإينياس بن بريام صاحب طروادة. أمر هذه القصة، إذن،

---

= وهذا كتاب السنة الماضية، حُذف منه فصل، وأثبت مكانه فصل، وأضيفت إليه فصول، وغُيّر عنوانه بعض التغيير...».

(١) نقلاً عن: تحت راية القرآن - مصطفى صادق الرافعي: ص ١٥٧.

(٢) المرجع السابق: ص ١٥٨. وقد ألّف عديد من العلماء كتباً ردّوا بها على طه حسين، منها، غير ما أشير إليه:

- محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل عليها كتاب: في الشعر الجاهلي - محمد الخضري؛ والنقد التحليلي لكتاب: في الأدب الجاهلي - محمد أحمد الغمراوي؛ والشهاب الراصد - محمد لطفي جمعة، وطه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام - أنور الجندي،

- وموقف النقد الأدبي من الشعر الجاهلي - محمد رجب البيومي.

واضح، فهي حديثه العهد، ظهرت قبل الإسلام، واستغلها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً...».

فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام - حسبما يعتقد طه حسين - لم يكن لهما وجود فعلي، وبالتالي لا يُتصور أن يقوما ببناء الكعبة. وواضح أن هذه شبهة مقنعة، حقيقتها التشكيك في القرآن الكريم، والادعاء أنه ليس وحياً من الله، وأنه ليس كتاباً ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾<sup>(١)</sup>، بل هو من كلام محمد ﷺ، يَدْخُلُه ما يدخل كلامَ الناس من الخطأ والغفلة، والكذب والاحتيال، وحاشا للقرآن أن يكون كذلك.

إن طه حسين بإنكاره هذا ارتكب خطأين جسيمين: الأول عقلي، والثاني منهجي: أما العقلي، فيتمثل في إنكاره التواتر، الذي هو رواية جمع يُحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب<sup>(٢)</sup>، ووجود إبراهيم عليه السلام أمر متواتر.. وأما المنهجي، فهو أنه لم يُقدِّم دليلاً واحداً على نفي وجودهما، سوى الشك الذي لا يقوم على أساس.

يقول العقاد<sup>(٣)</sup> في الرد على شبهتي وجود إبراهيم عليه السلام، وعلاقته بمكة والبيت الحرام:

«إن هذه الشبهات لا تقوم على سندٍ من العلم، سواء كان الباحث

(١) فصلت: ٤٢.

(٢) تيسير مصطلح الحديث - محمود الطحان: ص ١٨. يقول: صبحي الصالح (علوم الحديث ومصطلحه: ص ١٤٦، ١٥٠): التواتر ليس من مباحث علم الإسناد، إذ علم الإسناد يُبحث فيه عن صحة الحديث أو ضعفه ليعمل به أو يترك، من حيث صفات الرجال، وصيغ الأداء، والمتواتر لا يُبحث عن رجاله، بل يجب العمل به من غير بحث. «وانظر: الأحكام في أصول الأحكام - الأمدي: ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٣٢، ومنتهى السؤل في علم الأصول - الأمدي: ج ١ ص ٦٩ وما بعدها، والمحصل - للرازي - ج ٢ ق ١ ص ٣٢٣ - ٣٨٤.

(٣) إبراهيم أبو الأنبياء: ص ١٥ - ١٨، وانظر: نقد كتاب الشعر الجاهلي - محمد فريد وجدي: ص ٦٩ وما بعدها،

ونقض كتاب في الشعر الجاهلي - محمد الخضر حسين: ص ٧٦ وما بعدها.

الحديث ينفي وجود إبراهيم جزماً و يقيناً، أو يشك في وجوده، ولا يقطع باليقين إلى جانب النفي أو جانب الإثبات. . .

«فالذي ينفي وجود إبراهيم جزماً و يقيناً لا يستند إلى حجة واحدة من حجج العلم، ولا يزيد على مجرد الإنكار. والذي يشك بيني شكه على أسباب لا يعتبرها العلم ولا العقل من أسباب الشك في وجود شيء. . . لأنه يستند في شكه إلى كثرة الأعاجيب والخوارق والأساطير التي تخللت سيرة إبراهيم كما رواها الأقدمون. . . ومثل هذا السبب لم يُطَّلَ وجود شيء قط. . . فالهرم الأكبر لا يمتري في وجوده أحد، ولم يُذكر عن إبراهيم عليه السلام بعض ما ذكر عنه من الأسرار.

«أما علاقته بمكة والبيت الحرام، فالذين يُنكرونها لم يدعوا لها سنداً من العلم ولا من الكشوف العصرية، بل هم يعتمدون على بعض المصادر الدينية للجزم ببطلان المصادر الأخرى، أو هم يعتمدون على المصادر الإسرائيلية للجزم ببطلان المصادر الإسلامية، ولا شأن للعلم بالحديث هنا. . . بل هو تمييز رواية دينية على رواية دينية تخالفها. . . بل هناك محل للتحفظ الشديد في قبول الرواية الإسرائيلية لأنها امتزجت بسياسة الملك والتنازع عليه. . .».

فالذي يدعي، ويجد نفسه مضطراً أن يرى في هجرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب. . . هل عنده من التاريخ الصحيح دليل على أنهما لم يهاجرا، وهل يجد في قصة هجرتهما أي أمر - مهما كان دقيقاً - ينكره العقل أو العادة، أو يخالف سنة من سنن الله في خلقه؟ أم أن هناك دوافع أخرى - الله أعلم بها - دفعته إلى أن يقول الذي قال؟.

وهناك من يقول: إن وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام اخترعه

اليهود بعد الهجرة ليتقربوا به إلى العرب المسلمين<sup>(١)</sup> وهذا القول أبعد عن العقل والعلم من القول الذي سبقه، إذ لو صحت هذه الدعوى، لأوقعت اليهود في تناقض مضحك، لأن ذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قد ورد في سفر التكوين<sup>(٢)</sup> من أسفار التوراة، وهو قد كتب قبل الهجرة النبوية بقرون عديدة!.

وبعد، فهذه شبهة الشك في وجود أبي الأنبياء، وفي صلته بمكة والبيت والحرام، وهي - كما رأينا - أضعف من أن تقوم على حجة وبرهان، أو في وجه الحجة والبرهان. هذا هو حجمها في العرض والنقض، وإن كان قد أريد لها - يوم أطلقها صاحبها - أن تشغل الناس وتملأ الأرض!

---

(١) انظر: قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار: ص ١٠٨.

(٢) الفصل الحادي عشر وما بعده.





## الفصل الثاني

### شبهة الشك في اسم أبي إبراهيم عليه السلام

ورد في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>، وفي السنة المطهرة<sup>(٢)</sup> أن إبراهيم الخليل عليه السلام هو ابن آزر. وروى بعض المؤرخين المسلمين<sup>(٣)</sup> أنه ابن تارح، أو تارخ، كما ورد في التوراة<sup>(٤)</sup>. ولجأ من قال من العلماء بأن أبا الخليل عليه السلام هو تارح إلى تأويل الآية القرآنية تأويلات شتى، مما دعا بعض أعداء الإسلام إلى إثارة الشبهة حول اسم والد إبراهيم عليه السلام، واتهام القرآن بالخطأ! وإلى هذا أشار الرازي<sup>(٥)</sup> بقوله: «ومن المُلحدة من جعل هذا طعنًا في القرآن الكريم، وقال: هذا النسب خطأ وليس بصواب».

وجاءت دائرة المعارف الإسلامية<sup>(٦)</sup> في العصر الحديث لتحيي هذه الشبهة بقولها: «(آزر) اسم أبي إبراهيم في القرآن... ويظهر أن في هذا

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) انظر: فتح الباري: ج ٦ ص ٣٨٧ (حديث رقم: ٣٣٥٠).

(٣) انظر: تاريخ ابن خلدون: ق ١ ج ٢ ص ص ٥٨ - ٥٩.

(٤) سفر التكوين: ١١ - ٢٧.

(٥) التفسير الكبير: ج ١٣ ص ٣٧.

(٦) ج ٢ ص ص ٣٩ - ٤٠. وكتب المادة هو: فُنسَنك، أستاذ العربية بجامعة ليدن، والذي وضع

كتاب: «مفتاح كنوز السنة»، ونشر «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»! وأقرأ عنه

في: المستشرقون والإسلام - حسين هراوي: ص ٧٢ وما بعدها و ص ٨٠ وما بعدها. وانظر:

الأعلام - خير الدين الزركلي: ج ١ ص ٢٧٨، ومعجم المؤلفين - عمر رضا كحالة: ج ٢

ص ٢٢٤.

بعض الخلط، لأن اسم (آزر) لم يرد مطلقاً على أنه أبو إبراهيم في غير هذا الموضوع. كما أن تارح أو تارخ قد ورد في روايات بعض المؤرخين والمفسرين من المسلمين على أنه أبو إبراهيم أيضاً. ولذلك لجؤوا إلى التحايل للتوفيق بين هاتين الروايتين، ولكن هذا التحايل لا قيمة له!.

وقبل بسط أقوال العلماء المسلمين في اسم أبي إبراهيم عليه السلام، وترجيح ما أراه صواباً، أبادر فألاحظ على كاتب هذه المادة في دائرة المعارف الإسلامية أنه هو الذي لجأ إلى التحايل لغرض في نفسه، وأبرز من الحقيقة الجزء الذي يوافق هواه؛ وهوى جُلِّ المستشرقين فيما يتصل بالإسلام مكشوفٌ معروف! فكاتب المادة يبدأ فيقطعن في القرآن الكريم ويقول: إن فيه بعض الخلط، ثم يَصِفُ علماء المسلمين بأنهم لجؤوا إلى التحايل مع أن كثيراً منهم ردَّ رواية التوراة، وأخذ بظاهر ما ورد في القرآن على أنه الحق، وكان إلى جانب هؤلاء علماء آخرون حاولوا التوفيق بين الروايتين على أسس علمية، لا رجماً بالغيب أو متابعة لهوى. وإخفاء الحقيقة على هذا النحو، واستعمال الألفاظ الدنيئة في غير موضعها ليس من شيم العلماء المنصفين.

وقد اختلف العلماء المسلمون في اسم أبي إبراهيم عليه السلام تبعاً لاختلافهم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾<sup>(١)</sup>. وذكر ابن الجوزي<sup>(٢)</sup> في (آزر) أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم أبيه.

والثاني: إنه اسم صنم.

والثالث: أنه ليس باسم، إنما هو سبٌّ بعب، وفي معناه قولان:

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) زاد المسير: ج ٣ ص ص ٧٠ - ٧١، وانظر:

تفسير الطبري: ج ٧ ص ١٥٨ وما بعدها، (ط. دار المعرفة).

وتفسير ابن كثير: ج ٢ ص ص ١٤٩ - ١٥٠، (ط. دار الفکر).

أحدهما: أنه المَعْوَج، كأنه عابه بزيغته وتعويجه عن الحق، والثاني: أنه المخطيء، فكأنه قال: يا مخطيء، أتتخذ أصناماً؟<sup>(١)</sup>.

والرابع: أنه لقب لأبيه، وليس باسمه، وقد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به أشهر منه باسمه.

وقال السيد محمد مرتضى الزبيدي<sup>(٢)</sup> «وقيل: هو اسم عم إبراهيم عليه وعلى محمد أفضل الصلاة والسلام... وإنما سُمِّيَ العمَّ أباً، وجرى عليه القرآن العظيم على عادة العرب في ذلك، لأنهم كثيراً ما يطلقون الأب على العم. وأما أبوه فإنه تارخ بالخاء المعجمة، وقيل: بالمهملة، على وزن هاجر»<sup>(٣)</sup>.

وبالنظر في هذه الأقوال يتبين لنا أن القول الذي نُسب إلى مجاهد من أن آزر اسم صنم غير ثابت من حيث الإسناد، وليس صحيحاً من جهة العربية:

قال الحافظ ابن حجر<sup>(٤)</sup>: «وحكى الطبري من طريق ضعيفة عن مجاهد أن آزر اسم الصنم، وهو شاذ». هذا من جهة الإسناد، أما من حيث اللغة فقد قال الطبري في تفسيره<sup>(٥)</sup>: وهو «قول من الصواب من جهة العربية بعيد. وذلك أن العرب لا تنصب اسماً بفعل بعد حرف الاستفهام، لا تقول: أخاك أكلمت؟ وهي تريد: أكلمت أخاك؟».

وأما قولهم إنما هو سب لأبيه وعيب، فبعيد أيضاً، لأن ذلك لا يصدر من نبي نحو أبيه، وبخاصة من إبراهيم عليه السلام الذي يرد على أبيه بعد

(١) انظر: تاج العروس: للزبيدي: ج ٣ ص ١٣.

(٢) تاج العروس: ج ٣ ص ١٣.

(٣) وانظر: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم - الحسين بن محمد الدامغاني: ص ١٣.

(٤) فتح الباري: ج ٨ ص ٣٨٣ (ط. بولاق).

(٥) ج ٧ ص ١٥٩ (بط. بولاق).

أن هدده بقوله: ﴿لئن لم تنته لأرجمنك، واهجرني ملياً﴾<sup>(١)</sup> فيقول له إبراهيم: ﴿سلام عليك، سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيماً﴾<sup>(٢)</sup>، فهل يُعقل ممن يتأدب مع أبيه هذا الأدب في حدة الجدل والمناظرة أن يبدأ دعوة أبيه إلى دينه قبل الجدل بالشتيم والسب؟!<sup>(٣)</sup> ومما يردّ هذا القول أيضاً ما قاله أبو حيّان في البحر المحيط<sup>(٤)</sup> وهو: إن لفظ آزر إذا كان صفة أشكل منع صرفه، وأشكل وصف المعرفة به وهو نكرة، وإن حاول المحاول بعد ذلك توجيهه بتكلف.

وأما القول بأن آزر لقب لأبي إبراهيم، أو أن له اسمين، كإسرائيل ويعقوب<sup>(٥)</sup>، فقولٌ مقبول لو قام عليه دليل، ولا دليل سوى محاولة التوفيق بين الرواتين.

وأما تأويل الأب بالعم، فصرفٌ للفظ عن ظاهرة، وعدول عن الحقيقة إلى المجاز، من غير قرينة تدل على إرادة المجاز. ولو ذهبنا نتأول النصوص الصريحة بمثل هذا بطلت دلالة الألفاظ على المعاني. بل القرائن كلها تشير إلى أن المراد من اللفظ حقيقته لا مجازه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾<sup>(٦)</sup>، وكذلك ما ورد من آيات في سورة مريم<sup>(٧)</sup>، والأنبياء<sup>(٨)</sup>، والشعراء<sup>(٩)</sup>، والصفات<sup>(١٠)</sup>، والزخرف<sup>(١١)</sup>، والممتحنة<sup>(١٢)</sup>، ففي هذه المواطن

(١) مريم: ٤٦، ٤٧.

(٢) انظر: المُعَرَّب للجواليقي - تحقيق أحمد محمد شاكر: ص ٣٦١.

(٣) انظر: ج ٤ ص ١٦٤.

(٤) تاج العروس - الزبيدي: ج ٣ ص ١٣.

(٥) التوبة: ١١٤.

(٦) الآيات: ٤١ - ٥٠.

(٧) الآيات: ٥١، ٥٢.

(٨) الآيات: ٦٩ - ٨٦.

(٩) الآيات: ٨٣، ٨٧.

(١٠) الآيات: ٢٦ - ٢٧.

(١٢) الآية: ٤.

كلها كان التصريح بأن دعوة إبراهيم عليه السلام كانت لأبيه، فلماذا نحمل الحقيقة على المجاز، ونصرف اللفظ عن ظاهره، والدواعي كلها تقضي بعدم صرفه<sup>(١)</sup>.

وأما ما سُمِّي قراءاتٍ في لفظ آزر، فإنها - كما يقول أحمد محمد شاکر<sup>(٢)</sup> - روايات لا سند لها ولا قوام، وليست ثابتة عند علماء القراءات، بل هي أضعف من أن توصف بأنها قراءات شاذة، والقراءات الصحيحة المعروفة لم ينقل فيها إلا قراءة (آزر) بفتح الراء، وبضمها<sup>(٣)</sup>، وقراءة الضم حجة واضحة في أنه علم لأنه منادى.

وبعد؛ فإن سبب هذا الاختلاف الشديد في اسم أبي إبراهيم عليه السلام يرجع إلى أمرين: الأول: قول النسّابين، والثاني: ما ورد في كتب أهل الكتاب.

أما قول النسّابين فينبغي ألا يُعوّل عليه، لأن الأنساب القديمة لا سبيل إلى التثبت فيها، ويكثر فيها الاختلاف والاضطراب. وقد روى ابن سعد في الطبقات<sup>(٤)</sup>، بإسناده عن ابن عباس «أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معدّ بن عدنان بن أدّ، ثم يُمسك، ويقول: كذب النسّابون، قال الله عز وجل: ﴿وقرونا بين ذلك كثيراً﴾<sup>(٥)</sup>».

وأما كتب أهل الكتاب فلا يصح الاعتماد عليها والقطع بما جاء فيها، فكيف إذا خالفت دليلاً من القرآن والسنة؟ والقرآن الكريم قد وصفه الله تعالى

(١) انظر: المعرب للجواليقي - تحقيق أحمد محمد شاکر: ص ٣٦٢.

(٢) المرجع السابق - الصفحة نفسها.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر - ابن الجزري: ج ٢ ص ٢٥٠. (ط. دمشق ١٣٤٥)، واتفق فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ابن البناء: ص ٢١١.

(٤) ج ١ ق ١ ص ٢٨.

(٥) الفرقان: ٣٨.

بأنه مهيمن ورقيب على غيره من الكتب فقال: ﴿وأنزّلنا إليك الكتاب بالحقّ مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه﴾<sup>(١)</sup>.

ولعلّ حديث رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام البخاري<sup>(٢)</sup> في صحيحه والذي يصرّح فيه باسم والد إبراهيم عليه السلام يقوّي ويرجّح ويصحّ القول بأن اسمه آزر وليس تارح. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترّة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك...» إلى آخر الحديث.

ويزيد هذا القول قوة أن المؤرخ المسيحي اليوناني يوسيفوس ذكر أن أباً إبراهيم الخليل يُدعى (آثر)<sup>(٣)</sup>، ولا يخفى التقارب بين آزر وآثر، والبعد بينه وبين تارح.

---

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) انظر: فتح الباري: ج ٦ ص ٣٨٧، حديث رقم ٣٣٥٠.

(٣) إبراهيم أبو الأنبياء (الجزء الأول من السيرة النبوية) - عبد الحميد جودة السحار: ص ٢٩٨.

ولمزيد من التفصيل في الموضوع، انظر:

روح المعاني للألوسي: ج ٧ ص ١٩٤ وما بعدها،

وتفسير المنار - لرشيد رضا: ج ٧ ص ٥٣٧ وما بعدها،

وفتح القدير - للشوكاني: ج ٢ ص ١٣٣ وما بعدها،

وتفسير الفخر الرازي: ج ١٣ ص ٣٧ وما بعدها.

وقصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار: ص ٧٠ وما بعدها،

ومعاني القرآن - الأخفش الأوسط: ج ٢ ص ٢٧٨.

## الفصل الثالث

### شبهة تطور شخصية إبراهيم عليه السلام

وهذه الشبهة أيضاً أثارها دائرة المعارف الإسلامية<sup>(١)</sup>، وخلصتها:

إن شخصية إبراهيم عليه السلام، كما هي في القرآن، مرّت بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الأمر مؤسسةً للكعبة. فهو، في أقدم ما نزل من الوحي<sup>(٢)</sup>، رسولٌ من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل، ولم تُذكر لإسماعيل صلة به، ولم يذكر قط أن إبراهيم هو واضع البيت، ولا أنه أول المسلمين. أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك. فإبراهيم يُدعى حنيفاً مسلماً، وهو واضع ملّة إبراهيم، رفع مع إسماعيل قواعد البيت المحرّم<sup>(٣)</sup>.

وسرّ هذا الاختلاف أن محمداً (ﷺ) كان قد اعتمد على اليهود في مكة، فما لبثوا أن اتخذوا حِياله خُطة عدا، فلم يكن بدّ من أن يلتبس غيرهم ناصراً. هناك هداه ذكاء مُسدّد إلى شأن جديد لأبي العرب، إبراهيم، وبذلك استطاع أن يخلص من يهودية عصره ليصل حبله بيهودية إبراهيم،

(١) ج ١ ص ٢٧ - ٢٨. وكاتب المادة هوفنسك، الذي أثار شبهة الفصل السابق!

(٢) الذاريات: ٢٤ وما بعدها - الحجر: ٥ وما بعدها،

الصفات: ٨١ وما بعدها - الأنعام: ٧٤ وما بعدها،

هود: ٧٢ وما بعدها - مر يم: ٤٢ وما بعدها،

الأنبياء: ٥٢ وما بعدها - العنكبوت: ١٥ وما بعدها.

(٣) البقرة: ١١٨ وما بعدها - آل عمران: ٦٠، ٨٤ ...

تلك اليهودية التي كانت ممهدة للإسلام. ولما أخذت مكة تشغل جلاً تفكير الرسول، أصبح إبراهيم أيضاً المُشيد لبيت هذه المدينة المقدس.

وهذه الشبهة في نظري - لا تمس شخصية إبراهيم عليه السلام. فقول كاتب المادّة: «مرت شخصية إبراهيم بأطوار قبل أن تصبح في نهاية الأمر مؤسسة للكعبة»، هو، في الحقيقة، اتهام موجّه إلى شخص الرسول محمد ﷺ، وأنه يزيد في القرآن وينقص من عند نفسه حسبما تقتضي الظروف والأحوال، وموجّه أيضاً إلى القرآن الكريم، فهو - على زعم كاتب المادّة - ليس وحياً من الله بألفاظه ومعانيه، إنما هو صنعة المصطفى ﷺ، أو فيه شيء من صنعته.

ويرد على هذا الافتراء من وجهين: الأول بإقامة الدليل على أن القرآن وحى من الله لا يمكن لبشر أن يغير فيه برأيه حرفاً واحداً، وهذا الكلام سبق أن ذكر في الرد على طه حسين في الفصل الأول من هذا الباب، والثاني: بتفنيد ما ورد في دائرة المعارف من أخطاء ومغالطات.

وقد تولّى هذا التفنيد محمد فريد وجدي<sup>(١)</sup>، فذكر كلاماً لا يخلو في ذاته من بعض المآخذ، ولكن يمكن الاستفادة منا بما يلي:

لم يقل واحد من المؤرخين، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين: إن النبي ﷺ استعان على نشر دعوته باليهود، ذلك لأن عداؤهم الشديد له أظهر وأبين من أن يُعطى أو يُستتر عليه، فقد كانوا معارضين له، مؤلّبين عليه، في مكة والمدينة معاً. وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم إن القرآن الكريم ليس هو أول من ذكر أن جدّ العرب الإسماعيلية

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٢٨ - ٢٩ (الحاشية).

(٢) المائدة: ٨٢.



أو العدنانية هو إبراهيم، فقد سبقت التوراة إلى ذلك<sup>(١)</sup>، وذكرت أن إبراهيم عليه السلام أسكن سريره هاجر وابنها إسماعيل في بلاد العرب، فنشأ منهم العرب الإسماعيلية.

وقد بين القرآن الكريم خطئ رأي أهل الكتاب عندما تنازعوا في إبراهيم عليه السلام، فقال مخاطباً الرسول ﷺ: ﴿قل: يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، أفلا تعقلون؟!﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين﴾<sup>(٣)</sup>.

وما كان الإسلام في عهد من عهوده بحاجة إلى م مهد من اليهودية، لأنه ما من نبي أرسل إلا بالإسلام، واختلفت الشرائع، ثم حَرَفَ أهل الأديان أديانهم، فكان الله يرسل المرسلين لتخليصها مما أدخل عليها، إلى أن أرسل محمداً ﷺ بالدين الخاتم. يقول تبارك وتعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾<sup>(٤)</sup>، ويقول: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، والذي أوحينا إليك، وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من يئيب. وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب. فلذلك فادع، واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم، وقل: آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سفر التكوين: ٢١ : ١٤ وما بعدها. (٣) آل عمران: ٦٧.

(٢) آل عمران: ٦٥. (٤) آل عمران: ١٩.

(٥) الشورى: ١٣ - ١٥.

ومما يثبت أن النبي ﷺ لم يجعل معتمده في الدعوة إلى الإسلام أنه دين إبراهيم ما ورد في زعم المستشرقين أنفسهم أنه لم يُصرَّح بذلك إلا في المدينة. فلو كانت شبهتهم حقيقة لكان أولى بالنبي ﷺ أن يصرَّح بذلك وهو بمكة بين قبائل كلها تعتري<sup>(١)</sup> إلى إبراهيم، من أن يُعلنه في المدينة وجميع أهلها من قبائل اليمن الذين لا ينتسبون عليه السلام.

ويرى الشيخ عبد الوهاب النجار<sup>(٢)</sup> أن هذه الشبهة تتلخص في

نقطتين:

الأولى:

إن الإسلام في مكة غير الإسلام في المدينة بالنسبة لإبراهيم عليه السلام، فهو في القرآن المكي لا صلة له بالعرب، وليس أباً لهم، ولم يكن بابن البيت، ولا صلة له بإسماعيل.

والثانية:

إن النبي ﷺ لما جاء إلى المدينة كان يحمل أكبر الآمال في أن يؤمن به اليهود، ويظاهروه فلما أخلفوا ما أمّله، وكذبوه، أراد أن يتصل بهم عن طريق إبراهيم.

ومجمل ردّه على النقطة الأولى:

لقد أراد كاتب المادة أن يقول: إن محمداً ﷺ ظلّ بعيداً عن صلة العرب بإبراهيم وإسماعيل حتى هاجر إلى المدينة، فبدت له فكرة هي أن يصل حبل العرب الذين هو منهم باليهود، عن طريق إسماعيل وإبراهيم، مع أنه لا صلة بينهم وبين إبراهيم وإسماعيل. وهذه الفكرة تناقض التوراة قبل أن تناقض القرآن، لأن التوراة ذكرت صلة إبراهيم بإسماعيل وأنه جدّ عدة قبائل

(١) يقال: اعتزى إلى فلان: انتسب إليه صدقاً أو كذباً. المعجم الوسيط: ج ٢ ص ٦٠٥.

(٢) قصص الأنبياء: ص ص ٧٤ - ٧٦.

في بلاد العرب<sup>(١)</sup>. وحين عدّ كاتب المادة السور المكية عمداً إلى التي ذُكر فيها إبراهيم عليه السلام مجرداً عن الصلة بإسماعيل والعرب، وتخطى سورة إبراهيم وهي مكيّة، وقد شهدت بعكس ما يقول، وآياتها شاهدة بأن إبراهيم وإسماعيل بنيا البيت.. (٢).

وفي الرد على النقطة الثانية يقول ما مؤداه:

إن النبي ﷺ ما أمّل أن يعتزّ باليهود، ولكن لما كانوا أهل توحيد يحاربون الأصنام وأهلها، وقد ذُكر النبي ﷺ في كتبهم<sup>(٣)</sup>، حتى بعد أن حرّفوها وبَدّلوها، فقد كان من المتوقع أن يثوبوا إلى الحق إذا دُعوا إليه، فلما جحدوا، كانوا عند رسول الله ﷺ كغيرهم. وفحوى عبارة كاتب المادة أن إبراهيم عليه السلام لم يُذكر أنه حنيف إلّا في السور المدنية، وهذا خطأ أيضاً، لأنه ذُكر بأنه كان حنيفاً في سورة الأنعام<sup>(٤)</sup> مرتين، وفي سورة النحل<sup>(٥)</sup> كذلك، والسورتان مكيتان<sup>(٦)</sup>!.

---

(١) سفر التكوين: ١٢: ٧-٨، ١٣-١٨.

(٢) إبراهيم: ٣٥-٤١.

(٣) سفر التثنية: ١٨: ١٥-١٩ وسفر أشعيا: ٤٢: ١٠-١٣.

(٤) الأنعام: ٧٩، ١٦١.

(٥) النحل: ١٢٠، ١٢٣.

(٦) لمزيد من التفصيل حول هذه الشبهة، انظر:

دراسات تاريخية من القرآن الكريم - محمد بيومي مهران: ص ص ١٤٨ - ١٥٦،

التفسير الحديث - محمد عزة دروزة: ج ٦ ص ١٤٧،

والمستشرقون والإسلام - حسين الهرابي: ص ٧٤ وما بعدها.



## الفصل الرَّابِع

### شبهة شك إبراهيم عليه السلام في إحياء الموتى

لا بد قبل الحديث عن شبهة الشك في هذا الفصل، وشبهة الكذب في الفصل التالي من أن نذكر أن العلماء قد اختلفوا في وجوب العصمة للأنبياء عليهم السلام قبل النبوة، فمنهم من أوجبها، ومنهم من لم يوجبها. وأما بعد النبوة فالانفاق حاصل على أنهم معصومون عن تعمد كل ما يُخلّ بصدقهم في دعوى الرسالة والتبليغ عن الله تعالى، وعن كل ما يوجب الحكم على فاعله بالخسة والدناءة وجرح المروءة<sup>(١)</sup>.

أما الآية التي أثارت في بعض الأذهان شبهة شك خليل الرحمن في إحياء الله للموتى فهي قوله تعالى:

﴿وإذ قال إبراهيم: ربّ أرني كيف تُحيي الموتى، قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئنّ قلبي...﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلف المفسرون في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام ربّه عز وجل أن يُريه كيف يحيي الموتى، فقال بعضهم: سبب ذلك أنه رأى دابة قد تقسّمها السباع والطير، فدعا الله أن يُريه كيف يعيد الحياة إليها بعد أن

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام - الأمدي: ج ١ ص ١٢٨ - ١٢٩،

وعصمة الأنبياء - للرازي: ص ٤ وما بعدها،

والمحصول - للرازي: ج ١ ق ٣ ص ٣٣٩ - ٣٤٤.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

تفرقت لحومها في بطون طير السماء وسباع الأرض، ليرى ذلك بعينه فيزداد يقينه، فأراه الله تعالى ذلك<sup>(١)</sup>.

وقال آخرون: سبب السؤال هو المناظرة التي جرت بين خليل الرحمن وبين الملك، عندما قال له إبراهيم عليه السلام، ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾<sup>(٢)</sup>، فقال الملك: هل رأيت ذلك؟ فلم يقدر أن يقول: نعم، رأيت، فانتقل إلى حجة أخرى... ثم سأل ربه أن يُريه كيفية إحياء الموتى، كي يطمئن قلبه في المحاجة والمناظرة، ويكون خبره عن مشاهدة ومعاناة<sup>(٣)</sup>.

وقيل: بل كان السؤال عندما بشره الله بأنه اتخذ خليلاً، فدعا ربه أن يعجل له دليلاً يؤيد ما في قلبه من يقين بأن الله سبحانه قد أكرمه بالخلة<sup>(٤)</sup>.

وقيل: سبب السؤال هو طلب الاطمئنان بأن الله تعالى يجيب إبراهيم إذا دعاه، ويعطيه إذا سأله<sup>(٥)</sup>.

وقيل: سأل إبراهيم ربه ذلك السؤال لأنه شك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى!!<sup>(٦)</sup>.

---

(١) تفسير الطبري: ج ٥ ص ٤٨٥.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

(٣) تفسير الطبري: ج ٥ ص ٤٨٦، وانظر:

أسباب النزول - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري: ص ٥٤.

(٤) تفسير الطبري: ج ٥ ص ٤٨٧. وانظر في المسألة:

تفسير البيضاوي: ج ١ ص ١١٩،

وتفسير أبي السعود: ج ١ ص ٣٩٦ وما بعدها.

وقصص الأنبياء - ابن كثير: ج ١ ص ٢٣٥،

وتأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة: ص ٩٧،

والدر المنثور - السيوطي: ج ١ ص ٣٣٥، والسراج المنير - للخطيب، الشربيني: ج ١ ص

١٧٤.

(٥) تفسير الطبري: ج ٥ ص ٤٩٣.

(٦) المرجع نفسه: ج ٥ ص ٤٨٩.

والذي أراه أن كل هذه التأويلات بعيدة عن الصواب، وأبعدها القول بأن الشك في قدرة الله تعالى قد حاك في صدر إبراهيم، مع أن الطبري قد اختاره، وقال: «لقد كان سؤاله لعارض من الشيطان عرض في قلبه!!»<sup>(١)</sup>.

أما بعد تلك التأويلات عن الصواب فلأن جلّها أقوال ليس فيها رواية صحيحة عن المعصوم عليه السلام، ومثل هذا الكلام لا يجوز أن يقال بالرأي، فهو - على الأغلب - روايات إسرائيلية لا يُعتد بها.

أما الذين ذهبوا إلى القول بحصول الشك من إبراهيم عليه السلام فقد استدلوا، بما أخرجه ابن جرير في تفسيره<sup>(٢)</sup>، وغيره<sup>(٣)</sup>، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أرجى آية في القرآن هذه الآية ﴿وَإِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، قال ابن عباس: هذا لما يعرض في الصدور، ويوسوس به الشيطان، فرضي الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى».

والراجح لديّ خطأ القول الأخير حتى لو سلّمنا بصحة الرواية عن ابن عباس، لأن هذا التأويل يتنافى مع مقام خليل الله وأبي الأنبياء، بل ربما تنافى مع العصمة أصلاً! ثم إن قول ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو اجتهاد محض منه في فهم الآية الكريمة.

ويعضد رأيي هذا ما رواه الإمام البخاري في صحيحه<sup>(٤)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «نحن أحقّ بالشك من إبراهيم إذ قال: رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي»...

«ومعنى ذلك: إذا لم نشكّ نحن، فإبراهيم أولى أن لا يشك، أي: لو

(١) المرجع نفسه: ج ٥ ص ٤٩١.

(٢) ج ٥ ص ٤٨٩ وما بعدها.

(٣) وهم: عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والحاكم (في المستدرک: ج ١ ص ٦٠). انظر: فتح الباري: ج ٦ ص ٤١١.

(٤) كتاب الأنبياء، حديث رقم ٣٣٧٢. (انظر: فتح الباري: ج ٦ ص ٤١٠ وما بعدها).

كان الشك متطرقاً إلى الأنبياء لكنك أنا أحقُّ به منهم، وقد علمتم أنني لم أشك، فاعلموا أنه لم يشك. وإنما قال ﷺ هذا تواضعاً.

«وحكى بعض علماء العربية أن (أفعل) ربما جاءت لنفي المعنى عن الشئيين، نحو قوله تعالى: ﴿أهم خير أم قوم تبع؟﴾<sup>(١)</sup> أي: لا خير في الفريقين، ونحو قول القائل: الشيطان خير من فلان، أي: لا خير فيهما. فعلى هذا، فمعنى قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم»: لا شك عندنا جميعاً<sup>(٢)</sup>.

ونقل ابن حجر<sup>(٣)</sup> عن ابن عطية كلاماً معناه: أن الشك المراد في الحديث هو الخواطر التي تعرض في الذهن ولا تستقر فيه، وليس الشك الذي يدعو صاحبه إلى التوقف في الحكم، فلا يدري إلى أي جهة يميل، فهذا الشك يُستبعد وقوعه من الراسخين في العلم، فكيف بمن بلغ رتبة النبوة والحُلة؟! وأيضاً، فإن السؤال لما كان بكيف؟ دلّ على حالٍ مقررة عند السائل والمسؤول، كما نقول: كيف علم فلان؟ فكيف في الآية سؤال عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء، فهو ثابت مقرر.

ويأتي جواب إبراهيم عليه السلام لربه جلّ وعلا مؤكداً أن الإيمان لم يغب عن قلبه، وأن طلبه إنما كان ليزداد بالمشاهدة إيماناً، ولتنضم الرؤية بالعين إلى الاعتقاد بالقلب، «قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي». فالقضية إذن ليست شكاً في قدرة الله، فحاشا لخليل الله أن يشك في قدرة ربه، إنما هي «التشوّف إلى ملابسة سرّ الصنعة الإلهية»<sup>(٤)</sup>.

(١) الدخان: ٣٧.

(٢) فتح الباري - ابن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٤١٢. وما بعدها.

(٣) المرجع نفسه: الصفحة نفسها - وانظر:

المعجزة في رسالة إبراهيم - حيدر الجوادى: ص ٤٤ وما بعدها.

(٤) في ظلال القرآن - سيّد قطب: ج ١ ص ٣٠١، وانظر:

عصمة الأنبياء - فخر الدين الرازي: ص ٤٦ - ٥٠،

والأمثال من الكتاب والسنة - الحكيم الترمذي: ص ١١،

وتأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة: ص ١١٦ وما بعدها،

والنور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين - السيد نعمة الله الجزائري: ص ١١٣ - ١١٥.



## الفصل الخامس شبهة كذب إبراهيم عليه السلام

أثارت نسبة الكذب إلى خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام كثيراً من المناقشة والأخذ والردّ بين علماء الإسلام، وربما اتخذها الجاهلون المغرضون مطعناً في إبراهيم عليه السلام.

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله، قوله: ﴿إني سقيم﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾<sup>(٣)</sup>، وواحدة في شأن سارة...»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) كتاب الفضائل، حديث: ١٥٤ وانظر:

صحيح البخاري: كتاب الأنبياء، باب ٨ وكتاب النكاح، باب ١٢ وسنن أبي داود: كتاب الطلاق، باب ١٦. وسنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة الأنبياء.

(٢) الصافات: ٨٩.

(٣) الأنبياء: ٦٣.

(٤) قال أبو بكر بن العربي رحمه الله (أحكام القرآن: ج ٣ ص ١٢٥٣) «وفي هذا الحديث نكتة عظيمة تقصم الظهر، وهي أنّ رسول الله ﷺ لم يعدّ قول إبراهيم عليه السلام: هذه أختي، في ذات الله، وإن كان دفع بها مكروهاً، ولكنه لما كان لإبراهيم فيها حظّ من صيانة فراشه، وحماية أهله، لم يجعل في جنب الله ذلك، لأنه لا يجعل في ذات الله إلا العمل الخالص من شوائب الحظوظ الدنيوية، أو المعاني التي ترجع إلى النفس، حتى إذا خلصت للدين كانت لله. كما قال: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ الزمر: ٣. وهذا لو صدر منّا لكان لله، ولكن منزلة إبراهيم اقتضت هذا. والله أعلم». وانظر: فتح الباري: ج ٦ ص ٣٩٢.

كما روى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده<sup>(١)</sup> عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الشفاعة: «... فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا! فيقول: إني لست هناكم، وإني قد كذبت في الإسلام ثلاث كذبات، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي. فقال رسول الله ﷺ: إن حاول بهن إلا عن دين الله. قوله: ﴿إني سقيم﴾، وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾، وقوله لامرأته: إنها أختي...» وفي رواية: «والله ما منها كذبة إلا وهو يُماحل<sup>(٢)</sup> بها عن الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

إن وصف أقوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالكذب، لا ينصرف إلى الكذب المذموم قطعاً لأن ذلك منافٍ للعصمة أو نازلٌ بقدر أبي الأنبياء عمّا لا يليق به. بل هو من الكذب المباح بدليل قول رسول الله ﷺ المتقدم: «والله ما منها كذبة إلا وهو يماحل بها عن الإسلام». ومع أن هذه الأقوال يمكن أن توصف بالكذب من وجه، كما ورد عن الصادق المصدوق، إلا أنها من معاريض الكلام الذي جوّز الشارع اللجوء إليه بقوله: «إن في المعاريض

(١) ج ١ ص ٢٩٥.

(٢) يماحل: يدافع ويجادل على سبيل المحال، وهو الكيد والمكر، من قوله تعالى: ﴿وهو شديد المحال﴾ (الرعد: ١٣) انظر: الفائق للزمخشري: ج ٣ ص ٣٤٨.

والمحال في الآية: القوة والعقاب. وإن قيل: المكر، فهو من الله سبحانه: التدبير بالحق. انظر: معجم الألفاظ والأعلام القرآنية - محمد إسماعيل إبراهيم: ص ١٩٧.

(٣) قال الطوسي في التبيان (ج ٨ ص ٤٦٧) تعليقاً على حديث كذب إبراهيم عليه السلام: «فأول ما فيه أنه خبر واحد لا يُعوّل عليه، والنبى ﷺ أعرف بما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز من كل واحد. وقد دلت الأدلة العقلية على أن الأنبياء لا يجوز أن يكذبوا فيما يؤدونه عن الله من حيث أنه كان يؤدي إلى أن لا يوثق بشيء من أخبارهم... ولا في غير ما يؤدونه عن الله من حيث إن تجويز ذلك ينفّر عن قبول قولهم، فإذا يجب أن يقطع على أن الخبر لا أصل له!!» وليس هذا مجال مناقشة الطوسي في كلامه. وقد اختلف العلماء في خبر الواحد: هل يوجب العلم مع العمل، أو العمل دون العلم: انظر في هذا الموضوع: الإحكام في أصول الأحكام - للأمدي: ج ١ ص ٢٣٣ وما بعدها. والإحكام في أصول الأحكام - ابن حزم: ج ١ ص ١٠٧ وما بعدها.

لمندوحة عن الكذب»<sup>(١)</sup>. قال ابن حزم<sup>(٢)</sup>: «فليس كل كذب معصية، بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل، وفرضاً واجباً يعصي من تركه... وكل ما روي عن إبراهيم عليه السلام... فهو داخل في الصفة المحمودة، لا في الكذب الذي نُهي عنه». وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيراً»<sup>(٣)</sup> أي: يعزو إلى فلان كلاماً حسناً لم يقله بقصد الخير والإصلاح<sup>(٤)</sup>. وهكذا فيمكن وصف الكذب المذموم بأنه «الإخبار عن الشيء على غير ما هو عليه في الواقع، مع اعتقاد المُخبر أن ما قاله غير مطابق للواقع، قاصداً بذلك خديعة السامع... وإيهامه أن الشيء على ما أخبر به، ابتغاءً لإضلاله عن الحق، مع إمكان أن يقع كلامه من السامع موقع الصدق»<sup>(٥)</sup>.

ونأتي الآن إلى تأويل الكذبات الثلاث بما يدخلها في الكذب المباح، ويجعلها طاعة من إبراهيم عليه السلام لربه عز وجل، مع أنه حين قال في حديث الشفاعة المتقدم: «إني لست هناكم، وإني قد كذبت في الإسلام ثلاث كذبات» جعلها سبباً في عدم استحقاقه لمنصب الشفاعة العظمى التي هي لسيد ولد آدم، محمد، عليه أفضل الصلاة والسلام. وهذا - كما يقال - من باب: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

١ - قال تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال: إني سقيم﴾<sup>(٦)</sup> من

(١) انظر: صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ١١٦.

ومسند الإمام أحمد: ج ٦ ص ٤٥٤.

(٢) الفصل في الملل والنحل: ج ٤ ص ٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري: كتاب الصلح، باب ٢ - وصحيح مسلم: كتاب البرّ والصلة، حديث

١٠١ ومسند أحمد: ج ٦ ص ٤٠٣، ٤٠٤. وانظر: سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب

٥٠.

(٤) انظر: قطر المحيط - للبستاني: ج ٢ ص ٢٢٤٠.

(٥) قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار: هامش ص ص ٩١-٩٢.

(٦) الصافات: ٨٩. قال ابن حزم في الفصل (ج ٢ ص ٧): «ولسنا ننكر أن تكون النجوم دلائل

على الصحة والمرض... وإنما المنكر قول من قال: إن الكواكب هي الفاعلة المدبرة لذلك =

المحتمل أن يكون عليه السلام قد أراد بقوله: ﴿إني سقيم﴾، مريض القلب والنفس من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى، ومما أنتم عليه من الإمعان في الضلالة والإعراض عن الهداية<sup>(١)</sup>. فيكون قوله هذا من معاريض الكلام وليس من الكذب الحرام.

قال سيّد قطب<sup>(٢)</sup>: «قال ذلك معبراً عن ضيقه وتعبه، وأفصح عنه ليتركوه وشأنه، ولم يكن هذا كذباً منه، إنما كان له أصل في واقع حياته في ذلك اليوم، وإن الضيق ليمرض ويسقم ذويه».

٢- وأما قوله عليه السلام: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾، فهو توبيخ لقومه وتأنيب، كما قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>، وهو في الحقيقة ذليل، مُهان، يتعدّب في نار جهنم. فهذان القولان توبيخ لمن خوطب بهما، أما قوم إبراهيم فعلى ظنهم أن الأصنام قادرة على الضر والنفع، وأما المعدّب في النار فعلى ظنه في الدنيا أنه عزيز كريم. «ولم يقل إبراهيم عليه السلام هذا على أنه محقّق لأن كبيرهم فعله، إذ الكذب إنما هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، قصداً إلى تحقيق ذلك»<sup>(٤)</sup>.

قال الزمخشري<sup>(٥)</sup> عند تفسيره لتلك الآية:

«هذا من معاريض الكلام، ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهان الرّاضة<sup>(٦)</sup> من علماء المعاني. والقول فيه: إِنَّ قَصْدَ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ

= دون الله تعالى أو مشتركة معه، فهذا كفر من قائله.

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ج ٤ ص ١٣ (طبعة دار الفكر).

(٢) في ظلال القرآن: ج ٥ ص ٢٩٩٣. وانظر:

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - ابن قيم الجوزية: ج ٢ ص ١٩٦.

(٣) الدخان: ٤٩.

(٤) انظر: الفصل في الملل والنحل - ابن حزم: ج ٤ ص ٦ - ٨.

(٥) الكشف: ج ٢ ص ٥٧٧. وانظر:

التفسير الكبير - الفخر الرازي: ج ٢٢ ص ١٨٤ وما بعدها.

(٦) الرّاضة: جمع راض، وهو هنا الذي رُوّض وذُلّل صعوبات هذا العلم. انظر: تاج العروس:

ج ٥ ص ٣٩.

لم يكن إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنما قصده تقريره لنفسه وإثباته لها، على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم. وهذا كما لو قال لك صاحبك، وقد كتبت كتاباً بخط رشيق، وأنت شهير بحسن الخط: أنت كتبت هذا؟ وصاحبك أمي لا يُحسن الخط ولا يقدر إلا على خرمشة<sup>(١)</sup> فاسدة، فقلت له: بل كتبت أنت! كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك، مع الاستهزاء به، لا نفيه عنك وإثباته للأمي أو المُخرمش، لأن إثباته، والأمر دائر بينكما، للعاجز منكما استهزاء به وإثبات للقادر».

وقيل<sup>(٢)</sup>: إن قول إبراهيم عليه السلام وإن كان في صورة الكذب إلا أن القصد منه لفتُ عقول قومه إلى أن ما لا قدرة له على دفع الضر عن نفسه لا يصلح أن يكون إلهاً. ومثله قول الملكين لداود: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾، ولم يكن أخاه، ﴿لَهُ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَعْجَةً﴾<sup>(٣)</sup>، ولم يكن له شيء، فجرى هذا مجرى التنبيه لداود عليه السلام على ما فعل، وأنه هو المراد بالفعل والمثل المضروب، ومثل هذا لا تسميه العرب كذباً.

٣ - وأما قوله عليه السلام عن زوجته السيدة سارة إنها أخته، فقد ورد تفسيره في الحديث نفسه «فإنك أختي في الإسلام»، وهذا لا غبار عليه، وإن جاز تسميته كذباً من وجه، فهو صدق صُراح من وجه آخر، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وقول الرسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم»<sup>(٥)</sup>.

(١) يقال: خرمش العمل أو الكتاب: أفسده وهوَّسه. المعجم الوسيط: ج ١ ص ٢٢٩.  
(٢) انظر: زاد المسير - لابن الجوزي: ج ٥ ص ٣٥٩ وما بعدها، ومترك الأقران في إعجاز القرآن - جلال الدين السيوطي: ج ٣ ص ٩١ - ٩٢.

(٣) ص: ٢٣.

(٤) الحجرات: ١٠.

(٥) صحيح البخاري: كتاب المظالم باب ٣، وصحيح مسلم كتاب البر حديث ٣٢، وسنن أبي داود: كتاب الأدب باب ٣٨.

وسنن الترمذي: كتاب الحدود باب ٣، ومسند أحمد: ج ٢ ص ٩ و٦٨ و ٥ ص ٢٤

٧١٠.

وَيَرُدُّ عَلَى الْحَدِيثِ، أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِزَوْجِهِ: «فَإِنِّي لَا  
أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ»<sup>(١)</sup> قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٢)</sup>: «يَعْنِي:  
زَوْجِينَ مُؤْمِنِينَ غَيْرِي وَغَيْرِكَ. وَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى هَذَا لِأَنَّ لُوطًا كَانَ مَعَهُمْ.  
وَهُوَ نَبِيٌّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ».

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، حديث ١٥٤ - ج ٤ ص ١٨٤٠ (ط. عيسى البابي الحلبي).  
(٢) قصص الأنبياء: ج ١ ص ١٩٧. وانظر:  
عصمة الأنبياء - فخر الدين الرازي: ص ٤٠ - ٤٢.

# خاتمة

وبعد، فهذه صفحات عن أبي الأنبياء وخليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، لا تدعي أنها وفته حقّه ولا بعض حقّه، ولكنها جهد المُقِلِّ، وعزمُ الكليل، ونظرُ الحسير. وإن فاتت كاتبها أهليةُ البحث والتحقيق، والقدرة على الارتفاع والتحليق، في آفاق النبي العظيم، فما فاتته، بمنّ الله، صادقُ الحب وكمال الإعجاب، و«المرء مع من أحبَّ»<sup>(١)</sup>.

ويحسُن بنا في خاتمة البحث أن نجمع أهمّ ما تناثر في ثناياه من استنتاجات هي عظات وعبر في سيرة الخليل عليه السلام ودعوته، لنسير على سنته، ونقتفي أثره، ونقتدي بهداه: ﴿أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده...﴾<sup>(٢)</sup>. وفيما يلي بعض هذه الاستنتاجات:

١ - ينبغي على الدعوة إلى الله أن يبدؤوا بأقاربهم وأهلهم، فيدعوهم إلى الله، ليلتزموا بشرعه ونهجه، ويكونوا عوناً لهم - حسياً ونفسياً - على مشقات الدعوة ومصاعب الجهاد. وبهذا أمر الله نبيّه محمداً ﷺ حين قال في كتابه الكريم: ﴿وأندرُ عشيرتك الأقربين﴾<sup>(٣)</sup>، ولهذا بدأ إبراهيم عليه السلام

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب رقم ٩٦، وصحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب رقم

١٦٥.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

بدعوة أبيه فقال له: ﴿... يا أبتِ، لِمَ تعبدُ ما لا يسمع ولا يُبصر ولا يُغني عنك شيئاً﴾<sup>(١)</sup>!!

وأقرباء الداعية إذا لم يكونوا على طريقته، فهم يفتحون لأعداء الدعوة بابَ التّقول والإرجاف، فيُعيرون الداعية بسلك أقرائه، ويقولون له: بعد أن تنتهي من إصلاح أهلِكَ وذويك، التفت إلى إصلاح الناس! ولو فقه هؤلاء، ونظروا في سيرة الأنبياء، لوجدوا أن الهداية قد لا ينالها أقربُ المقربين إلى الدعاة، كما لم ينلها والدُ إبراهيم، وولدُ نوح، وزوجتا نوح ولوط، عليهم السلام، ﴿إنك لا تهدي من أحببت، ولكنَّ الله يهدي من يشاء...﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- إن الأواصر التي تربط بين الناس تتعدد وتتفاضل، وأعلى هذه الأواصر وأسمائها: أصرة العقيدة، وهي الأساس الذي إذا زال لا ينفع بعده سواه، كرابطة القرابة والنسب، أو صلة القومية والتراب. لقد جعل الإسلام الموالاة والموادّة قائمتين على قاعدة الإيمان، فإذا فُقدت هذه القاعدة فلا ولاء ولا موادّة؛ يقول تبارك وتعالى: ﴿لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسولَه، ولو كانوا آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم...﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن أجل هذا كفَّ إبراهيم عليه السلام عن الاستغفار لأبيه الذي كان سبباً في وجوده، وتبرأ منه عندما عادى الحق وناصر الضلال؛ يقول عز وجل: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم. وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلّا عن موعدة وعدّها إياه، فلمّا تبين له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه، إن إبراهيم لأواه حلِيم﴾<sup>(٤)</sup>.

(٣) النحل: ١٢٥.

(٤) التوبة: ١١٣ - ١١٤.

(١) مريم: ٤٢.

(٢) القصص: ٥٦.



ولهذا بيّن الله لنوحٍ عليه السلام أنّ الصلة بينه وبين ولده قد انبثت بوقوفه إلى جانب الباطل وانحيازه إلى معسكر الكفر، فلما تحركت في نفس نوح عاطفة الأبوة، ودعا ربّه قائلاً: ﴿... رَبِّ إِنَّ ابني من أهلي، وإنّ وعدك الحق، وأنت أحكمّ الحاكمين﴾<sup>(١)</sup>، جاءه الجواب الإلهي الحاسم الحازم: ﴿... إِنَّه ليس من أهلك، إِنَّه عمَلٌ غيرُ صالح، فلا تسألن ما ليس لك به علم، إِنِّي أعظك أن تكون من الجاهلين﴾<sup>(٢)</sup>!

٣- بالتأمل في أسلوب دعوة إبراهيم عليه السلام نجده دائماً يتبع الحكمة والموعظة الحسنة، سواء في دعوته لأبيه، أو دعوته للملك، أو دعوته لقومه: من عبَدَ منهم الكواكب، أو من عبَدَ الأصنام. فهو يلجأ إلى الرِّفق واللين في الأعمّ الأغلب، حتى إذا لم يُعَدِّ للرفق جدوى لجأ إلى القوة والصراحة، وهو يبدأ بالقول والإقناع، فإذا استنفد القول والإقناع طاقتَهُما، عمَدَ إلى تغيير الواقع وإزالة المنكر باليد والسلاح. وهو في محاجّته واستدلاله على خصمه، يتعد عن الأدلة المعقدة، والحُجج المركّبة، ويستعين بالبراهين البسيطة القاطعة، التي تُلزم الخصم ولا تدع له للقول مجالاً، كما يظهر في مناظرته للملك، وفي استدراجه لعبدة النجوم والكواكب.

والدعاة اليوم لهم في شيخ الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة، وهم في تأسيهم به يتبعون النهج القرآني الأرشدي: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن...﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك...﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه

(٣) النحل: ١٢٥.

(١) هود: ٤٥ - ٤٦.

(٤) آل عمران: ١٥٩.

عداوةً كأنه وليّ حميم . وما يُلقّاها إلا الذين صبروا، وما يُلقّاها إلا ذو حظّ عظيم ﴿١﴾.

٤ - إنّ الظالمين إذا أعوزتهم قوّة الحجّة في مواجهة الدعاة، لجؤوا إلى حجة القوة التي يستمدونها من سلطانهم وأعوانهم على الباطل . فهذا إبراهيم عليه السلام يخصّم قومه بحجّة الله التي آتاه إياها، وهل بعد حجّة الله من حجّة؟! فماذا كان جوابهم؟ ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا: اقتلوه، أو حرّقوه...﴾ (٢) . وهو بعد أن يكسّر الأصنام، ويتنزّع من عبّادها الاعتراف بعجزها، وخطئهم في عبادتها: ﴿فرجّعوا إلى أنفسهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون. ثم نكسوا على رؤوسهم، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ (٣) . - بعد هذا الاعتراف لم يُسلّم قوم إبراهيم للحق وأخذتهم العزة بالإثم . و﴿قالوا: حرّقوه، وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ (٤) .

وموقف قوم إبراهيم عليه السلام منه، هو الموقف الذي وقفه فرعون من السحرة لما راوا الحق فآمنوا وألقوا ساجدين، فقال لهم: ﴿... لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلافٍ، ولأصلبنكم أجمعين﴾ (٥) .

وهذا الموقف يتكرر في كل زمان ومكان، والأمثلة عليه في واقع الأمة المسلمة شاهدة ناطقة، وهي أكثر من أن تُعدّ وتُحصى .

٥ - شاءت حكمة الله أن يكون الحق دائماً محارباً معادياً، وأن يكون أهله مضطهدين معذّبين وأتباعه الأقلين، وشواهد ذلك واضحة في سيرة الخليل عليه السلام، وفي سيرة أنبياء الله جميعاً . فإبراهيمُ خرج من بلده وليس معه من المؤمنين إلاّ زوجته وابن أخيه لوط، ونوح عليه السلام لبث في

(٣) الأنبياء: ٦٤ - ٦٥ .

(٤) الأنبياء: ٦٨ .

(١) فصلت: ٣٤ - ٣٥ .

(٢) العنكبوت: ٢٤ .

(٥) الشعراء: ٤٩ .

قومه ﴿... أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا...﴾<sup>(١)</sup>، ﴿... وما آمن معه إِلَّا قليل﴾<sup>(٢)</sup>.

والدعاة إلى الله عليهم أن يذكروا هذا الأمر، وألا يياسوا إذا لم يكثُر حولهم الأنصار والأعوان، ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾<sup>(٣)</sup>.

ولكن الباطل إذا علا على الحق حيناً من الزمن، فإن انتصاره لا يدوم، قال تعالى: ﴿يريدون أن يُطفئوا نورَ الله بأفواههم، ويأبى الله إِلَّا أن يُتِمَّ نوره، ولو كره الكافرون﴾<sup>(٤)</sup> وقال: ﴿بل نقدِفُ بالحقِّ على الباطل فيدمغُهُ، فإذا هو زاهق...﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿... وما يُبدىء الباطلُ وما يُعيد﴾<sup>(٦)</sup>.

٦ - على الدعاة إلى الله أن يوطنوا أنفسهم على الابتلاء، لأن الابتلاء من علامات حبِّ الله تعالى لعبده. وقد ابتلى الله خليله إبراهيم بأمر كثيرة: منها الإلقاء بالنار وذبح الولد، كما ابتلى سائر أنبيائه وأوليائه بشتى أنواع الابتلاء، ثم كافأهم على صبرهم، ووفاهم أجورهم بغير حساب: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟! ألا إن نصر الله قريب﴾<sup>(٧)</sup>.

فالنصر مع الصبر، والفرج مع الشدة، و﴿إن مع العسر يسراً﴾<sup>(٨)</sup>.

٧ - إن المسلم لا يرتبط بالأرض والتراب، فالأرض أرض الله والخلق

(٥) الأنبياء: ١٨.

(٦) سبأ: ٤٩.

(٧) البقرة: ٢١٤.

(٨) الإنشراح: ٦.

(١) العنكبوت: ١٤.

(٢) هود: ٤٠.

(٣) يوسف: ١٠٣.

(٤) التوبة: ٣٢.

عباد الله، ووطنه حيثما علت راية لا إله إلا الله. والداعية إذا عجز عن نشر دعوته في الأرض التي هو فيها، أو غلب على أمره فلم يعد بمُكنته القيام بشعائر دينه، فقد وجبت عليه الهجرة... كما هاجر من قبل أبوه إبراهيم ونبيه محمد ﷺ. وقد يجد الداعية في الأرض الجديدة قلباً أوعى، ونفوساً أصفى، تتقبل دعوته، وتسعى لنشرها في الأفاق، فيفلح في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعماً كثيراً وسعة، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، وكان الله غفوراً رحيماً﴾<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبئتهم في الدنيا حسنة، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾<sup>(٢)</sup>.

٨- اقتضت حكمة الله ألا تترتب المسببات على أسبابها في بعض الأحيان، معجزةً لأنبيائه، وكرامةً لأوليائه، فالإحراق من خصائص النار، ولكن النار لا تحرق بذاتها، بل بإرادة الله سبحانه، لذلك كانت على إبراهيم برداً وسلاماً، وخرج منها لم يمسه سوء. وهذا يجعل الإنسان - مع أخذه الكامل بالأسباب - لا يقف عندها، بل يؤمن أن وراءها مَنْ خَلَقها، وهو الله جلّ جلاله، الذي يفعل ويختار، وهي لا تفعل ولا تختار.

٩- لقد تحلّى خليل الرحمن عليه السلام بكثير من الفضائل والشمائل: كالحلم والتأوه والإنابة، والشكر، وسلامة القلب، والوفاء، وإكرام الضيف... والمسلمون عامة، والدعاة إلى الله خاصة، هم في أمس الحاجة إلى أن يأخذوا أنفسهم بهذه الأخلاق، لتساعدهم في طريق الدعوة في الدنيا، وتوصلهم إلى الجنة في الآخرة.

«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».

(١) النساء: ١٠٠.

(٢) النحل: ٤١.

## ثَبَّتُ المَصادر والمَراجع

١ - القرآن الكريم .

### حرف الألف

- ٢ - إبراهيم أبو الأنبياء - عباس محمود العقاد (دار الكتاب العربي - لبنان).
- ٣ - إبراهيم أبو الأنبياء - عبد الحميد جودة السحار (مكتبة مصر).
- ٤ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - ابن البناء، شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي - ت ١١١٧ هـ (عبد الحميد حنفي - مصر ١٣٥٩ هـ).
- ٥ - الإِتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - ت ٩١١ هـ (المكتبة التجارية الكبرى).
- ٦ - الإِحكام في أصول الأحكام - أبو محمد علي بن حزم الأندلسي - ت ٤٥٦ هـ (مطبعة الإمام - مصر).
- ٧ - الإِحكام في أصول الأحكام - سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الأمدي - ت ٦٣١ هـ (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م).
- ٨ - أحكام القرآن - أبو بكر بن العربي - ت ٥٤٣ هـ - تحقيق: محمد علي البجاوي (ط . ٢ عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م).
- ٩ - إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - ت ٥٠٥ هـ (دار المعرفة - بيروت).

- ١٠- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار- أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرقى - ت ٢٥٠ هـ- تحقيق: رشدي الصالح ملحس (ط. ٢ مطابع دار الثقافة بمكة ١٣٨٥).
- ١١- الأديان في القرآن- محمود بن الشريف (دار عكاظ للطباعة والنشر ١٩٧٩).
- ١٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري- أبو العباس شهاب الدين أحمد ابن محمد العسقلاني - ت ٩٢٣ هـ (بولاق - القاهرة ١٣٢٣).
- ١٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم- أبو السعود محمد بن محمد العمادي - ت ٩٨٢ هـ (مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة).
- ١٤- أساس البلاغة - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - ت ٥٣٨ هـ (دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤١ / ١٩٢٢).
- ١٥- أسباب النزول - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - ت ٤٦٨ هـ (دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٥ هـ).
- ١٦- استخراج الجدل من القرآن الكريم - ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي - ت ٦٣٤ هـ- تحقيق: زاهر عواض الألمعي (ط. ١ مؤسسة الرسالة ١٤٠٠ / ١٩٨٠).
- ١٧- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير- رمزي نعاينة (ط. ١ دار القلم بدمشق ودار الضياء ببيروت ١٣٩٠ / ١٩٧٠).
- ١٨- الإشارات إلى معرفة الزيارات- أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي - ت ٦١١ هـ- تحقيق: جانين سوردليل طومين (المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٣).
- ١٩- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم- الحسين بن محمد الدامغاني - ت ٤٧٨ هـ (ط. ١ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٠).
- ٢٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٤ / ١٩٦٥).
- ٢١- الأعلام- خير الدين الزركلي (ط. ٣ بيروت ١٣٨٤ / ١٩٦٥).
- ٢٢- أعلام النبوة- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي - ت ٤٥٠ هـ (مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩١ / ١٩٧١).
- ٢٣- الله في العقيدة الإسلامية - حسن البنا (دار الشهاب - القاهرة).
- ٢٤- الأمثال من الكتاب والسنة - أبو عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي - ت ٣٢٠ هـ- تحقيق: محمد علي الجاوي (دار نهضة مصر - القاهرة).

- ٢٥- الأنبياء: حياتهم، قصصهم - عبد الصاحب الحسيني العاملي (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان).
- ٢٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ناصر الدين أبو الخير البيضاوي - ت ٦٨٥ هـ (ط. ٢ مصطفى البابي الحلبي - القاهرة).

### الباء

- ٢٧- البحر المحيط - محمد بن يوسف . . بن حيان الأندلسي ت ٧٤٥ هـ (مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض).
- ٢٨- البدء والتاريخ - مطهر بن طاهر المقدسي - ٣٥٥ هـ (باريز ١٩٠٣).
- ٢٩- البداية والنهاية - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير - ٧٧٤ هـ (ط. ١ مطبعة السعادة، بمصر ١٣٥١ / ١٩٣٢).
- ٣٠- البرهان في تفسير القرآن - هاشم بن السيد سليمان الحسيني البحراني - ت ١١٠٩ هـ (ط. ٢ تهران در - جابخانة أفتاب).

### التاء

- ٣١- تاج العروس من جواهر القاموس - محمد مرتضى الزبيدي - ت ١٢٠٥ (دار مكتبة الحياة - بيروت).
- ٣٢- تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - ت ٨٠٨ هـ (دار الكتاب اللبناني ١٩٦٦).
- ٣٣- تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية - محمد الطيب النجار (ط. ٢ دار الطباعة المحمدية ١٣٩٩ / ١٩٧٩).
- ٣٤- تاريخ الرسل والملوك - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - ت ٣١٠ هـ - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار المعارف بمصر ١٩٦٠).
- ٣٥- تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي (مطبعة النقيفي - بغداد ١٣٧١ / ١٩٥٢).
- ٣٦- تاريخ الكعبة المعظمة - حسين عبدالله باسلامة (ط. ٢ دار مصر للطباعة ١٩٦٤).

- ٣٧- تاريخ اليعقوبي - أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح - ت ٢٩٢ هـ (دار صادر - بيروت ١٣٧٩ / ١٩٦٠).
- ٣٨- تأويل مختلف الحديث - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - ت ٢٧٦ هـ (ط. ١ مطبعة كردستان العلمية - مصر ١٣٢٦).
- ٣٩- تأويلات أهل السنة - أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي - ت ٣٣٣ هـ - تحقيق إبراهيم عوضين والسيد عوضين (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة ١٣٩١ هـ).
- ٤٠- تأويل مشكل القرآن - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - ت ٢٧٦ هـ - تحقيق السيد أحمد صقر (دار إحياء الكتب العربية - القاهرة).
- ٤١- التبيان - أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي - ت ٤٦٠ هـ (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٣٨٨ / ١٩٦٨).
- ٤٢- تحت راية القرآن - مصطفى صادق الرافعي (ط. ١ المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ / ١٩٢٦).
- ٤٣- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب - أثير الدين أبو حيان الأندلسي - ت ٧٤٥ هـ - تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي (ط. ١ مطبعة العاني - بغداد ١٣٩٧ / ١٩٧٧).
- ٤٤- تذكرة الحفاظ - أبو عبدالله شمس الدين الذهبي - ت ٧٤٨ هـ (دار إحياء التراث العربي).
- ٤٥- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة - طاهر أحمد الزاوي (مطبعة الأستقامة - القاهرة ١٣٧٩ / ١٩٥٩).
- ٤٦- التسهيل لعلوم التنزيل - محمد بن أحمد بن جُزَي الكلي - ت ٧٤١ هـ - تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض (دار الكتب الحديثة).
- ٤٧- التفسير الحديث - محمد عزة دروزة (دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٣ / ١٩٦٣).
- ٤٨- تفسير سورة الأنعام - محمد البهي (دار الفكر).
- ٤٩- تفسير غريب القرآن - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة - ت ٢٧٦ هـ - تحقيق: السيد أحمد صقر (دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٧٨ / ١٩٥٨).
- ٥٠- تفسير غريب القرآن - أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني - ت ٣٢٠ هـ -



تحقيق: محمد الصادق قمحاوي (مكتبة الجندي - القاهرة).

- ٥١ - تفسير القرآن العظيم - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير - ت ٧٧٤ هـ (ط. ١ دار الأندلس - بيروت ١٣٨٥ / ١٩٦٦).
- ٥٢ - تفسير القرآن الكريم - محيى الدين بن عربي - ت ٦٣٨ هـ (ط. ٢ دار الأندلس - بيروت ١٩٧٨).
- ٥٣ - التفسير الكاشف - محمد جواد مغنّية (ط. ١ دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٠).
- ٥٤ - التفسير الكبير - محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي - ت ٦٠٦ هـ (المطبعة البهية المصرية).
- ٥٥ - تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي (ط. ٣ مصطفى الباي الحلبي - مصر ١٣٨٣ / ١٩٦٣).
- ٥٦ - تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) - محمد رشيد رضا (ط. ٢ دار المعرفة - بيروت).
- ٥٧ - تفصيل آيات القرآن الحكيم - جول لا بوم - ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي (دار الكتاب العربي - لبنان).
- ٥٨ - التكملة والذيل والصلة - الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني - ت ٦٥٠ هـ - تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: عبد الحميد حسن (مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٩٧٤).
- ٥٩ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس - أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز بادي الشيرازي - ت ٨١٧ هـ (ط. ٢ مصطفى الباي الحلبي - مصر ١٣٧٠ / ١٩٥١).
- ٦٠ - تهذيب الصحاح - محمود بن أحمد الزنجاني - ت ٦٥٦ هـ - تحقيق: عبد السلام هارون وأحمد عبد الغفور عطار (دار المعارف بمصر).
- ٦١ - تيسير مصطلح الحديث - محمود الطحان (ط. ١ مطبعة المدينة - الرياض ١٣٩٦ / ١٩٧٦).

## الجيم

- ٦٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - ت

٣١٠ هـ - تحقيق: محمود محمد شاکر، وأحمد محمد شاکر (دار المعارف بمصر).

٦٣ - الجامع لأحكام القرآن - أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ هـ (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٣ / ١٩٤٤).

٦٤ - جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام - شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية - ت ٧٥١ هـ (إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥٧).

٦٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - تقي الدين أبو العباس بن تيمية - ت ٧٢٨ هـ (مطبعة المدني - القاهرة).

٦٦ - جواهر الحسان في تفسير القرآن - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - ت ٨٧٥ هـ (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت).

## الخاء

٦٧ - الخليل عليه السلام في الكتاب والسنة: دعوته وهجرته وردّ شبه المستشرقين - عبدالله بن علي محمد أبو سيف - رسالة ماجستير - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز (مصور عن الآلة الكاتبة - مكة المكرمة ١٣٩٧ هـ).

## الدال

٦٨ - دائرة المعارف - بطرس البستاني (بيروت ١٨٧٦).

٦٩ - دائرة المعارف الإسلامية - نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي، أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس (انتشارات جهان - تهران).

٧٠ - دائرة المعارف البريطانية (بالإنجليزية) (ط. ١٥ وليم بتون ١٩٧٣ - ١٩٧٤).

٧١ - دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي (مطبعة دائرة معارف القرن العشرين - القاهرة ١٩٣٧).

٧٢ - درء تعارض العقل والنقل - تقي الدين أبو العباس بن تيمية - ت ٧٢٨ هـ -

- تحقيق: محمد رشاد سالم (مطبعة دار الكتب ١٩٧١).
- ٧٣- دراسات إسلامية - سيد قطب (دار الشروق - بيروت).
- ٧٤- دراسات تاريخية من القرآن الكريم - القسم الأول: في بلاد العرب - محمد بيومي مهران (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٠ / ١٩٨٠).
- ٧٥- دراسات في تاريخ العرب القديم - محمد بيومي مهران (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٣٩٧ / ١٩٧٧).
- ٧٦- الدر المشثور في التفسير بالمأثور - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي - ت ٩١١ هـ - (بيروت).
- ٧٧- دلائل الإعجاز - عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني - ت ٤٧١ هـ - صححه: محمد عبده ورشيد رضا (ط. ٦ محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة ١٣٨٠ / ١٩٦٠).
- ٧٨- ديوان المتنبي - أحمد بن الحسين - ت ٣٥٤ هـ - شرح: عبد الرحمن البرقوقي (دار الكتاب العربي - بيروت).

## الذال

- ٧٩- الذريعة إلى مكارم الشريعة - أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني - ت ٥٠٢ هـ - راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد (ط. ١ مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٣٩٣ / ١٩٧٣).

## الراء

- ٨٠- رسالة التوحيد - محمد عبده - تحقيق: محمد أبو ريّة (ط. ٤ دار المعارف بمصر ١٩٧١).
- ٨١- روح البيان - إسماعيل حقّي البرسوي - ت ١١٣٧ هـ (بولاق - القاهرة ١٣٧٦ / ١٩٥٦).
- ٨٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي - ت ١٢٧٠ هـ (ط. ٢ دار إحياء التراث العربي - بيروت).

## الزّاي

- ٨٣- زاد المعاد في هدي خير العباد - شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية - ت ٧٥١ هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط (ط. ١ مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية - بيروت ١٣٩٩ / ١٩٧٩).
- ٨٤- زاد المسير في علم التفسير - أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي - ت ٥٩٧ هـ (ط. ١ المكتب الإسلامي ١٣٨٥ هـ).

## السّين

- ٨٥- السراج المنير - الخطيب الشربيني - ت ٩٧٧ هـ (ط. ٢ دار المعرفة - بيروت).
- ٨٦- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي - عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي - ت ١١١١ هـ (المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٨٠).
- ٨٧- سنن ابن ماجه - أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني - ت ٢٧٣ هـ - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (عيسى البابي الحلبي - القاهرة).
- ٨٨- سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني - ت ٢٧٥ هـ - تعليق: الشيخ أحمد سعد علي (ط. ١ مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧١ - ١٩٥٢).
- ٨٩- سنن الترمذي (متن تحفة الأحوذى) - محمد بن عيسى الترمذي - ت ٢٧٩ هـ (ط. ٢ مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٣ / ١٩٦٣).
- ٩٠- سنن الدارمي - أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي - ت ٢٥٥ (دار إحياء السنة النبوية).
- ٩١- سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية السندي) - أحمد بن علي بن شعيب النسائي - ت ٣٠٣ هـ (المطبعة المصرية - القاهرة).
- ٩٢- سيكولوجية القصة في القرآن - التهامي نقرة (الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧١).

## الشّين

- ٩٣- شرح صحيح مسلم - محي الدين يحيى بن شرف النووي - ت ٦٧٦ هـ (ط).

٢ دار الفكر - لبنان (١٣٩٢ / ١٩٧٢).

- ٩٤ - شرح العقيدة الطحاوية - علي بن علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي - ت ٧٩٢ هـ - تحقيق: أحمد محمد شاكر (المطابع الأهلية للأوفست - الرياض ١٣٩٦).
- ٩٥ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي تقي الدين الفاسي - ت ٨٣٢ هـ (مكتبة النهضة الحديثة ١٣٧٥ / ١٩٥٦).

## الصاد

- ٩٦ - الصابثون: حرانين ومندائين - رشدي عليان (مطبعة دار السلام - بغداد).
- ٩٧ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي - ت ٨٢١ هـ (وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر).
- ٩٨ - الصّحاح - إسماعيل بن حماد الجوهري - ت ٣٩٣ هـ - تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ط. ٢ دار العلم للملايين - بيروت ١٣٩٩ / ١٩٧٩).
- ٩٩ - صحيح البخاري (الجامع الصحيح) - محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري - ت ٢٥٦ هـ (المطبعة الكبرى الأميرية - القاهرة ١١ - ١٣١٢ / ٩٣ - ١٨٩٤).
- ١٠٠ - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - ت ٢٦١ هـ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء الكتب العربية).

## الطاء

- ١٠١ - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - ت ٢٣٠ هـ (دار صادر - بيروت).
- ١٠٢ - طه حسين بين أنصاره وخصومه - جمال الدين الألوسي (مطبعة الإرشاد - بغداد ١٣٩٣ / ١٩٧٣).

## العين

- ١٠٣ - عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة - محمد عزة دروزة (ط. ٢ دار اليقظة العربية - بيروت ١٣٨٤ / ١٩٦٤).
- ١٠٤ - عصمة الأنبياء - فخر الدين الرازي - ت ٦٠٦ هـ (مكتبة ومطبعة الإرشاد).
- ١٠٥ - علوم الحديث ومصطلحه - صبحي الصالح (ط. ٨ بيروت - دار العلم

للملايين ١٣٩٥ / ١٩٧٥).

- ١٠٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين محمود بن أحمد العيني -  
ت ٨٥٥ هـ (إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة ١٣٤٨ / ١٩٢٩).

## الفين

- ١٠٧- غرائب القرآن ورغائب الفرقان - نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري -  
ت بعد ٨٥٠ هـ - تحقيق: إبراهيم عطوة عوض (ط. ١ مصطفى الباي  
الحلي - القاهرة ١٣٨١ / ١٩٦٢).

## الفاء

- ١٠٨- الفائق في غريب الحديث والأثر - محمود بن عمر بن محمد جار الله  
الزمخشري - ت ٥٣٨ هـ - تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل  
إبراهيم (ط. ٢ دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٩١ / ١٩٧١).
- ١٠٨٩- الفتاوى الكبرى - أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام تقي الدين ابن  
تيمية - ت ٧٢٨ هـ - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي  
النجدي الحنبلي (ط. ١ مطابع الرياض ١٣٨١).
- ١١٠- فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري -  
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ت ٨٥٢ هـ - عني بترتيبه وطبعه:  
محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب (المطبعة السلفية).
- ١١١- فتح البيان في مقاصد القرآن - محمد صديق حسن خان (عبد المحيي علي  
محفوظ - القاهرة ١٣٨٥ / ١٩٦٥).
- ١١٢- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - أحمد عبد  
الرحمن البنا (ط. ١ القاهرة ١٣٧٥).
- ١١٣- فتح القدير - محمد بن علي الشوكاني - ت ١٢٥٠ هـ (المكتبة الشعبية -  
بيروت).
- ١١٤- فتح المنان ببيان الرسل التي في القرآن (وهو مطبوع بديل مفحومات الأقران  
في مبهمات القرآن - للسيوطي) - أحمد السجاعي - ت ١١٩٧ هـ (مطبعة  
السعادة ١٣٢٦ / ١٩٠٨).
- ١١٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل - أبو محمد علي بن حزم - ت ٤٥٦ هـ

(مكتبة المثنى - بغداد).

- ١١٦- فهارس صبح الأعشى في صناعة الإنشا - تصنيف وإعداد: محمد قنديل البقلي (عالم الكتب - القاهرة).
- ١١٧- الفوائد في مشكل القرآن - عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام - ت ٦٦٠ هـ - تحقيق: سيد رضوان علي الندوي (المطبعة العصرية - الكويت ١٣٨٧ / ١٩٦٧).

## القاف

- ١١٨- القاموس الإسلامي - أحمد عطية الله (ط. ١ مكتبة النهضة المصرية ١٣٨٦).
- ١١٩- القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - ت ٨١٧ (ط. ٢ مصطفى الباي الحلبي - مصر ١٣٧١ / ١٩٥٢).
- ١٢٠- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - موريس بوكاي (دار المعارف - القاهرة).
- ١٢١- قصص الأنبياء (المسمى بالعرائس) - أحمد بن محمد ابن إبراهيم الثعلبي - ت ٤٢٧ هـ (بولاق ١٢٨٦ هـ).
- ١٢٢- قصص الأنبياء (وهو الجزء المتعلق بالأنبياء من تاريخ ابن كثير - ت ٧٧٤ هـ) - تحقيق: مصطفى عبد الواحد (ط. ١ دار الكتب الحديثة).
- ١٢٣- قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار (ط. ٣ دار إحياء التراث العربي).
- ١٢٤- قصص الأنبياء - محمد بن عبد الله الكسائي - ت ١٩٨ هـ - تصحيح: إسحاق بن ساؤول إيزنبرغ (ليدن ١٩٢٢).
- ١٢٥- قصة الحضارة - ول ديورانت - ترجمة: محمد بدران (ط. ٣ جامعة الدول العربية ١٩٦١).
- ١٢٦- قطر المحيط - بطرس البستاني (مكتبة لبنان - بيروت - مصور عن طبعة ١٨٦٩).

## الكاف

- ١٢٧- الكامل في التاريخ - علي بن محمد بن عبد الكريم عز الدين بن الأثير - ت ٦٣٠ هـ (دار صادر ودار بيروت ١٣٨٥ / ١٩٦٥).

١٢٨ - كبرى اليقنيات الكونية - محمد سعيد رمضان البوطي (ط. ٥ دار الفكر ١٣٩٧).

١٢٩ - الكتاب المقدس (مطبعة المرسلين اليسوعيين - بيروت ١٨٧٩).

١٣٠ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - ت ٥٣٨ هـ (مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٨٥ / ١٩٦٦).

١٣١ - كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي - علاء الدين عبدالعزيز ابن أحمد البخاري - ت ٧٣٠ هـ (دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٤ / ١٩٧٤).

١٣٢ - كيف تكتب بحثاً أو رسالة - أحمد شلبي (ط. ٧ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣).

## اللام

١٣٣ - لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن - ت ٧٤١ هـ (دار الفكر - بيروت).

١٣٤ - لسان العرب - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي - ت ٧١١ هـ - إعداد وتصنيف: يوسف خياط (دار لسان العرب - بيروت).

١٣٥ - اللغات في القرآن - رواية ابن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس - ت ٣٨٦ هـ - تحقيق: صلاح الدين المنجد (ط. ٢ دار الكتب الجديد - بيروت ١٣٩٢).

## الميم

١٣٦ - مباحث في علوم القرآن - مناع القطان (ط. ٤ مؤسسة الرسالة).

١٣٧ - متشابه القرآن - القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني - ٤١٥ هـ - تحقيق: عدنان محمد زرزور (دار التراث - القاهرة).

١٣٨ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - ت ٨٠٧ هـ (ط. ٢ دار الكتاب - بيروت ١٩٦٧).



- ١٣٩ - محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمي - ت ١٣٣٢ هـ - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (عيسى البابي الحلبي - القاهرة).
- ١٤٠ - المحجّر - أبو جعفر محمد بن حبيب - ت ٢٤٥ هـ - تحقيق : إيلزه ليختن شتير (المكتب التجاري - بيروت).
- ١٤١ - المحصول في علم أصول الفقه - فخر الدين الرازي - ت ٦٠٦ هـ - تحقيق : طه جابر فياض العلواني (ط. ١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٠ / ١٩٨٠).
- ١٤٢ - مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر الرازي - ت ٦٦٦ هـ (ط. ١ دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٧).
- ١٤٣ - المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني - رشيد الناصوري (بيروت ١٩٦٩).
- ١٤٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - ت ٣٤٦ هـ - تحقيق محي الدين عبد الحميد (ط. ٥ دار الفكر ١٣٩٣ هـ).
- ١٤٥ - المستدرك على الصحيحين - أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - ت ٤٠٥ هـ (مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب).
- ١٤٦ - المستشرقون والإسلام - حسين الهراوي (ط. ١ مطبعة المنار - مصر ١٣٥٥ / ١٩٣٦).
- ١٤٧ - مسند أحمد بن حنبل - ت ٢٤١ هـ (وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) (المكتب الإسلامي ودار صادر - بيروت).
- ١٤٨ - مسند الطيالسي، وطبع بعنوان: منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود - ت ٢٠٤ هـ - أحمد عبد الرحمن البنا (ط. ١ المطبعة المنيرية - القاهرة ١٣٧٢).
- ١٤٩ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي - ت ٧٧٠ هـ (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر).
- ١٥٠ - مع الأنبياء في القرآن الكريم - عفيف عبد الفتاح طّبارة (دار العلم للملايين - بيروت).
- ١٥١ - معاني القرآن - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - ت ٢١٧ هـ - تحقيق : أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، علي

النجدي ناصف (ط. ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب والدار المصرية للتأليف والترجمة).

١٥٢- معاني القرآن - أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط - ت ٢١٥ هـ - تحقيق: فائز فارس (ط. ٢ الكويت ١٤٠١ / ١٩٨١).

١٥٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - ت ٩١١ هـ - تحقيق: علي محمد الجواوي (دار الفكر العربي).  
١٥٤- المعجزة في رسالة إبراهيم - حيدر الجواوي (المكتبة العصرية: صيدا - بيروت).

١٥٥- المعجزة الكبرى: القرآن - محمد أبو زهرة (دار الفكر العربي - القاهرة).

١٥٦- معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية (ط. ٢ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠).

١٥٧- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية - محمد إسماعيل إبراهيم (ط. ٢ دار الفكر العربي - القاهرة).

١٥٨- معجم البلدان - ياقوت بن عبد الله شهاب الدين الحموي - ت ٦٢٦ هـ (دار صادر - بيروت - ٧٤ - ١٣٧٦ / ٥٥ - ١٩٥٧).

١٥٩- معجم متن اللغة - أحمد رضا (دار مكتبة الحياة - بيروت ١٣٧٧ / ١٩٥٨).

١٦٠- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - ربه لفيف من المستشرقين ونشره: أ. ي. فنسك (ليدن ١٩٣٦).

١٦١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي (كتاب الشعب).

١٦٢- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي - بيروت).

١٦٣- المعجم الوسيط - إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار (المكتبة العلمية - طهران).

١٦٤- المعرب من الكلام الأعجمي - أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي - ت ٥٤٠ هـ - تحقيق: أحمد محمد شاكر (ط. ٢ مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٣٨٩ / ١٩٦٩).

١٦٥- المغرب في ترتيب المعرب - أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي

- المطرزي - ت ٦١٠ هـ (ط. ١ دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الدكن ١٣٢٨ هـ).
- ١٦٦ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية - ت ٧٥١ هـ (دار الكتب العلمية - بيروت).
- ١٦٧ - مفتاح كنوز السنة - وضعه بالإنجليزية فُسنك وترجمه: محمد فؤاد عبد الباقي (سهيل أكيديمي - لاهور).
- ١٦٨ - مفحّمات الأقران في مبهمات القرآن - جلال الدين السيوطي - ت ٩١١ هـ (ط. ١ مطبعة السعادة ١٣٢٦ / ١٩٠٨).
- ١٦٩ - المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرّاغب الأصفهاني - ت ٥٠٢ هـ (مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٨١ / ١٩٦١).
- ١٧٠ - مقام إبراهيم عليه السلام - محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي (ط. ١ مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٦٨ / ١٩٤٨).
- ١٧١ - مقدّمة في أصول التفسير - تقي الدين أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية - ت ٧٢٨ هـ - تحقيق: عدنان زرزور (ط. ٢ دار القرآن - الكويت ومؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٢ / ١٩٧٢).
- ١٧٢ - الملل والنحل - أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني - ت ٥٤٨ هـ - تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل (مؤسسة الحلبي - القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٨).
- ١٧٣ - مناهج الجدل في القرآن الكريم - زاهر عوّاض الألمعي (مطابع الفرزدق التجارية - الرياض).
- ١٧٤ - منتهى السؤل في علم الأصول - سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الأمدي - ت ٦٣١ (مطبعة محمد علي صبيح بمصر).
- ١٧٥ - منهل الواردين شرح رياض الصالحين - صبحي الصالح (ط. ٤ دار العلم للملايين ١٩٧٧ - بيروت).
- ١٧٦ - موسوعة أخلاق القرآن - أحمد الشرباصي (ط. ١ دار الرائد العربي - بيروت ١٩٧١).
- ١٧٧ - الموسوعة القرآنية الميسرة - إبراهيم الأبياري وعبد الصبور مرزوق (مؤسسة

- سجل العرب - القاهرة).  
 ١٧٨ - الموطأ - الإمام مالك بن أنس - ت ١٧٩ هـ - رواية يحيى بن يحيى الليثي -  
 شرح وتعليق: أحمد راتب عرموش (ط. ١ دار النفائس - بيروت ١٣٩٠ /  
 ١٩٧١).  
 ١٧٩ - الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين الطباطبائي (ط. ٣ مؤسسة  
 الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٣٩٣ / ١٩٧٣).

## النون

- ١٨٠ - النوات - تقي الدين أحمد بن تيمية - ت ٧٢٨ هـ - (المطبعة السلفية -  
 القاهرة ١٣٨٦).  
 ١٨١ - النبوة والأنبياء - محمد علي الصابوني (دار الإرشاد - بيروت ١٣٩٠ /  
 ١٩٧٠).  
 ١٨٢ - النشر في القراءات العشر - محمد بن محمد بن محمد بن الجزري - ت  
 ٨٣٣ هـ (دمشق ١٣٤٥).  
 ١٨٣ - نظرات تحليلية في القصة القرآنية - محمد المجذوب (ط. ٢ مؤسسة  
 الرسالة ١٣٩١ / ١٩٧١).  
 ١٨٤ - نقد كتاب الشعر الجاهلي - محمد فريد وجدي (ط. ١ مطبعة دائرة معارف  
 القرن العشرين بمصر ١٩٢٦).  
 ١٨٥ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي - محمد الخضر حسين (ط. ١ المطبعة  
 السلفية - القاهرة ١٣٤٥).  
 ١٨٦ - النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين - السيد نعمة الله الجزائري (دار  
 الأندلس - بيروت).

## الهاء

- ١٨٧ - هاجر المصرية أم العرب - عبد الحميد جودة السحار (دار مصر للطباعة -  
 القاهرة).  
 ١٨٨ - هداية الرحمن لألفاظ وآيات القرآن - محمد صالح البنداق (ط. ١ دار  
 الأفاق الجديدة - بيروت ١٤٠١ / ١٩٨١).

# الفهرس

١٨-٥	المقدمة
٥	أهمية الموضوع وسبب اختياره
٦	مكان هذه الدراسة من الدراسات السابقة لها في الموضوع
٨	منهاج البحث
٩	الأخذ عن أهل الكتاب (أورواية الإسرائيلية)
١٧	المصادر والمراجع
٢٤-١٩	تمهيد: تعريفات
١٩	تعريف النبي والرسول
٢١	تعريف الدعوة
٢٣	تعريف أولي العزم من الرسل
٦٠-٢٥	الباب الأول: حياة إبراهيم عليه السلام وعصره وهجرته
٢٧	الفصل الأول: إبراهيم الإنسان
٢٧	المبحث الأول: اسمه ونسبه
٢٧	أصل الاسم ومعناه
٢٨	كونه أبا الأنبياء
٢٩	نسبه عليه السلام
٣٠	عروبته عليه السلام

٣٣	..... المبحث الثاني : مولده ووفاته
٣٣	..... مكان ميلاده عليه السلام
٣٤	..... زمان ميلاده
٣٥	..... قصة مولده
٣٧	..... نشأته
٣٧	..... عمره
٣٨	..... وفاته
٣٩	..... قبره
٤١	..... الفصل الثاني : عصره
٤١	..... الصابئة
٤٥	..... الأخلاق
٤٧	..... الفصل الثالث : هجرته
٤٧	..... أسباب هجرته
٤٩	..... وقائع هجرته
٥٠	..... خروجه من بابل إلى الشام ماراً ببحرّان
٥١	..... الرحلة إلى مصر والعودة منها إلى الشام
٥١	..... زيارات مكة المكرمة
٥٧	..... دروس وعبر
١٠١ - ٦١	..... الباب الثاني : الدعوة والمدعوون
٦٣	..... الفصل الأول : الدعوة
٧١	..... الفصل الثاني : المدعوون
٧١	..... المبحث الأول : دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه
٨٠	..... المبحث الثاني : دعوته لقومه
٨٠	..... دعوته لعبدة الأصنام
٩٠	..... دعوته لعبدة الكواكب

المبحث الثالث: دعوته للملك ..... ٩٧

الباب الثالث: ابتلاؤه وصبره ..... ١٠٣ - ١٣٩

الفصل الأول: الابتلاء بالكلمات ..... ١٠٥

الفصل الثاني: الابتلاء بمحاولة الاعتداء على الزوجة ..... ١١٣

الفصل الثالث: الابتلاء بالإلقاء في النار ..... ١١٩

الفصل الرابع: الابتلاء بذبح الولد ..... ١٢٥

المبحث الأول: قصة الذبح ..... ١٢٥

المبحث الثاني: من الذبيح؟ ..... ١٣٠

القائلون بأن الذبيح هو إسحاق ..... ١٣٠

الرد على القائلين بأن الذبيح هو إسحاق ..... ١٣٢

القائلون بأن الذبيح هو إسماعيل ..... ١٣٥

الباب الرابع: فضائله وشمائله ..... ١٤١ - ١٧٥

الفصل الأول: الفضائل الوهية ..... ١٤٣

١ - الخَلَّة ..... ١٤٣

٢ - كونه خير البرية ..... ١٤٥

٣ - الإمامة ..... ١٤٦

٤ - اجتباؤه وأصطفاه ..... ١٤٧

٥ - إيتاؤه رشده ..... ١٤٨

٦ - جعل النبوة في ذريته ..... ١٤٩

٧ - اتخاذ مقامه مصلى ..... ١٥٠

٨ - أول من يكسى يوم الحشر ..... ١٥١

٩ - كونه ولي النبي محمد ﷺ ..... ١٥٢

١٠ - مشابهته لنبينا عليهما السلام ..... ١٥٣

١١ - لينه ..... ١٥٣

١٥٥ ..... ١٢ - كونه أمة

١٥٧ ..... الفصل الثاني: الفضائل الكسبية

١٥٧ ..... ١ - الحنيفية

١٥٨ ..... ٢ - الإسلام

١٥٩ ..... ٣ - الحلم

١٦١ ..... ٤ - التأوه

١٦٢ ..... ٥ - الإنابة

١٦٣ ..... ٦ - الصّدقيّة

١٦٤ ..... ٧ - الشكر

١٦٦ ..... ٨ - الدعاء

١٦٧ ..... ٩ - القنوت

١٦٨ ..... ١٠ - سلامة القلب

١٦٩ ..... ١١ - عمارة البيت الحرام

١٧١ ..... ١٢ - إكرام الضيف

١٧٣ ..... ١٣ - اختتانه

١٧٤ ..... ١٤ - وفاءه

٢٠٦ - ١٧٧ ..... الباب الخامس: شبهات مردودة

١٧٩ ..... الفصل الأول: شبهة الشك في وجود إبراهيم عليه السلام

١٨٥ ..... الفصل الثاني: شبهة الشك في اسم أبي إبراهيم عليه السلام

١٩١ ..... الفصل الثالث: شبهة تطور شخصية إبراهيم عليه السلام

١٩٧ ..... الفصل الرابع: شبهة شك إبراهيم عليه السلام في إحياء الله الموتى

٢٠١ ..... الفصل الخامس: شبهة كذب إبراهيم عليه السلام

٢٠٧ ..... خاتمة

٢١٣ ..... ثبت المصادر والمراجع

٢٢٩ ..... الفهرس